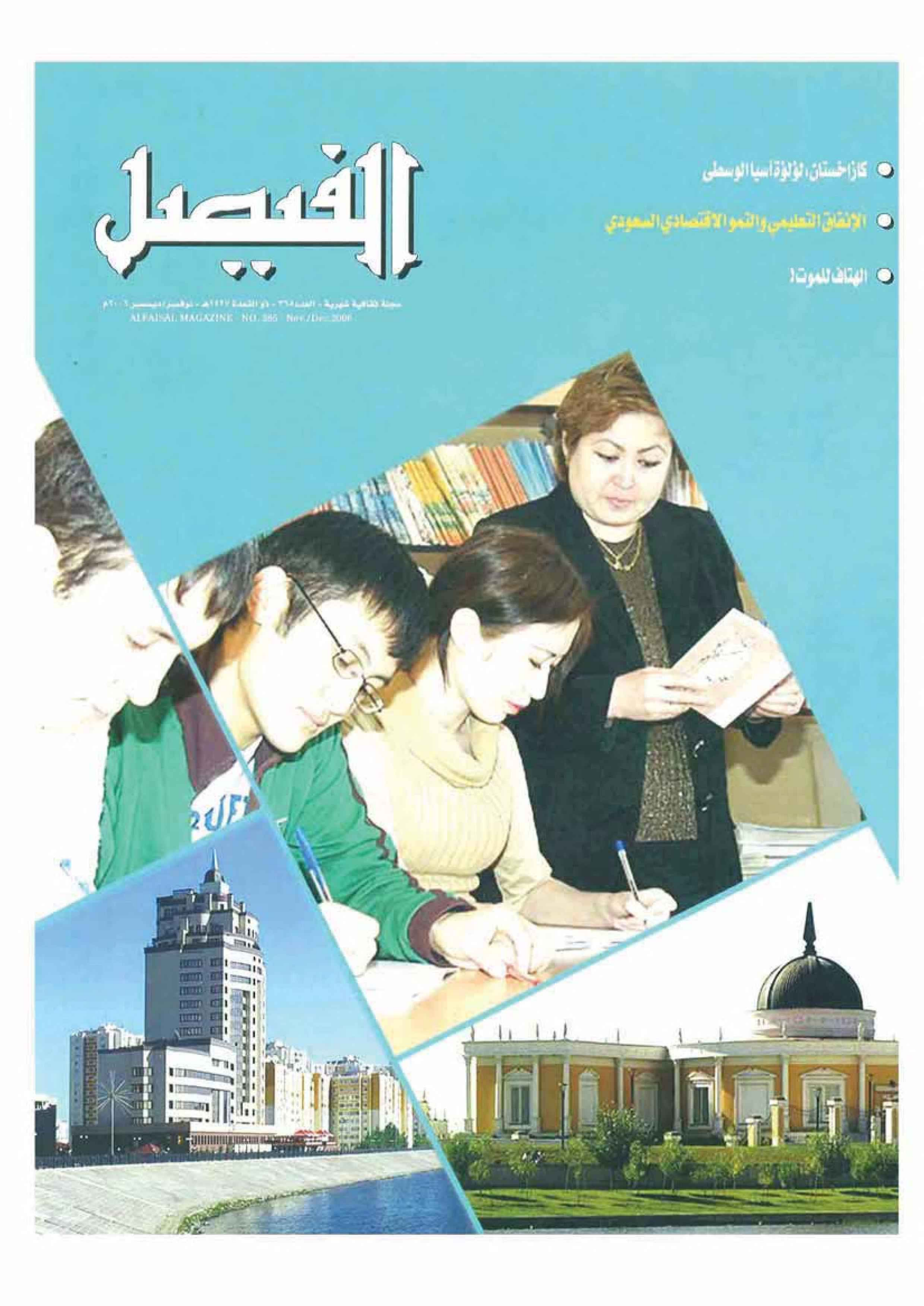

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٥ - ذو القعدة ١٤٢٧هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 365 - Nov./Dec. 2006
كازاخستان، لؤلؤة آسيا الوسطى
الإنفاق التعليمي والنمو الاقتصادي السعودي
الهتاف للموت!



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٥ - ذو القعدة ١٤٢٧هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 365 Nov 'Dec 2006

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

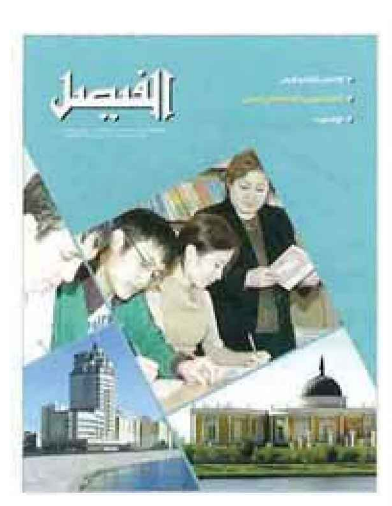
السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ . ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)؛ مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢، ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧، فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







كازاخستان: لؤلؤة آسيا الوسطى

تشغل مساحة كازاخستان ٢٪ من سطح كوكب الأرض، وهي بذلك تساوي مساحة ست دول أوربية هي: فرنسا، والمملكة المتحدة، وإيطاليا، وفنلندا، والسويد، وإسبانيا. هي بلد متنوع في طبيعته، تشتمل على سهول منخفضة، وجبال عالية، وصحارٍ، وأنهار، وبحيرات، ويبلغ عدد أنهارها أكثر من ٨٥٠٠ نهر، وعدد بحيراتها أكثر من ٤٨٠٠ بحيرة. وبمناسبة يومها الوطني، هنا استطلاع شامل عن هذا البلد الآخذ بالنمو، وواقع الحياة فيه.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير:

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضيط

حسوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٣٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

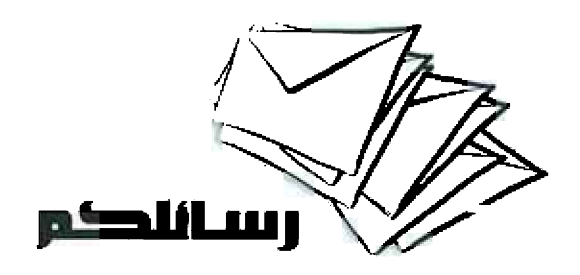
١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات. أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



رسالة شكر وتنويه

رحلتي مع مجلة «الفيصل» الفيحاء كانت منذ سنوات بعيدة، لما كنت بالمرحلة الثانوية، فكنت أتجول بناظري وفكري بين صفحاتها المشرقة، وموضوعاتها الشائقة، فأفهم ما يحتويه بعضها أحيانًا، وأخطئ الفهم أحايين أخرى، وكنت كلّما تدرّجت في سلم المعرفة يتعمق فهمي أكثر لموضوعاتها، وتقوى علاقتي بهذه المجلة الكنز، حتى صرت أنتظر بشوق موعد صدورها بانتظام. والآن - والحمد لله - صرت أمتلك العشرات من أعداد مجلّة الفيصل - ولعلّ أقدم عدد امتلكه يرجع إلى عام ١٩٨٧م. وإني، إذ أثني - صدقًا - على هذه المجلّة الأصيلة، وأنوه بما تبذله من جهد في سبيل عرض سليم ومتوازن للثقافة العربية والإسلامية، أدعو إلى الاهتمام أكثر بالمغرب العربي الكبير، وأن يكون هناك تواصل جدي ومثمر (ثري ومخصب) بين الشرق والغرب الإسلاميين، بحيث تتقوى جسور التواصل الحضاري، ونتواصل تقاليد الحوار البيني؛ لنفهم أنفسنا أوّلاً قبل محاورة الآخر وفهمه.

وإني لأرجو من أسرة المجلة الكريمة أن تتعرف، وتعرف أكثر ببلدي تونس الخضراء الغنية بمعالمها الأثرية، وشخصياتها التاريخية من أمثال: «الإمام سحنون، والحصري الشاعر، وابن رشيق القرواني، وابن عرفة، وابن خلدون، وخير الدين التونسي، وسالم بوحاجب، والطاهر بن عاشور، وابنه الفاضل، وأبو القاسم الشابي، والطاهر الحداد، وغيرهم كثير، وإذا كان نزار قباني قد سأل في إحدى قصائده قائلاً:

هل في العيون التونسية شاطئ

ترتاح فوق رماله الأعصاب؟

فإنّي أقول: إنّ في تونس أكثر من شاطئ، وأكثر من موضع ترتاح فوق رماله الأعصاب والأعضاء. فمرحبًا بكم في تونس الخضراء، أرض العطاء والنماء. ودمتم حماة للثقافة، وبلسمًا للمثقفين. وإلى لقاء آخر، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد سالم بن مريم

ولاية المهديّة - تونس

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونقدر تواصلك مع المجلة. وبخصوص طلب الاهتمام بالمغرب العربي، فإن المجلة تنشر استطلاعات كثيرة عن المعالم الحضارية في هذا الجزء

العـزيز من وطننا العـربي، وقـد تناولت كـثـيـرًا من مـعـالم تونس الخضراء، وعرفت بأعلامها.

ونرحب بمشـاركة من يستطيع الإسهـام في هذا الجـانب. وتتعدى اهتمامات المجلة حدود عالمنا العربي، والإسلامي إلى العالم الواسع، حرصًا على تقديم زاد ثقافي متنوع للقراء الأفاضل، ونرحب بتلقي مشاركاتك عن تونس.

إلى هواة الطوابع والعملات

إنه ليسـرني كـثيرًا أن أتواصل مع القـراء الأفـاضل من هواة جمع الطوابع والعملات وأوراق البنكنوت.

وأقدر لكم كثيرًا إذا نشرتم هذه الرغبة.

أرني هاجبيرج السويد

Arne Hagberg

Fisketorp 26

S-45054 Hedekas

SWEDEN

التحرير:

ننشر لك نص رسالتك متمنين أن تجد من يتجاوب معك من الإخوة القراء، شاكرين لك تواصلك ومخاطبتك المجلة.

ردود سريعة

الأخ أحمد محمد صالح - القاهرة - مصر:

نرحب بكل مشاركات الإخوة من كل بقاع الأرض، ونخضع كل المقالات الواردة للمعايير الموضوعية التي تلتزمها المجلة، ولهذا تجد أن هناك كتابًا جدًا ينضمون إلى المجلة في كل عدد، ونأمل ان تكون أحدهم.

الأخت سماح أحمد العطار - دمشق - سورية:

عرضنا القصـائد على اللجنة المختصة، وقد أوضحت أنها تشتمل على معان جميلة، ولكنك تحتاجين إلى مزيد من الصقل، والمتابعة على قراءة قصائد كبار الشعراء، إلى جانب القصائد العربية القديمة التي ستمنحك ثراءً لغويًا يعينك على حسن التعبير عن مشاعرك بعفوية وتلقائية، وبلا تصنع.

الأخ فضل حسن جبر - الشمالية - السودان:

نعمل على أن تصل المجلة إلى أسواق السودان، ونطمئنك بأنها تواصل الصدور منذ ٣١ عامًا، وهناك مواد كثيرة تمَّ نشرها عن السودان، ضمن اهتمامات المجلة بكل البلاد العربية والإسلامية، بل إنها تهتم بأن تنشر كل جديد من كل أرجاء المعمورة.

الأخت سحر محمد أبوبكر - القاهرة - مصر:

نرحب بك صديقة للمجلة، ونشكرك إطراءك على مادتها وإخراجها الفني، وننتظر ملاحظات الإخوة القراء من أجل مزيد من التطور.

ولا شك أنك تعلمين من خلال متابعتك أن اهتمام المجلة بالمعالم الحضارية جزء من دورها في حماية التراث، وتأكيد جوانب الأصالة، وهذا ما لا يتناقض مع المعاصرة والمواكبة.



استطلاع

كازاخستان: لؤلؤة آسيا الوسطى

إعداد: بختيار تاسيموف*

الرياض - السعودية

تقع جمهورية كازاخستان في شمال وسط آسيا، وتبلغ مساحتها مليونين و٧٤٥ ألف كم مربع، وتحتل المرتبة التاسعة في العالم من حيث المساحة بعد روسيا، والصين، والولايات المتحدة الأمريكية، والأرجنتين، والبرازيل، وكندا، والهند، وأستراليا، وتمتد من الغرب إلى الشرق لمسافة ٢٧٠٠ كم ،ومن الشمال إلى الجنوب ١٦٠٠ كم.

٢٪ من مساحة الأرض

مساحة كازاخستان نحو ٢ بالمئة من سطح كوكب الأرض، وهي الأكبر مساحةً بين الدول الإسلامية، وتساوي مساحتها مساحة إيران، والعراق، وتركيا مجتمعة. كما أنها تساوي - أيضًا - مساحة ست دول أوربية، وهي: فرنسا، والمملكة المتحدة، وإيطاليا، وفنلندا، والسويد، وإسبانيا. وتحدها الصين من الجنوب الشرقي، وقيرغيزستان وأوزبكستان من الجنوب، وبحر قزوين وتركمانستان من الغرب، وروسيا من الشمال والشمال الغربي.

يبلغ طول حدود جمهورية كازاخستان مع كل من: روسيا الاتحادية ٦٤٦٧ كم، ومع اوزبكستان ٢٣٠٠ كم، ومع الصين ١٤٦٠ كم، ومع قيرغيزستان ٩٨٠ كم، ومع تركمانستان ٣٨٠ كم، وحدودها مع روسيا هي أطول حدود برية بين دولتين في العالم.

ومن وجهة النظر الطبيعة والجغرافية، فإن كازاخستان بلد ذات طبيعة متنوعة فالسهول المنخفضة إلى أكثر من عشرات الأمتار تحت سطح البحر، وسلسلة الجبال العالية تكسو قممها الثلوج السرمدية، وأكثر من



ربع مساحة كازاخستان سهول، بينما نصف مساحتها صحراوي وشبه صحراوي، وما تبقى فهو جبال وبحر وبحيرات، وتزخر كازاخستان بالأنهار والبحيرات، إذ يبلغ عدد الأنهار فيها أكثر من ٨٥٠٠ نهر، والبحيرات نحو ٤٨٠٠ بحيرة، ويحيط بحر قزوين وبحر آرال بالحدود الجنوبية الغربية، والحدود الغربية لكازاخستان.

السكان

يبلغ عدد السكان ١٥ مليون نسمة، وتتكون كازاخستان من ١٤ محافظة.

ينتمي سكانها إلى أكثر من ١٣٠ قومية، ونسبة الكازاخ منها ٢ .٥٧٪، والروس ٢ .٢٧٪، والأوكرانيين ١ ,٣ ٪، والألمان ٤ .٢ ٪، والتتار ٦ .١ ٪، وكذلك جاليات كبيرة من أوزبك وقيرغيز وأيغور.

كما يسكن ٥.٤ ملايين من الكازاخ خارج كازاخستان في ٤٠ بلدًا. وفي أوزبكستان يسكن ٥.١ ملايين، وفي الصين مليون و ٣٠٠ ألفًا، وفي روسيا مليون، وفي تركمانستان ١٠٠ ألف، وفي منغوليا ٨٠ ألفًا، وفي قيرغيزستان ٤٣ ألفًا، وفي

تركيا ١٥ ألفًا، وفي أوكرانيا ٦ آلاف، وفي إيران ٤ آلاف، وفي روسيا البيضاء ألفان، وفي فرنسا ألف.

اللغة الرسمية

اللغة الكازاخية هي لغة الدولة، ولها أصول تركية. وكذلك تنتشر في كازاخستان اللغة الروسية التي تستخدم لغة رسمية ثانية في المؤسسات الحكومية. ولكن لأن المنطقة يسكن فيها عدد كبير من القوميات المختلفة، توجد لكل قومية لغتها الخاصة.

الدين

يهتم الشعب الكازاخي بجذوره الإسلامية، ويعيش صحوة إسلامية رائعة في هذه المرحلة بعد استقلال دولتهم من الاتحاد السوفييتي السابق، للتخلص من آثار الشيوعية التي سادت البلاد طوال الحكم السوفييتي، الذي كان في حالة عداء مستمر مع الإسلام، مع محاولات لطمس الهوية الإسلامية.

وتشهد كازاخستان الآن انتشارًا واسعًا للمساجد في جميع المدن. ويبلغ عددها أكثر من ألفي مسجد، تمثل

أستانه: العاصمة الجديدة











جبال ترانسيلي الاتاو

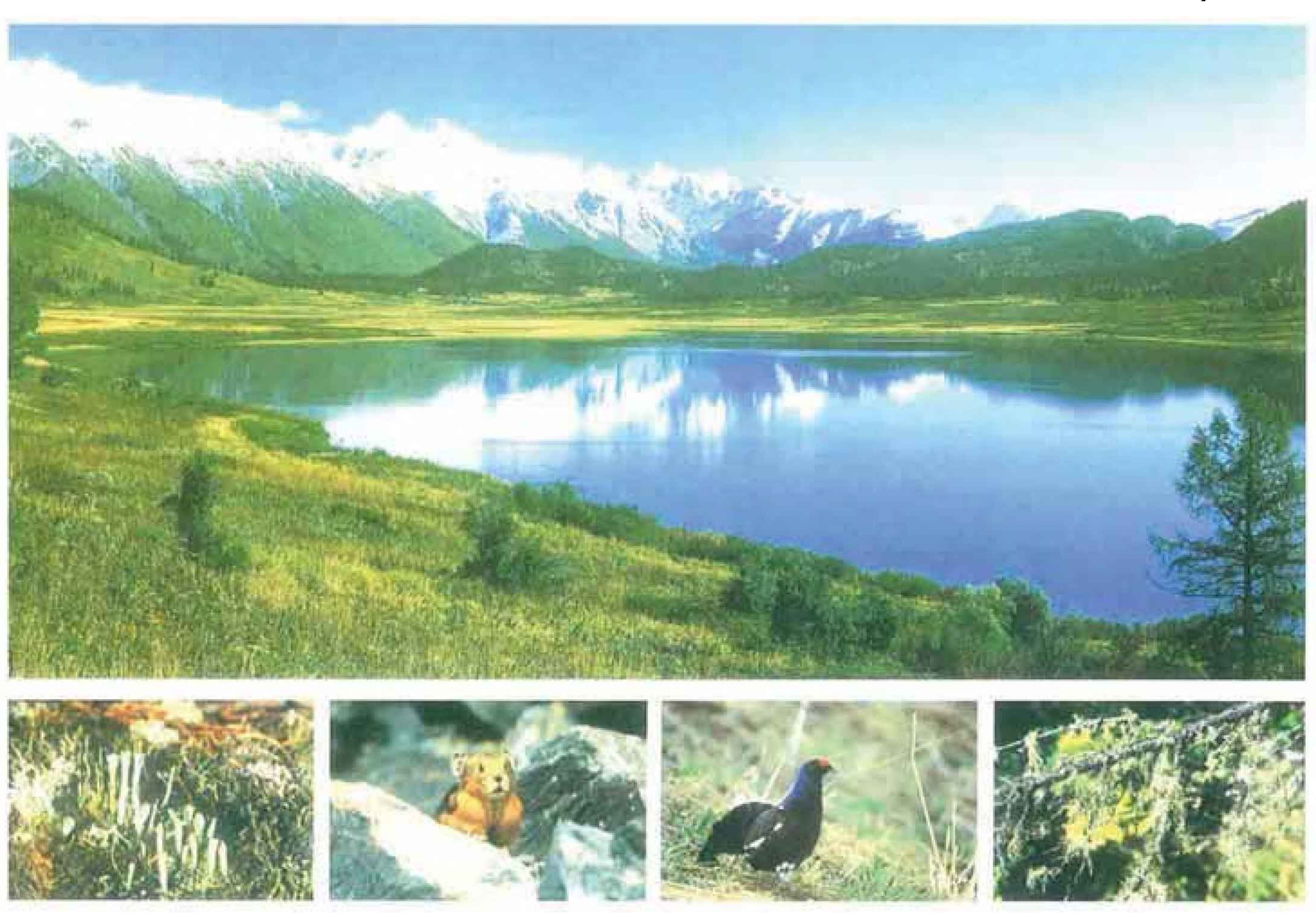
منارات إشعاع ديني لتعريف المسلمين بأمور الإسلام الصحيح، خصوصًا أنهم متعطشون للتعرف إلى الإسلام.

وفي الوقت الحاضر يؤدي آلاف الكازاخيين حج بيت الله الحرام، ويدرس مئات الطلاب في الجامعات الإسلامية في السعودية، ومصر، وتركيا. وقد تم إنشاء جامعة نور مبارك التي تعدّ الجامعة الوحيدة في كازاخستان؛ لإعداد الدعاة إلى الإسلام والدراسات الإسلامية.

وتبلغ نسبة المسلمين ٦٥٪ (أكثر من ١١ مليون نسمة)، والمسيحيين ٣٠٪، والديانات الأخرى ٥٪.

العاصمة

استانة، وهي عاصمة جديدة لجمهورية كازاخستان منذ عام ١٩٩٨م. أنشأها الرئيس نور سلطان نزاربايف بعد استقلال كازاخستان؛ لتصبح عاصمة البلاد بدلاً من مدينة الماطي الحدودية. أستانة تقع في وسط البلاد على نهر إيشيم في محافظة أقمولا. ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ ألف نسمة. ومعنى كلمة أستانة «العاصمة». وهي مدينة حالمة، تنظر إلى المستقبل بعين التفاؤل والطموح، إذ إنها تتميز بالحداثة والتطور المستمرين، تملؤها السلاسل الفندقية الشهيرة عالميًا. وبها مطاعم تقدم للزوار أكلات



بحيرة بازوفوي

الجهات الأربع، والفصول الأربعة، شوارعها تتميز بالاتساع والنظافة وحسن البيئة، ويتميز شعبها بالهدوء.

أما مدينة ألماطي، فهي عاصمة قديمة لكازاخستان. وتعد المدينة الرئيسة في البلاد، وتعرف بأنها مدينة تجارية واقتصادية ومالية، ويقدر عدد سكانها بنحو مليون ومئتي ألف نسمة.

لمحة تاريخية

يقول د. شاه رستم شاه موساروف - أستاذ كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود:

«وقد جعل موقع كازاخستان بين أوربا وآسيا منها ملتقى للحضارات القديمة، ومعبرًا لدروب المواصلات. كما أن التفاعلات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، الناتجة من ارتباطات وصلات الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، وما ترتب على ذلك من تحولات كبيرة في قارتي آسيا وأوربا، كل ذلك ترك آثاره على كازاخستان، وفي حقب تاريخية متعاقبة نشأت، وتطورت في حدود هذه الرقعة دويلات تميزت كل منها بثقافة قائمة بذاتها،

وكل هذه الثقافات ورثتها كازاخستان الحديثة.

في فترة ما قبل الميلاد ازدهرت في المناطق السهلية في وسط آسيا الحضارة الأسقوتية، التي ظلت آثارها ماثلة حتى يومنا هذا، فنحن نجد أشياء كثيرة مثيرة للاهتمام من مخلفات تلك الحقبة التاريخية، كالأدوات التي كانت تستخدم في الحياة اليومية، والزخارف المستوحاة من البيئة في شكل وحوش، صممت من الذهب والفضة، وقد عثر علماء الآثار على كثير منها، كما عثر في مدينة إيسيك الصغيرة - التي لا تبعد عن العاصمة السابقة مدينة ألماطي - على قبر «الإنسان الذهبي»، الذي وجد في كامل وضعه، وجمال مظهره، وقد أقيم في مدينة ألماطي نصب تذكاري حديث أطلق عليه: «النصب التذكاري للاستقلال»، كانت فكرته مستوحاة من هذا الأثر، وخلال القرون المتعاقبة قامت في سهول كازاخستان الدولة الهونية ذات الجبروت، التي كان لها تأثير واضح في الخريطة الجيوسياسية للعالم المعاصر، إذ سقطت الإمبراطورية الرومانية العرقية تحت ضربات محاربي الدولة الهونية بقيادة أتيلا.

وكان من القبائل الهونية فيما بعد ما يسمى بالقبائل الناطقة بالتركية، التي أسست دولاً كبيرة تمتد من البحر الأصفر في الشرق إلى البحر الأسود غرباً، وكانت هذه الدول تتميز بحضارات متقدمة عن عصرها، ولم تعتمد نمط القبائل الرحل في الحياة، بل شكلت حضارة مدينية ذات تقاليد حرفية وتجارية غنية، وظهرت في وسط آسيا - حينذاك - مدن، أو بالأصح مدن قوافل، كان يمر عبرها طريق الحرير العظيم.

وقد دخل الإسلام إلى كازاخستان في القرن الأول الهجري، عندما تم فتح بلدان وسط آسيا، وقد تغلغل الدين الجديد في قلوب الناس وأحبوه، وعملوا على نصرته والتمسك به، فبنيت المساجد والمدارس في جميع أنحاء المنطقة.

وكان لطريق الحرير العظيم أثره الكبير في نمو التجارة، إضافة إلى كونه دافعًا لحركة الإبداع في مجالي العلم والثقافة. وعاش في هذه الفترة في منطقة فاراب مفكرون عظام، من أشهرهم أبونصر الفارابي، تركوا آثارًا خالدة في مجالات الفلسفة، وعلم الفلك، وعلم المنطق، والموسيقا، والآداب، كذلك برز من العلماء المشهورين في المنطقة عالم اللغة العظيم محمود الكاشغري، مؤلف مجلد «ديوان لغات الترك» الصادر في ثلاثة أجزاء، الذي أثرى تجربة الفولكلور، وآداب الشعوب الناطقة بالتركية. وولد هنا - أيضًا - يوسف بلاساغوني، مؤلف الكتاب التاريخي المشهور «قوتادغوبيليك»، ويعد أحد المحدثين في الفكر السياسي والاجتماعي وعلم الأخلاق، وفي القرن الثاني عشر عاش في مدينة تركستان خوجة أحمد اليساوي - المفكر الإسلامي الكبير - الذي ألف كتاب «ديوان الحكمة».

وقد احتلت القبائل المنغولية الأراضي الكازاخستانية في عام ١٢٢١م، وقد ترك هذا الاحتلال أثرًا كبيرًا في تاريخ الشعب الكازاخي في القرون الوسطى.

وفي النصف الثاني للقرن الخامس عشر بدأت عملية توحيد القبائل الرحل في سهول كازاخستان، الذين هم أجداد الكازاخ المعاصرين، ومنذ تلك الفترة بدأت تتكون القومية الكازاخية من مختلف العناصر العرقية والحضارية، التي توحدت على أساس تطابق نمط

في ١٦ ديسمبر عام ١٩٩١م أعلنت كازاخستان استقلالها، وقد تم الاعتراف بالجمهورية من أول أيام الاستقلال، وأصبحت عضوًا في الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية الأخرى، وتم ترسيم حدود كازاخستان مع جيرانها من دون حرب أو نزاعات



مبنى بلدية أستانة

الحياة، والثقافة، والدين الإسلامي، وفي ما بعد بدأت تتشكل في الأراضي الكازاخية الإمارات الأولى (الخانات)، أما في النصف الأول للقرن السادس عشر فقد اكتمل نمو القومية الكازاخية. وتجدر الإشارة إلى أن كلمة «كازاخ»، أو«قازاق» في اللغة التركية القديمة تعني «حر»، أو«مستقل»، ويعبر ذلك عن طبيعة شعب كان يتطلع طوال تاريخ وجوده إلى كيان حر ومستقل.

ولكن بعد ذلك تلاحقت قرون المعاناة للشعب الكازاخي، ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر تعرضت الأراضي الكازاخية لهجمات شرسة ومستمرة من قبائل الجونغار في غرب الصين؛ بتحريض من الحكام الصينيين، إلا أنه بفضل المقاومة البطولية التي استمرت نحو قرنين ضد القوى المعتدية المتفوقة، وبفضل قيادة أبطال الكازاخ العظام وحكمتهم، مثل: تولي بي، وقازبيك بي، وأيتيكي بي، تمكن الشعب الكازاخي من تجنب الإبادة الجسدية الكاملة؛ التي استهدفت الأمة، وإزاء الخطر القاتل القادم من الشرق، اضطر القادة الكازاخ إلى طلب الحماية العسكرية من روسيا القيصرية، وهذا ما أدى في

تعد كازاخستان منطقة صناعية زراعية كبيرة، وقد تم فيها بناء مراكز صناعة الطاقة والمعدن والوقود والكيماويات، وإنتاج المكنات. فهي منتج كبير للمعادن الحديدية وغير الحديدية، واليورانيوم، والفحم، والنفط، والحبوب، والمواشي

النهاية إلى فقدان استقلالية كازاخستان عام ١٨٧١م.

وهكذا ارتبط مصير كازاخستان - لاحقًا - بالنهج الأوربي للتطور الاجتماعي، وبنهج تطور الدولة الروسية والشعب الروسي على وجه الخصوص، فقد خضعت كازاخستان مباشرة بعد الثورة البلشفية للسلطة السوفييتية، فتجرع الشعب الكازاخي على بكرة أبيه كأس الشيوعية المر. ففي ثلاثينيات القرن العشرين، وبسبب تطبيق سياسة التعاونيات الزراعية، قضى ما يزيد على ثلاثة ملايين من الكازاخ؛ أي: ٥٠٪ من تعداد الكازاخ، نتيجة للمجاعة، وهاجر مئات الآلاف إلى الصين ودول أخرى، وتعرض خيرة ممثلي الشعب للاضطهاد والإعدام. أما خاتمة المآسي فحدثت في ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٦م عندما كشر النظام عن أنيابه وتصدى بوحشية وقسوة لقمع انتفاضة الماطي الديموقراطية، التي كانت بمنزلة بداية النهاية لنفوذ الاتحاد السوفييتي، الذي لم يعد ذا سطوة أو جبروت.



مبنى شركة البترول والغاز

كازاخستان بعد الاستقلال

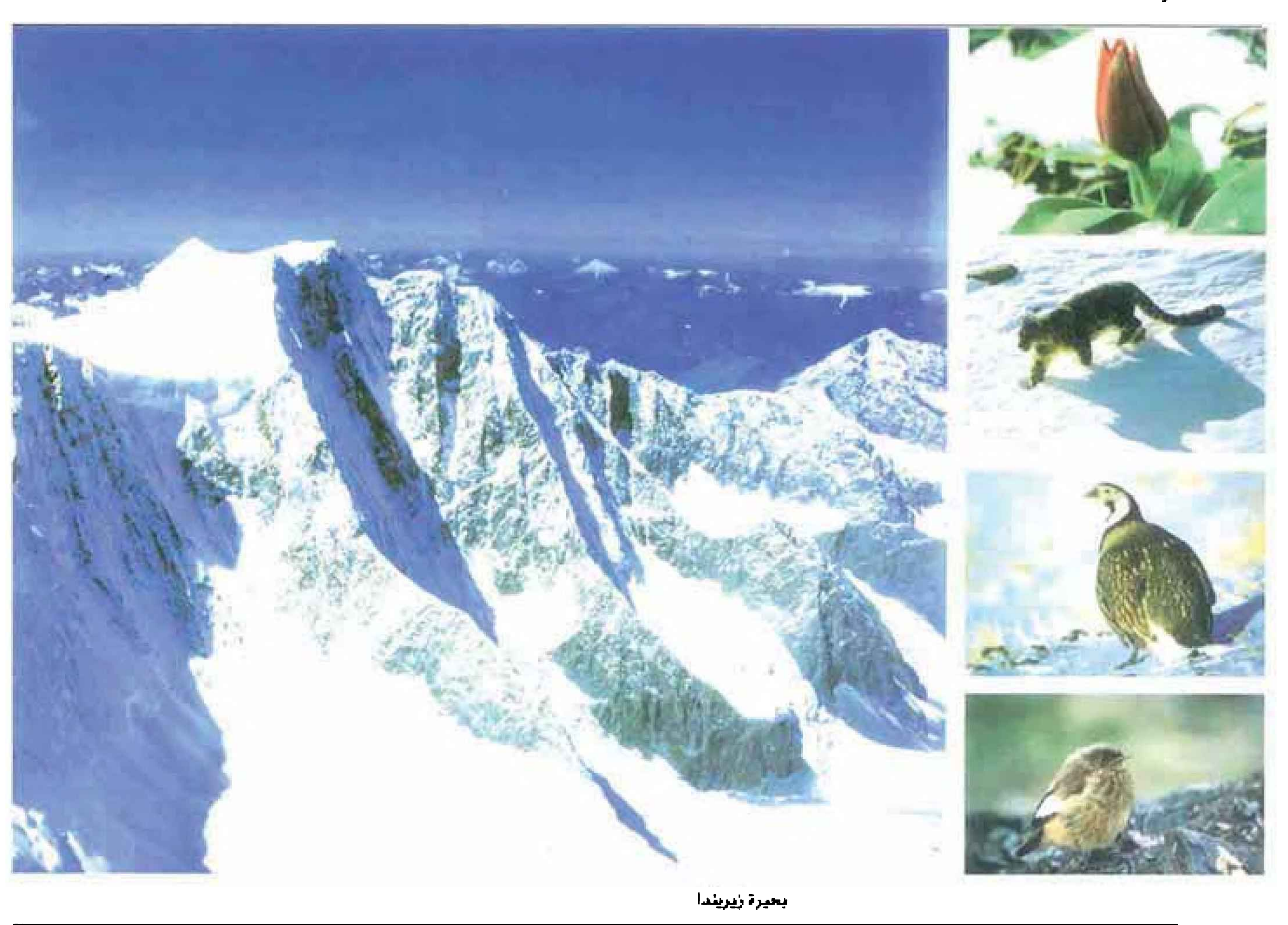
في ١٦ ديسمبر عام ١٩٩١م أعلنت كازاخستان استقلالها، وانتخب نور سلطان نزار باييف أول رئيس للدولة، وقد تم الاعتراف بالجمهورية من أول أيام الاستقلال، وأصبحت عضوًا في الأمم المتحدة،



قصر الاستقبالات الرسمية

والمنظمات الدولية الأخرى، وتم ترسيم حدود كازاخستان مع جيرانها من دون حرب أو نزاعات.

وهكذا ظهرت جمهورية كازاخستان المستقلة، وعلى الرغم من مضي ١٥ سنة منذ الاستقلال فإن عمق الإصلاحات وشموليتها جعل تلك الفترة القصيرة تبدو



بحيرة زيريندا

للشعب الكازاخستاني وكأنها عهد كامل، ومنذ الأيام الأولى لميلادها أعلنت الجمهورية الفتية طواعية سياستها الرافضة للتسلح النووي، كدولة محبة للسلام آلت على نفسها بناء مجتمع ديموقراطي يقوم على اقتصاد حر، ويرعى السلام والوئام، ويضع في مقدمة أولوياته حقوق الإنسان، وسيادة القانون.

رسالة كازاخستان

وعبر الرئيس نور سلطان نزارباييف في خطاب عن تطلعات الشعب الكازاخستاني بقوله:

«... نحن نقف - اليوم - على أعتاب الإمكانات الكبيرة، وكثير منكم يعرف أن دول آسيا الفقيرة خرجت من دائرة الفقر خلال ثلاثين عامًا، وأصبحت لها مكانة وشأن على المستوى الاقتصادي، في البداية كانت كوريا، وتايوان، وسنغافورة، ثم انضمت إليها ماليزيا، وإندونيسيا، وتايلاند. وقد أعطت الصين جارتنا العزيزة نموذجًا حقيقيًا لمعنى التطور والنمو الحقيقي، وتتلوها البرازيل، والهند.

ونحن نأمل - بإخلاص - أن تلبس روسيا هذا الثوب الجديد في القريب العاجل. قبل أربعين عامًا، عندما استقلت سنغافورة كانت واحدة من أفقر دول العالم. وكان دخل الفرد أقل من مئتي دولار أمريكي في السنة، لكن اليوم أصبح دخله أكثر من عشرين ألف دولار. ووصلت ماليزيا - التي تشبهنا كثيرًا من حيث السكان، والمساحة، والتركيبة القومية - إلى رفع مستوى معيشة المواطنين في فترة أقل من عشرين عامًا. ونتيجة لهذه النجاحات، أصبحت هذه الدول معروفة بالنمور الآسيوية.

والآن أسأل هل يوجد هناك ما يعرقل أن تصل كازاخستان - بكل قدراتها المتاحة - إلى مثل هذه النتائج؟ أعتقد لا.

فإنني أثق بأن شعب كازاخستان في عام ٢٠٣٠م سيصبح فهد آسيا المركزية. وستكون بلادنا هي القدوة بين الدول النامية».

والفهد هو نوع من أنواع النمور، وله أشكال مختلفة. ولكن صفات الفهد الكازاخي هي النقاء، والرجولة، والذكاء، والشرف، والشجاعة، والمكر. إنه لا يبدأ بالهجوم، ويتجنب المواجهة المباشرة، وإذا جرأ أحد على المساس بحريته ومسكنه ونسله؛ فإنه يدافع باستماتة.

في فترة ما قبل الميلاد ازدهرت في المناطق السهلية في وسط آسيا الحضارة الأسقوتية، التي ظلت آثارها ماثلة حتى يومنا هذا. فنحن نجد أشياء كثيرة مثيرة للاهتمام من مخلفات تلك الحقبة التاريخية. كالأدوات التي كانت تستخدم في الحياة اليومية، والزخارف المستوحاة من البيئة في شكل وحوش

ولذلك فهو مثابر في قهر رؤوس الجبال، لا يخيفه البرد القارس، ولا تضعف الحرارة من إمكاناته، حكيم في تربية نسله مضياف ويدافع عن ضيوفه. كما يتمتع الفهد الكازاخي بالأناقة المضاف إليها مستوى التقدم المتطور، والحكمة الشرقية، وقوة الاحتمال، ويكون متوحدًا مع أشقائه الفهود الآسيوية المركزية، والأوزبكية، والقيرغيزية، في انتصاراته وهزائمه، ويفخر بتقدمهم وإنجازاتهم.

اقتصاد كازاخستان

يملك اقتصاد كازاخستان الثروات المعدنية الكبيرة، والأراضي الزراعية الواسعة، والطاقات البشرية المدربة، والمقدرة الصناعية الملموسة. ويعمل هذا الاقتصاد - اليوم - بفعالية عالية حسب طلبات السوق.

منذ عشر سنوات، عادل مستوى الإنتاج الداخلي الإجمالي للشخص الواحد في كازاخستان ٧٠٠ دولار أمريكي تقريباً، ثمّ بلغ ٢٤٤٠ دولاراً في عام ٢٠٠٥م. ومن المتوقع أن يرتفع هذا المؤشر ليتجاوز ٥٨٠٠ دولار في عام ٢٠١٠م؛ ليضاهي هذا المستوى الوضع الراهن في بعض الدول مثل: تشيكيا، وبولندا، وهنغاريا، وماليزيا. وسيبلغ في عام ٢٠١٥م نحو ٩٠٠٠ دولار.

يعد استعمال خامات الدولة - اليوم - مصدراً رئيساً للنمو الاقتصادي، وفي حال مقارنته بعام ١٩٨٥م، نجد زيادة في إنتاج النفط والغاز تجاوزت ٢٢٥ بالمئة، في حين كانت الزيادة في الإنتاج العالمي أقل من ١,٢ من الضعف.

كذلك استقطبت كازاخستان من الاستثمارات الأجنبية المباشرة أكثر من ٤٠ مليار دولار أمريكي؛ وعلى هذا الأساس يعلم المستثمرون أن كازاخستان تعدّ - اليوم - شريكاً أمينًا، يضمن الاستقرار، ويوفر التعاون المتبادل المثمر.

فقد اعترف الخبراء الدوليون الرئيسون بأن النظام المالي في كازاخستان أحد الأنظمة المالية الأكثر تقدماً.

وكانت كازاخستان الدولة الأولى من بين رابطة الدول المستقلة، التي أسست الصندوق الوطني؛ بغرض توفير النمو الاجتماعي الاقتصادي المستقر، والتقليل من تأثير العوامل الخارجية السلبية.

يوجد - اليوم - ١١ مليار دولار أمريكي في الصندوق الوطني. وتجاوز الاحتياطات الذهبية النقدية للدولة مع الصندوق الوطني مبلغ ٢٥ مليار دولار.

وتمارس كازاخستان سياسة التجارة الخارجية المفتوحة تتابعاً، ومن المتوقع أن يجاوز حجم التبادل التجاري الخارجي في العام الجاري ٤٠ مليار دولار.

تنوعت جغرافية التجارة الخارجية الكازاخستانية، تنوعاً ملموساً ضمن رابطة الدول المستقلة، منذ السنوات الأولى للاستقلال. وأصبحت دول اتحاد أوربا، وروسيا، وسويسرا، والصين، في عام ٢٠٠٥م شريكاً رئيساً في التبادل التجاري.

تهتم كازاخستان برعاية الموهوبين

ووفقاً لتصنيف البنك العالمي تعدّ كازاخستان في الوقت الراهن إحدى مجموعة الدول ذات الدخل الشخصي المتوسط. ومقارنة مع المؤشرات الحيوية الرئيسة للسنوات العشر الأخيرة؛ زاد دخل الكازاخستانيين النقدي على ٥ أضعاف، ومعدل الراتب على ٦ أضعاف، ومستوى أقل الرواتب على ٢٥ ضعفاً، ومعدل معاش التقاعد على ٤،٦ أضعاف، وحجم الودائع الشخصية على ٢٧ ضعفاً، وحجم مصروفات الحكومة لتأمين المساعدات الطبية على الضعفين.

اكتشفت كازاخستان من الاحتياطات المعدنية الغنية - من بين ١٠٠ عنصر كيماوي مشهور - ٩٩ عنصراً في أراضيها؛ إذ تم تأكيد وجود ٧٠ عنصراً، يستعمل منها الآن أكثر من ٦٠ عنصراً.

على هذا النحو، اكتشف في الوقت الراهن ٤٩٣ مكمناً معدنياً، تضم ١٢٢٥ نوعاً من المعادن؛ وبذلك تحتل كازاخستان المركز الأول من نسبة الاحتياطات المكشوفة للزنك، والولفرام، والباريتا، والمركز الثاني للفضة، والرصاص، والكروم، والمركز الثالث للموليبدينوم، والمركز السادس للذهب.

تعد كازاخستان منطقة صناعية زراعية كبيرة، وقد تم فيها بناء مراكز صناعة الطاقة والمعدن والوقود والكيماويات، وإنتاج المكنات. فهي منتج كبير

التغلب على العنف، هو القاعدة الأساسية لمواصلة التعايش السلمي. كما أنه ينبغي ألا يكون هناك مكان يتخذ الدين ذريعة لإيجاد المشكلات؛ بل يجب إظهار الدين على حقيقته، وأن يدرك البشر أن الحرية، والاستقرار، والأمن، تسير جنباً إلى جنب



تتبنى الدولة نظاماً مرناً لتأهيل الكوادر وتطوير القدرات العلمية

للمعادن الحديدية وغير الحديدية، واليورانيوم، والفحم، والنفط، والحبوب، والمواشي. وتنتج مصانعها: كوكس الفحم، والصلب، والرصاص، والنحاس، والزنك، والتيتانيوم، والماغنيسيوم، والألومينا، والمطاط الصناعي، والقطران، واللدائن، والألياف الكيماوية، وإطارات السيارات، والأسمدة المعدنية، والأسمنت، ومكنات قطع المعادن، وأجهزة مكابس الحدادة، والجلخ، ومحولات القوى الكهربائية، وأجهزة الأشعة، والمكنات الزراعية، والجرارات، والحفارات، وغيرها.

أما ظروف المناخ والتربة في كازاخستان فكثيرة ومتنوعة، وتسمح بزراعة كل مزروعات المناطق المعتدلة الدافئة، وتسهم في تطوير مختلف قطاعات الزراعة.

إستراتيجية انضمام كازاخستان إلى صفوف الدول الخمسين

تبدي كازاخستان اهتماماً كبيراً بمسالة تطوير العلاقات مع العالم الإسلامي، الذي تعده ذا أهمية عظيمة.

كازاخستان على أعتاب دفعة جديدة من نموها

تقف كازاخستان – اليوم – على أبواب مرحلة جديدة من التحديث الاجتماعي والاقتصادي، والديمقراطية السياسية.

تسعى كازاخستان إلى احتلال مكانها بين مجموعة الدول التي تتصدر القائمة العالمية، من خلال:

أولاً: اعتماد اقتصاد السوق المتطور والمنفتح؛ القابل للمنافسة من دون أن يقتصر – فقط – على قطاع المواد الخام.

ثانياً: تقوم ببناء مجتمع ذي توجه اجتماعي، يبدي العناية والاهتمام بكبار السن، وبالأمومة والطفولة، وبالشباب.

رابعاً: بناء دولة قانونية وتعزيزها على أساس نظام منسق لسياسة متحفظة ومتوازنة .

خامساً: المساواة بين جميع المواطنين من دون تمييز بسبب العرق، أو الدين ،أو الجنس.

سادساً: المواءمة بين الأصالة والمعاصرة بالحفاظ على العادات والتقاليد والثقافة وتطويرها، وتحقيق الوفاق بين الأعراق والثقافات المختلفة في كازاخستان، التي تشكل شعب كازاخستان الموحد.

سابعاً: القيام بمسؤولياتها تجاه المجتمع الدولي، والإسهام في توفير الاستقرار الجيوسياسي والأمن في المنطقة.

كازاخستان في قائمة الدول الأكثر قابلية للتنافس والاختراق

الأولوية الأولى: التكامل

يأمل الكازاخستانيون أن يروا دولتهم - وهي تنمو وفق توجهات الاقتصاد العالمي - دولة أخذت على نفسها كل ما هو جديد ومتقدم يُصنع في العالم، واحتلت مكانتها في نظام الشؤون العالمية وإن لم تكن كبيرة، إلا أنها لائقة بها، وتستطيع بسرعة أن تتكيف مع الظروف الاقتصادية الجديدة.

يجب على كازاخستان أن تكون مستعدة للمنافسة الحادة والاستفادة منها؛ لأجل مصالحها. وبإمكان كازاخستان؛ بل يتوجب عليها المشاركة بفاعلية في المشروعات الاقتصادية الدولية المتعددة الأطراف؛ التي تساعد على تكاملها في الاقتصاد العالمي، ويستند إلى وضعها الاقتصادي الجغرافي المفيد، وإلى ثرواتها الموجودة.

مراكز ومؤسسات تعليمية بمواصفات عالمية

الحديث - هنا - يدور حول إنشاء مراكز علمية معاصرة و«قرى للتكنولوجيا» وتطويرها في كازاخستان، وبمشاركة دولية، ودعم الأعمال الرامية إلى استغلال التكنولوجيا الجديدة، وإنشاء نظام مرن لتأهيل الكوادر.

ويجب أن يكون تطوير القدرة العلمية، وبأقصى ما يمكن، قريباً من العلوم المستعملة في الصناعة، وأعمال القطاع الخاص.

وينبغي - لجذب المعاهد والمراكز الأكاديمية المتقدمة - تهيئة المقدمات الأولية اللازمة، ولهذا يتوجب استخدام أدوات مثل: «مشروعات التفريغ» لتطوير مشترك لفروع المؤسسات التعليمية الدولية في كازاخستان.

بهدف تشجيع تنمية «مشروعات التفريغ» يتوجب على الحكومة حل عدد من المسائل التنظيمية، بما فيها منح قطع الأراضي من دون مقابل، وتقديم رأس المال الأولي في مرحلة البدء، وإنشاء القاعدة اللازمة للبنية التحتية وغيرها؛ وذلك لتطوير المراكز العلمية، كما جرى ذلك - على سبيل المثال - في الهند.

مواصلات واتصالات حديثة

تظل المهمة الأساسية لمجمع المواصلات والاتصالات في كازاخستان، هي التكامل في نظام المواصلات الأوروآسيوي، وتنمية مجمع المواصلات والاتصالات يجب أن توفر بشكل كامل الاستفادة من مميزات الموقع الجيوإستراتيجي للدولة، التي تعد بمنزلة جسر عبور بين أوربا وآسيا.

وينبغي تطوير اتفاقيات واضحة مع دول الجوار؛ لإدراج إجراءات فاعلة لأجل تنظيم إسراع مرور الشُحن.

وعند حل هذه المسائل يتوجب إبداء اهتمام خاص لآلية توفير الشراكة بين الحكومة والقطاع الخاص.

تحقيق سياسة منفتحة في استغلال الموارد الطبيعية

لقد بادرت كازاخستان، وستواصل السياسة المنفتحة في استغلال الثروات الطبيعية، وتوفير الظروف الشفافة والمستقرة للتعاون مع الشركات القومية الناقلة، ومع جيرانها الإقليميين الأساسيين، وهذا يعزز سمعة



بعض الأنشطة الرياضية

كازاخستان شريكًا دوليًا موثوقًا ذي مستقبل، ويساهم بشكل واضح في توفير الأمن للطاقة.

ويجب أن يتركز الاهتمام - حالياً - في تنويع مصادر الاقتصاد، وإيجاد القنوات الثابتة لنقل ثروات كازاخستان من الطاقة إلى الأسواق العالمية، وكذلك تنمية قطاع التكرير الجاد المتعلق مباشرة بمجمع النفط والغاز.

تطوير مدينة ألماطي مركزًا فعالاً للمال والأعمال في المنطقة

إن نمو مدينة ألماطي بمنزلة المركز المالي الرئيس لمنطقة آسيا الوسطى، يجب أن يتركز في خلق الظروف والإمكانات الملائمة لأكبر المنظمات المالية في كازاخستان: لتكون «المقاولات» الأساسيات في مجال تقديم القروض، وخدمات التأمين والمال لمشروعات الأعمال الإقليمية الضخمة.

ولتوفير العمل الفاعل للمركز المالي، من الضرورة إنشاء البنية التحتية اللازمة، وقبل كل شيء المواصلات والاتصالات. ومن الواضح - أيضاً - أهمية استقطاب المديرين الذين يتمتعون بشهرة ممتازة في مجال الأعمال، ولديهم التجربة العملية في إنشاء مثل هذه المراكز، ومناطق حرة في الخارج. كما ينبغي الاهتمام بشكل خاص بتطوير سوق الخدمات المرافقة في المناطق المالية ـ الاقتصادية الحرة.



تعزز الدولة دور الثقافة الكازاخية

الأولوية الثانية: تحديث الاقتصاد وتنويعه

لدعم النمو الثابت والديناميكي لاقتصاد البلاد، يتوجب على الدولة تشجيع الطلب على المنتجات والخدمات العالية الجودة، باستخدام آليات السياسة المالية والقرضية، والتسوية الحكومية للتوزيع الفاعل للعوامل الأساسية للإنتاج.

أستانة مدينة حديثة جاذبة

أصبحت مدينة أستانة خلال فترة وجيزة، هي المدينة الحديثة الكبيرة، التي تنمو بسرعة في الدولة، ولديها القدرة على أن تكون العاصمة النموذجية في ساحة اوراسيا، وأن تكون أساساً لتحقيق النمو الثابت لكازاخستان: ولأجل ذلك على الجمهورية تنفيذ عدد من المشروعات الكبيرة.

يتم تأسيس مجمع (كلاستير) الاستحداث، وهو متنوع ديناميكي للخدمات الطبية في الجزء الأيسر من النهر، في العاصمة أستانة، وذلك على قاعدة المركز الجديد، ويعمل على توحيد الاتجاهات الأساسية للطب الحديث.

ولخلق وسط أكاديمي مميز في عاصمتها، ينبغي تأسيس جامعة راقية على المستوى الدولي.

إضافة إلى ذلك يتوجب تطوير المناطق الصناعية، التي تتركز فيها صناعة مواد البناء والمفروشات، والصناعات الغذائية، وغيرها من القطاعات القابلة للتنافس.

الأولوية الثالثة: سياسة اجتماعية لحماية الشريحة "الفقيرة"

ويدخل ضمن التوجهات الأكثر أولوية لمواصلة تحديث المجال الاجتماعي ما يأتي:

- دعم الشريحة «الفقيرة» من السكان.

فالدولة لن تبخل - مادياً - في سبيل دعم شريحة السكان، التي تعاني من مصاعب اجتماعية.

- إعادة وجهة أنظمة الدعم الاجتماعي وفق شروط اقتصاد السوق.

- إن السياسة الاجتماعية الفعالة ظلت، وستظل سياسة توفير فرص العمل الثابت.

وعلى الدولة أن تأخذ على عاتقها المسؤولية التامة إزاء دعم أعضاء المجتمع، الذين هم بالفعل بحاجة إلى مثل هذا الدعم.

المباني السكنية وتطوير سوق العقارات

إن كازاخستان - اليوم - في السنة الثالثة من تنفيذ برنامج العمران السكني، وخلال هذه المدة يستطيع الكازاخستانيون أن يقوّموه بكل اعتزاز.

إذ إنه خلال عام ٢٠٠٥م فقط، وعبر جميع مصادر التمويل، تم تشييد ما مساحته أكثر من خمسة ملايين متر مربع من المباني السكنية، بينما كان المخطط له وفق البرنامج ثلاثة ملايين متر مربع: أي: بزيادة تقدر بـ ١.٨ ضعف عن عام ٢٠٠٤م.

كما ينبغي تطوير سوق إيجار العقارات وفق المواصفات العالمية، وجعلها شفافة للدولة وشائقة للأعمال التجارية.

المواصفات الحديثة في مجال الصحة.

- تطبيق برنامج الدولة لتطوير قطاع الصحة وإصلاحه ابتداءً من عام ٢٠٠٥م. أثبت - بشكل عام - صحة الاتجاهات الإستراتيجية المختارة وفعاليتها؛ لتطوير هذا القطاع.

الأولوية الرابعة: التعليم والتأهيل

من متطلبات تطوير التعليم

- تطوير نظام التعليم المعاصر، وتجهيز الطاقات المؤهلة.
- إصلاح التعليم يعد من الأوليات المهمة التي تسمح بتامين قدرة تنافسية حقيقية لكازاخستان.
- يلزم البلاد تحديث نظام للتعليم يلائم متطلبات الاقتصاد والمجتمع العصريين.

اللغة الكازاخية هي لغة الدولة، ولها أصول تركية. وكذلك تنتشر في كازاخستان اللغة الروسية التي تستخدم لغة رسمية ثانية في المؤسسات الحكومية. توجد لكل قومية لغتها الخاصة

- وفي إطار التعليم العالي يجب أن نقوم بالإجراءات التفاؤلية لشبكة الجامعات، مع الانتباه، بشكل خاص، لتطوير التعليم التقني. كذلك فإنه ومن أجل تأهيل إداريين ذوي خبرات عالية في قطاع الدولة على قاعدة أكاديمية قيادة الدولة، فإنه من الضروري تأسيس مدرسة إدارية وطنية بالتعاون مع الشركاء الأجانب، تتمتع بأعلى المواصفات والمقاييس العالمية.

- لتشجيع نظام التعليم وتطويره لا بد من توطيد الشراكة بين القطاع الخاص والحكومة، وتحديث نظام القروض التعليمية المشتركة من طرف القطاع الخاص والحكومة.

تعزيز دور الثقافة

حان الوقت - الآن - لتفعيل مشاركة القطاع الخاص والحكومة في تنمية مجال الثقافة، وهذا يعني خلق الظروف الملائمة التي تهيئ مستوى معيشة لائقًا بالمواطنين الموهوبين: من أجل أنشطتهم الخلاقة، هذا هو دعم الدولة في أثناء إقامة معارض الفنون الدولية الكبرى في البلاد، وكذلك دعم الموسيقيين، والعازفين الموهوبين، وعلى سبيل المثال إنشاء الشركة الخاصة بحد أدنى لمشاركة الحكومة لتأمين معروضات الفنون ونقلها.

إنّ الانشغال في المجال الثقافي هو مصدر واسع لطلب محلي مرن، يشير ويدل على هناء سكان الدولة.

الأولوية الخامسة: الديموقراطية والتحديث

من المعلوم أنه خلال السنة الماضية تمت مناقشة البرنامج الوطني للإصلاحات الديموقراطية، وقامت اللجنة الوطنية بشؤون الديموقراطية والمجتمع المدني بتعميم نتائج هذه المناقشات.

تتابع كازاخستان الإصلاحات السياسية الضخمة في

الدولة، المتوجهة إلى رفع فعالية النظام السياسي، وهيكل الدولة في كازاخستان.

لا بد من الأخذ في الحسبان - وبشكل واقعي - الطبيعة العامة لبناء الدول الديموقراطية والمتطورة، وكذلك الخصائص الثقافية والتاريخية المهمّة، وتقاليد المجتمع.

إن الوحدة التي شهدها المجتمع الكازاخستاني - في انتخاب رئيس الدولة في شهر ديسمبر للعام الماضي - لا تترك مجالاً للشك في توحيد المجتمع. إنّ المواطنين يعلمون علم اليقين أن هذه ظروف ضرورية من أجل الحفاظ على استقرار الدولة وتنميتها.

الأولوية السادسة: إستراتيجية الأمن الوطني

تضم قائمة الاتجاهات الأولوية لمواصلة توطيد الأمن الوطني في البلاد ما يأتي:

- إستراتيجية جديدة للأمن الوطني.

يجب أن تقوم البلاد بتوطيد هيكل الدولة، والسيادة الوطنية، ووحدة كازاخستان، على أساس عقيدة عسكرية جديدة، يجب عليها أن تستدرك إنشاء الجيش المحترف القادر على القيام بنشر سريع لقواته ووسائله المناسبة، بأعلى المواصفات العالمية.

مكافحة التطرف الديني والإرهاب

يقتضي تعزيز التعاون الدولي وتوسيعه مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، والانتشار غير الشرعي للأسلحة وتجارة المخدرات، والتحديات الأخرى، بمشاركة نشيطة لكازاخستان، بوضع الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المعينة وتحقيقها. يجب على الدولة أن تعمق التعاون مع دول منطقة آسيا المركزية؛ لمواجهة هذه التحديات المعاصرة، وبما فيها المشاركة في المناورات المشتركة، في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي، ومنظمة «شانغهاي» للتعاون، وكذلك في مبادرات مكافحة الإرهاب وعملياتها بالاشتراك مع حلف «الناتو».

الأولوية السابعة: سياسة التوازن الخارجي

لا تزال أولويات الدولة في السياسة الخارجية من دون تغيير. وستكون كازاخستان - دائمًا - شريكًا أمينًا ومسؤولاً في الساحة الدولية، وتحتل مركزًا مهمًا في تعاونها الدولي وتطوير علاقاتها مع دول العالم الإسلامي.

فمن الطبيعي أن تكون مشاركتها فعالة، في هياكل التعاون الدولي، والتبادل الثقافي مع دول العالم الإسلامي - طبيعيًا - بصورة مطلقة. كما تهتم كازاخستان بتطوير العلاقات الثنائية المتبادلة المثمرة بشكل فعال مع كثير من البلدان الإسلامية والدول العربية.

حوار الأديان السماوية والتقليدية

انعقد في سبتمبر الماضي، في مدينة أستانة المؤتمر الثاني لزعماء أتباع الأديان العالمية والتقليدية، بعنوان: «الدين والمجتمع والأمن الدولي» الذي نظمته الدولة تحت رعاية رئيس جمهورية كازاخستان. ألقى رئيس جمهورية كازاخستان نور سلطان نزار باييف في بداية الجلسة الافتتاحية كلمة رحب فيها بالمشاركين في المؤتمر، وشكرهم على تلبية الدعوة، متمنيًا أن يساهم هذا المؤتمر مساهمة فعلية في إيجاد الأمن الدولي، مشيرًا إلى أن المؤتمر جذب انتباه العالم، وأعطى دفعة قوية لعقد مؤتمرات عالمية. وبين الرئيس أن هذا المؤتمر يحظى باهتمام من الطوائف كافة، إذ يشارك في هذه الدورة أكثر من ٢٩ وفدًا؛ وهذا ما يؤكد أن لهذا المؤتمر أنشطة ودلالات، مفيدًا أن المشكلات والصعوبات لا يمكن أن تحل بالقوة؛ بل إن التغلب على العنف، هو القاعدة



عاملان في أحد المصانع الحديثة

الأساسية لمواصلة التعايش السلمي، كما أنه ينبغي الا يكون هناك مكان يتخذ الدين ذريعة لإيجاد المشكلات؛ بل يجب إظهار الدين على حقيقته، وأن يدرك البشر أن الحرية، والاستقرار، والأمن، تسير جنباً إلى جنب.

وأصدر المشاركون في المؤتمر بيانًا ناشدوا فيه أتباع الأديان كافة في مختلف أنحاء العالم، أن ينبذوا العداوة والخلافات والكراهية، والعيش في جو من الاحترام المتبادل والإخلاص، والاعتراف بتنوع الثقافات، والديانات، والحضارات.

وأعلنوا عزمهم على بذل الجهود المشتركة من أجل تجاوز الأحكام المسبقة والتجاهل، والفهم الخاطئ للأديان الأخرى مع التركيز فيما يوحد أتباع الأديان، وليس فيما يفرقهم، وإدانة أشكال الإرهاب كافة؛ لأن العدالة لا يمكن أن تقوم على الرعب ونزيف الدماء.

وفي النتيجة اتخذ زعماء الأديان بالإجماع «إعلان أستانة للمؤتمر الثاني لزعماء أتباع الأديان العالمية والتقليدية»، و«مبادئ حوار الأديان». وأعرب الزعماء وكبار مسؤولي الأديان العالمية والتقليدية عن تفاهم عام حول ضرورة تواصل الحوار البناء بين الأديان، واتخذوا قرارًا بانعقاد المؤتمر الثالث في عاصمة كازاخستان في عام ٢٠٠٩م.

التعاون بين كازاخستان ودول الخليج

يقول قاسم جومارت توقايف - وزير الخارجية لجمهورية كازاخستان -: إنه من اللحظة الأولى لنيل الجمهورية استقلالها في عام ١٩٩١م، بدأت جمهورية كازاخستان إرساء أسس التعاون الودي ذي المنفعة المتبادلة مع الدول الإسلامية، بما فيها دول مجلس التعاون الخليجي.

على مستوى السياسة الخارجية تُعد كازاخستان



برج استانة

في المجتمع العربي دولة إقليمية كبرى، تمتلك اقتصاداً متيناً، ومواقف قوية على المستوى العالمي.

استقبلت دول الخليج العربي بحماس كبير ولادة نظام دولة كازاخستان، وقد عبرت هذه الدول، بسرعة، وبشكل رسمي، عن استعدادها لتطوير التعاون الكامل مع دولتنا.

وقد حيت دول مجلس التعاون الخليجي، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، دخول كازاخستان إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، وقد أيدت هذه الدول مشروعات قرارات المنظمة حول إعادة (تأهيل عقابيا) تجارب الأسلحة النووية التي أجريت في منطقة سيميبلاتينسك، وحول عقد اجتماع مخصص لدراسة تدابير الثقة والتعاون في آسيا، وإعلان منطقة بحر آرال منطقة كوارث بيئية.

استطاعت دول مجلس التعاون الخليجي ذات الوضع الجيواستراتيجي الخاص في منطقة الشرق الأوسط أن تحتل بسرعة مكانة مهمة ضمن أولويات الدبلوماسية الخارجية لجمهورية كازاخستان. وتؤدي منطقة الخليج العربي - بسبب مكانتها الفريدة الجيواستراتيجية - دوراً مميزاً في السياسة والاقتصاد العالميين.

تعد القيادة في جمهورية كازاخستان هذا التوجه في الدبلوماسية الكازاخية عاملاً مهماً في تمتين الأوضاع الخارجية، وتوازن السياسة الخارجية، وتأمين التكامل المطرد في النظام التجاري والاقتصادي العالمي، وتوسيع مجالات التعاون الفعال بين الشركات الحكومية والخاصة في كازاخستان والشركاء العرب.

من الفنون الكازاخية



من المعروف أن النفط، هو أساس التطور الاقتصادي في دول الخليج، إذ تجذب الاحتياطات الضخمة من نفط الخليج اهتمام الدول الصناعية الكبرى الإستراتيجي وتحدد طبيعة السياسة الخارجية وأولوياتها لهذه الدول. وادى الارتفاع المتكرر لأسعار النفط في السنوات الأخيرة إلى زيادة دخل الدول من تصدير النفط، إلى تسريع الإصلاحات الاقتصادية، وتأمين وتيرة ثابتة وسريعة من النمو الاقتصادي في دول مجلس التعاون الخليجي.

لا يؤدي الدخل الناتج من تصدير النفط إلى نمو عالٍ وكاف للاقتصاد، ورفاهية السكان في هذه البلدان فقط؛ بل ينعكس على شكل استثمارات مباشرة، ومساعدات اقتصادية مهمة إلى الدول العربية والإسلامية. في هذا الخصوص تُشكل خبرة دول مجلس التعاون الخليجي في مجال استخراج الخامات الهيدروكربونية ونقلها وتصديرها واستخدامها بشكل فعال خبرة ومصلحة عملية لكازاخستان.

تهتم كازاخستان بدول مجلس التعاون الخليجي أيضاً؛ لأنها تشكل سوقاً لتصريف البضائع الكازاخية، وهي تأخذ في الحسبان قدرات الخليج الضخمة على إعادة التصدير. وبنيته التحتية العصرية والمتطورة في مجال النقل والمواصلات، حيث تتضمن المرافئ البحرية، وخطوط المواصلات الضرورية الأخرى. ويتوجب على الأطراف المهتمة بهذا المجال أن تقوم بسرعة، بإحداث طريق مواصلات دائم ومريح ومضمون، بين آسيا الوسطى والخليج العربي.

لقد أرست الزيارة التي قام بها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان - ولي العهد، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - إلى أستانة في نهاية عام ٢٠٠٠م الحجر



الصيد بالصقور

مستعدة لمشاركة أوساط رجال الأعمال الكازاخيين بالمثل في إقامة مشروعات تنمية عالية الريعية، في دول مجلس التعاون الخليجي وخصخصة ممتلكات الدولة في تلك الدول. ويختم وزير الخارجية الكازاخستاني حديثه عن علاقات بلاده بدول مجلس التعاون الخليجي بقوله: «ندعو - في هذا المجال - رجال الأعمال العرب إلى العمل بحيوية ونشاط في المجالات المذكورة، مستخدمين بذلك الإمكانات المفيدة للطرفين، وتفعيل قدراتهم في مجالات التعاون كافة مع كازاخستان».

العلاقات الثنائية بين كازاخستان والسعودية

وعن العلاقات الدبلوماسية والشعبية بين كازاخستان والمملكة العربية السعودية يقول: خيرات لاما شريف - سفير جمهورية كازاخستان في الرياض-: إن العلاقات بين جمهورية كازاخستان والمملكة العربية السعودية بدأت عندما أعلنت كازاخستان استقلالها عن الاتحاد السوفييتي في السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٩١م. وكانت هناك اتصالات دبلوماسية مكثفة، كما كانت المملكة العربية السعودية من أوائل الدول التي بادرت إلى الاعتراف باستقلال جمهورية كازاخستان.

وقد تم التوقيع على بروتوكول إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بتاريخ ٢٠ أبريل عام ١٩٩٤م، خلال زيارة وزير خارجية كازاخستان السيد قانات ساودا بايف إلى المملكة.

وقد كانت الزيارة الأولى للسيد نور سلطان نزار بابيف - رئيس الجمهورية للسعودية في سبتمبر عام ١٩٩٤م، وزيارة الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش

الأساس من أجل بناء علاقات شراكة جديدة ونوعية بين البلدين، وذلك ما جعل كازاخستان - عملياً - تتبوأ المركز الأول بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في مجال التعاون مع المملكة العربية السعودية.

دُشن بشكل رسمي في أستانة في سبتمبر من هذا العام المبنى الجديد لمجلس الشيوخ التابع للبرلمان في كازاخستان، الذي أُهدي من قِبل الحكومة السعودية. إن من بين المؤشرات الدالة على الصداقة بين شعوب كازاخستان ودول الخليج العربي بناء قصر الرئاسة، وقصر بلدية العاصمة، والمركز الثقافي الإسلامي، وقصر الحفلات الرسمية، حيث بُنيت كلها بأموال الحكومات الإماراتية، والكويتية، والقطرية، والعمانية، بالتوافق. لم تكن هذه المنشآت تنسجم مع المخطط الجديد للمدينة فقط؛ بل أصبحت من المعالم المعمارية الفريدة للعاصمة الكازاخية.

إن حكومة جمهورية كازاخستان - بعد أن وفرت أفضل الظروف للاستثمارات الأجنبية في البلاد -


جانب من أحد الأنشطة الفنية

العام - آنذاك - لجمهورية كازاخستان في نوفمبر عام ٢٠٠٠م، منعطفًا تاريخيًا مهمًا في العلاقات بين البلدين، إذ وضعت أسسًا للحوار السياسي، على أعلى المستويات فضلاً عن التعاون المشترك على الأصعدة كافة.

وقد أكد البيان المشترك الصادر عن الزيارة التاريخية، أن الجانبين اتفقا على تعزيز العلاقات الأخوية وتعميقها بين البلدين في جميع المجالات، بما يحقق آمال الشعبين الشقيقين وتطلعاتهما. وأكد البلدان ضرورة تضافر جهودهما للعمل الجاد والمخلص لرفعة الأمة الإسلامية وعزها، والحفاظ على مقدساتها، وتوحيد صفوفها تحت راية الأخوة والتضامن الإسلاميين، والعمل معًا لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين، وتحقيق تطلعاتهم نحو حاضر زاهر، ومستقبل مشرق، والسعي إلى تحقيق الأمن والاستقرار على المستوى الدولي.

الحضور السعودي في كازاخستان

ويقول الأستاذ فرحان فحاط العنزي: كان لزيارة سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز لكازاخستان تأثير جوهري بالغ في وتائر العلاقات الكازاخية السعودية ونوعيتها، وقد أرست الزيارة أساس بدء مرحلة بناء علاقات المشاركة الإستراتيجية بين كلا البلدين، ودفعت كازاخستان في الواقع إلى مرتبة الشريك السياسي والاقتصادي الأول للسعودية في حوض بحر قزوين، ورابطة الدول المستقلة، ولا تزال كازاخستان - حتى اليوم - البلد الوحيد في الرابطة الذي زاره مسؤول سعودي على هذا المستوى.

والجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية من أولى الدول الداعمة لجمهورية كازاخستان، ماديًا ومعنويًا، من خلال إقامة المشروعات بمدن جمهورية كازاخستان وبخاصة في تحقيق مشروع إنشاء مبنى مجلس الشيوخ لبرلمان جمهورية كازاخستان على نفقة المملكة، وقد بلغت تكلفته الإجمالية نحو ١٥ مليون دولار. وتم تدشينه في سبتمبر عام٢٠٠٦م.

كما تم إنشاء مركز جراحة القلب في عاصمة كازاخستان على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام. وقد تم تجهيز المركز بجميع الأجهزة الطبية المتطورة والحديثة ذات التقنية العالية. وعُدَّ المركز بأنه أحدث مركز طبي لعلاج أمراض القلب على مستوى آسيا الوسطى، مقرًا وتجهيزًا وكوادر طبية.

وتقدمت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بعرض إلى أكاديمية العلوم الكازاخستانية ووزارة الموارد الطبيعية وحماية البيئة لإجراء أبحاث مشتركة في مجال التقنية الزمنية، ومراقبة الخلفيات المشعة، واختبار الوسط البيئي للموارد المشعة، وشبكة الإشعار المبكر للزلازل.

* الوزير المفوض لسفارة كازاخستان في المملكة العربية السعودية.



الإنفاق التعليمي والنمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية

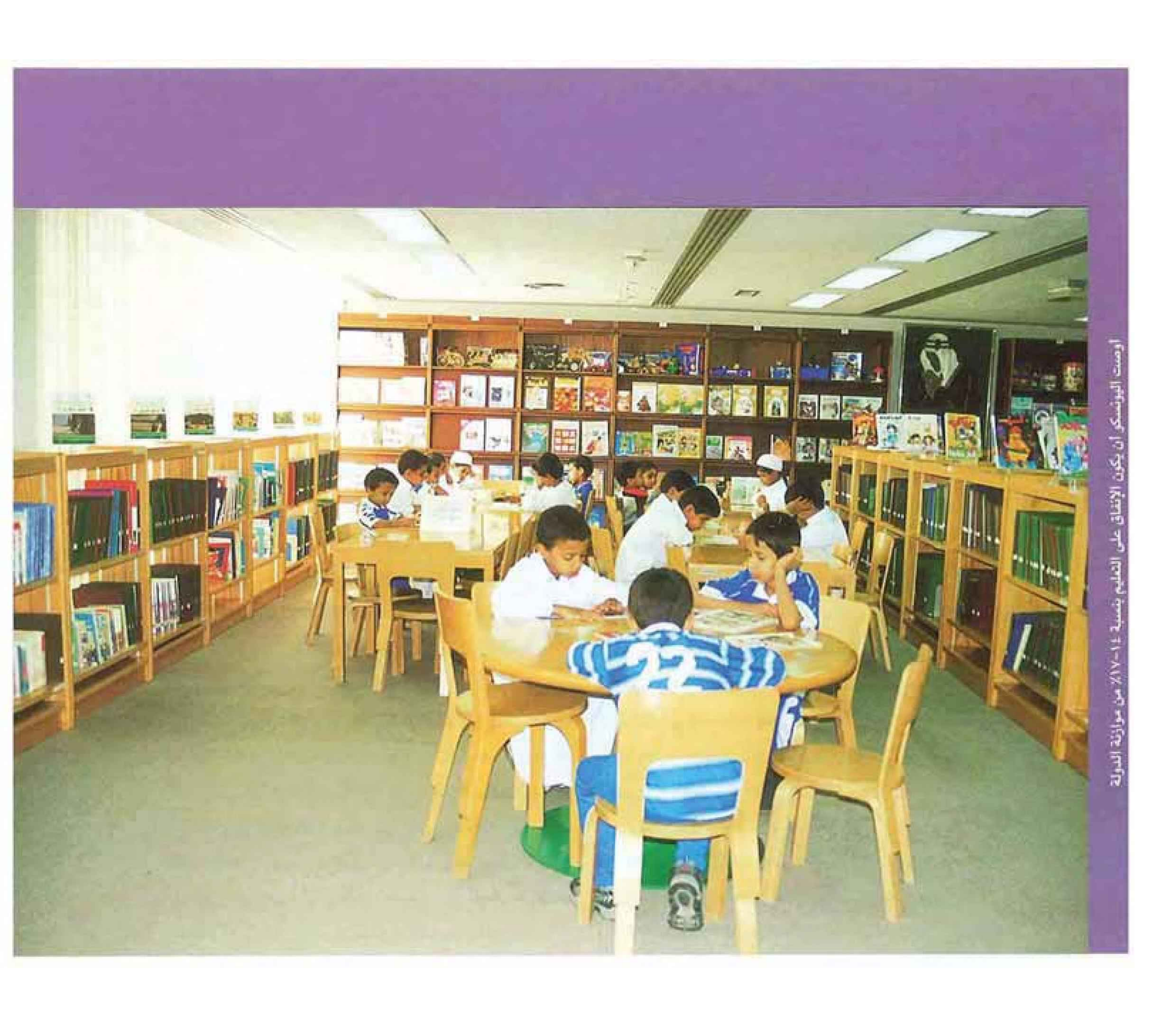
عبدالله بن محمد بن صالح المالكي

الرياض - السعودية

اتضح لنا من خلال المقالات السابقة أهمية الاستثمار التعليمي ودوره في نمو الاقتصاد. فالمجتمع المتطور اقتصادياً هو في الأغلب مجتمع يحظى بمستوى تعليمي عال. كما اتضح أن الإنفاق التعليمي - إضافة إلى كونه خدمة استهلاكية تلبي حاجات الأفراد الحاضرة - هو استثمار له عوائد اقتصادية واجتماعية مباشرة، وغير مباشرة على مستوى الفرد والمجتمع.

وبذلك فهو مطلب ضروري للمجتمعات كافة، وللمجتمعات النامية التي مازالت متأخرة عن الدول المتقدمة الغربية والشرقية على وجه الخصوص.. في مجالاتها الحيوية المختلفة وبخاصة الاقتصادية والتكنولوجية.

وعلى الرغم من ظهور بعض المشكلات في العقدين الأخيرين من القرن العشرين - مثل انخفاض العوائد الاقتصادية من الاستثمارات التعليمية في بعض الدول المتقدمة والنامية، كانعكاس للتوسع الكبير الذي حدث في التعليم على المستوى العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، وما نتج من ذلك من زيادة في أعداد الخريجين، وارتفاع في معدلات البطالة بشكل عام، وخصوصًا بين المتعلمين، وانخفاض في الأجور وغير ذلك - إلا أن الطلب الاجتماعي والاقتصادي على التعليم بكل أنواعه، وأيضًا الإنفاق التعليمي أصبحا في تزايد مستمر؛ لذلك نجد أن الدول - بشكل عام - تنفق أموالاً طائلة على هذا القطاع، وتعقد عليه الآمال في دعم عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق معدلات مرتفعة من



أوصت اليونسكو أن يكون الإنفاق على التعليم بنسبة ١٤-١٧٪ من موازنة الدولة

النمو الاقتصادي، خصوصًا أن التعليم يعدّ من أهم المؤشرات التي يقاس بها تقدم الأمم في العصر الحديث، إضافة إلى كونه أحد المحددات الرئيسة للنمو الاقتصادي والتنمية، وبخاصة في الدول النامية.

يقصد بالإنفاق التعليمي: ما ينفق على التعليم من أموال، ويشمل الإنفاق الجاري، والإنفاق الرأسمالي. ويطلق الاقتصاديون على ذلك تكاليف التعليم، ويضيفون إلى ذلك تكاليف الفرصة البديلة Cost Op-portunity. أما ميزانية التعليم فتعني ما يرصد للتعليم من أموال في الموازنة السنوية العامة للدولة. إذ تقوم الحكومات بتخصيص مبلغ معين من المال من الموازنة العامة للدولة للإنفاق على التعليم، وهذه المخصصات ترتبط ارتباطاً مباشراً بالدخل القومي من ناحية، والموازنة العامة للدولة من ناحية أخرى. لذلك تعد النسبة بين الإنفاق التعليمي وكل من الدخل القومي، والموازنة العامة للدولة من المعايير التي توضح، أو تؤخذ كمؤشرات على الجهد المطلق والنسبي الذي تبذله الدولة في التعليم، ويمكن أن

يتخذ أساساً للمقارنة بين الدول في هذا الشأن. وللتفاوت الكبير بين الدول في ما تخصصه للتعليم ورغبة في تبصير الدول بما يجب أن تخصصه من موازناتها العامة في حدود إمكاناتها، فقد أوصت منظمة اليونسكو UNESCO، والمؤتمرات الدولية بمعدلات عالمية تأخذ بها الدول، وتسترشد بها، وهي: أن يكون الإنفاق التعليمي في حدود تراوح بين ١٤٪ إلى ١٧٪ من موازناتها العامة، و ٤٪ إلى ٥٪ من الدخل القومي، أو الناتج القومي الإجماليGNP (١).

ونلاحظ أن بعض الدول العربية تأخذ بهذه النسب، وتزيد عليها أحياناً (٢)، وتشير الزيادة المطردة الملحوظة في الإنفاق التعليمي، إلى نمو النشاط التعليمي بشكل عام. إلا أنه يجب التأكد من أن هذه الزيادة هي زيادة حقيقية في الجهد التعليمي، فقد تكون هناك أسباب أخرى أدت إلى ذلك، مثل: ارتفاع المستوى المعيشي، أو ارتفاع الأسعار، أو انخفاض قيمة العملة، أو زيادة رواتب المعلمين، أو غير ذلك (٣).

ويتكون الإنفاق التعليمي من بنود متعددة يمكن إدراجها تحت التصنيف الآتي:

١- التكاليف الرأسمالية، أو النفقات الثابتة (Capital Expenditures Non - recurring)، وتشمل تكاليف الأراضي، والمباني، والآلات والتجهيزات والأثاث وما في حكمها.

٢- التكاليف والنفقات الدورية Recurring Expenditures وهي تشمل: مرتبات المعلمين والإداريين، والإيجارات، وتكاليف المياه والكهرباء والهاتف، ومصاريف الصيانة (٤).

ومن أجل معرفة الجهود التي تبذلها المجتمعات المختلفة في سبيل التعليم، نستعرض بإيجاز أهم المقاييس، أو المؤشرات، التي تبين ذلك على النحو الآتي: (٥)

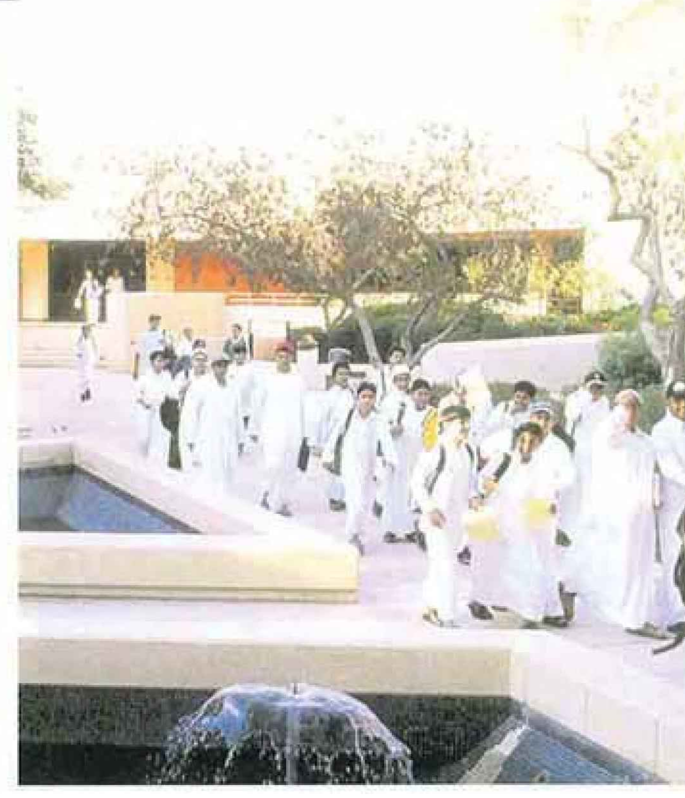
الإنفاق التعليمي والجهد التعليمي

تعكس ميزانية التعليم استثمارات المجتمع في رأس المال البشري (التعليم) ولو أنها لمفردها لا توضح الجهد الحقيقي المبذول من قبل المجتمع في التعليم؛ وذلك لأن هناك أنواعًا أخرى من الإنفاق تتمثل في جهود الأسرة في تربية الأبناء، وفي الخدمات الاجتماعية الخاصة برعاية الأطفال، والجمعيات والهيئات الدينية، والتعليم العسكري، وما تقوم به وسائل الإعلام والاتصال، وغيرها. ولا يعني - بشكل قاطع - أن زيادة الإنفاق التعليمي هي زيادة في الجهد التعليمي؛ فقد تكون هذه الزيادة هي لامتصاص الأعداد المتزايدة من الطلاب ومواجهتها، وبشكل عام، فإن الزيادة في الإنفاق التعليمي تعود إلى العوامل الآتية: (٦)

- ارتفاع في تكلفة الوحدة التعليمية، أو في أسعار المواد التعليمية، والإنفاق غير الرشيد (في غير موضعه).
- زيادة أعداد الملتحقين بالتعليم في أنواعه ومراحله كافة.
- التوسع في التعليم العالي وما يتعلق به من دراسات متخصصة، وبخاصة في مجال العلوم وتطبيقاتها.

وعلى الرغم من أن الإنفاق التعليمي يمثل الجهد النسبي إلى الإنفاق على التعليم وما توليه الدولة من اهتمام وعناية. إلا أنه لا يعطي صورة كاملة عن الجهود

يقصد بالإنفاق التعليمي: ما ينفق على التعليم من أموال، ويشمل الإنفاق الجاري، والإنفاق الرأسمالي، ويطلق الاقتصاديون على ذلك تكاليف التعليم، أما ميزانية التعليم فتعني ما يرصد للتعليم من أموال في الموازنة السنوية العامة للدولة



زيادة في أعداد الملتحقين بالتعليم العام



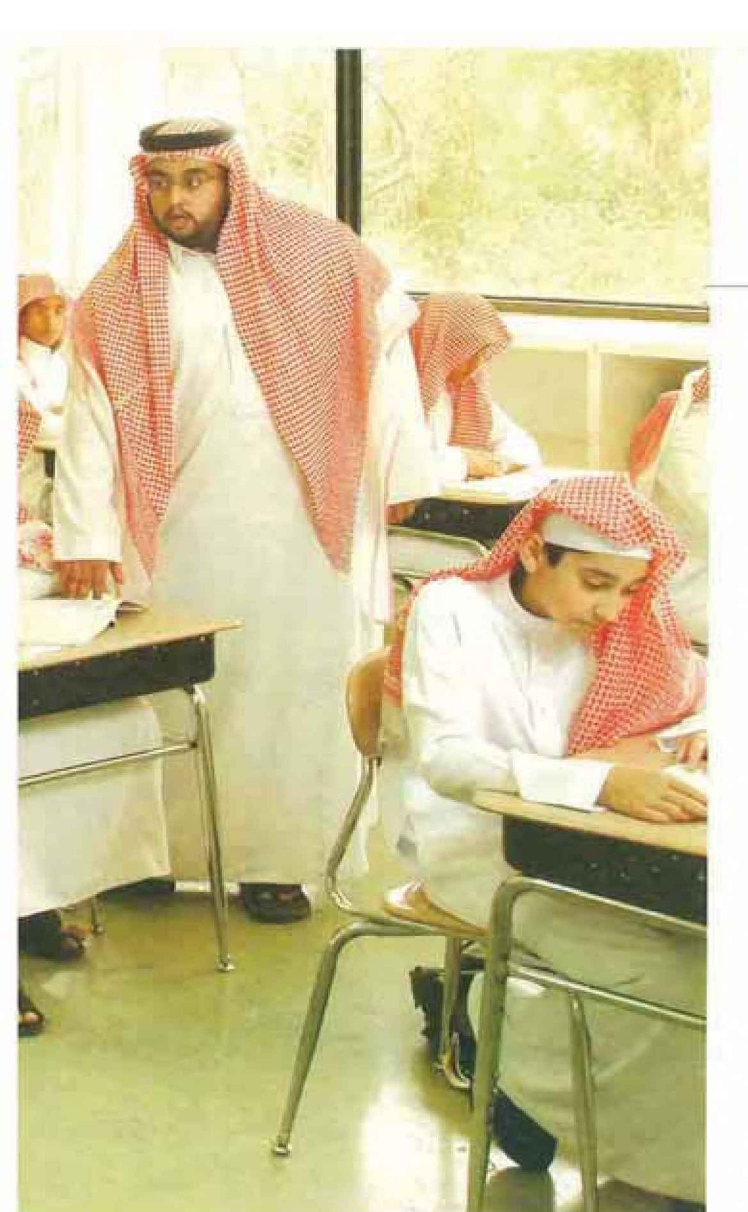
اهتمام الدولة تبرزه الميزانيات المرصودة له

المبذولة في التعليم، وعن المردود (أو العائد) منه.

بدأ التعليم النظامي في المملكة العربية السعودية بعد تأسيسها على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود؛ وذلك بإنشاء مديرية المعارف في ١٣٤٤/٩/١هـ عام

في المملكة العربية السعودية بلغ الإنفاق التعليمي عام ٢٠٠٠م (السنة الأولى من الخطة التنموية السابعة) أكثر من ٤٩ مليار ريال سعودي، أي: ما يعادل ٢٦,٧ ٪ من الموازنة العامة للدولة، وهي تعد قفزة كبيرة جداً تصل إلى الضعف مقارنة بالسنة الأولى

١٩٢٦م، التي تمثل اللبنة الأولى في تاريخ النظام التعليمي الحديث، وفي سنة ١٣٧٣هـ تم تحويل المديرية إلى وزارة المعارف، كما تم في سنة ١٣٨٠هـ إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات؛ وذلك نتيجة للتطور الذي حدث في قطاع التعليم. ومع انطلاقة الخطة التنموية الأولى سنة ١٣٩٠ إلى ١٣٩٥هـ، عام ١٩٧٠م إلى ١٩٧٥م، تطور التعليم تطوراً كبيراً. فقد تم إنشاء عدد من المدارس، وارتفع عدد المعلمين والطلاب، كما أن مخصصات الدولة للتعليم قفزت قفزة كبيرة من ٥٩٨,٠٨٨ مليون ريال في سنة ١٣٩٠/١٣٨٩هـ إلى ٣٧٦٠ ألف مليون ريال في سنة ١٣٩٥/١٣٩٤هـ(٧)، ثم إلى ٨٧٣٠٠ ألف مليون ريال سعودي سنة ١٤٢٧/١٤٢٦هـ، عام ٢٠٠٦م؛ وذلك بمعدل نمو سنوي يفوق ٢٠,٠ ٪ في المتوسط.



الإنفاق التعليمي والدخل القومي العام (الناتج القومي الإجمالي GNP)

اقترح جان - كلود أيشر عام ١٩٨٥م مقياسين لمعرفة تطور التمويل، هما: المجهود المطلق، ويعبر عنه بالنسبة المئوية من جملة الإنفاق التعليمي إلى الناتج القومي العام GNP، وهو مؤشر للجهود الفعلية التي يبذلها المجتمع الكلي في التربية والتعليم. والمقياس الآخر هو المجهود النسبي (٨)

تستخدم هذه النسبة، أو العلاقة بين الإنفاق التعليمي والدخل القومي، أو الناتج القومي الإجمالي GNP للدلالة على الجهد التعليمي وعلاقته بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية (٩). وهذه النسبة تعد أكثر دلالة على نوع الجهد التعليمي، الذي يمكن أن يحدثه المجتمع في قطاع التعليم في الحاضر والمستقبل، وعلى مقدار ما يمكن أن يستثمر في التعليم. فعلى سبيل المثال: قدر الإنفاق التعليمي للدول العربية في عام ١٩٩٧م بنحو ٣٠ بليون دولار؛ أي: ما يعادل ٦٪ من الناتج القومي العام(١٠). وفي المملكة العربية السعودية بلغ الإنفاق التعليمي في العام نفسه (٤٥,٥٩٥) مليون ريال، أي: ما يعادل نحو ٦,٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي (بالأسعار الثابتة) (١١)، وارتفعت نسبة الانفاق التعليمي من ٥,٠٪ عام ١٩٧٠م إلى ٥,٨ ٪ عام ١٩٨٥م، ثم انخفضت إلى ٥,٢٪، و ٤,٨٪ عامي ١٩٩٠م، و١٩٩٥م على التوالي، ثم عاودت الارتفاع إلى ٨,٧٪ عام ٢٠٠١م، ثم عاودت الانخفاض إلى٨,٥ ٪، و ٨,٤٪ عامي ٢٠٠٢م، و٢٠٠٣م على التوالي، وبمعدل متوسط نمو سنوي مقداره ٤,٩٪.

وتتوافق نسبة الإنفاق التعليمي في المملكة إلى حد ما مع النسب العالمية، وإن كانت تفوقها في معظم السنوات.

على الرغم من ظهور بعض المشكلات في العقدين الأخيرين من القرن العشرين - مثل انخفاض العوائد الاقتصادية من الاستثمارات التعليمية في بعض الدول المتقدمة والنامية. إلا أن الطلب الاجتماعي والاقتصادي على التعليم بكل أنواعه. وأيضًا الإنفاق التعليمي أصبحا في تزايد مستمر

الإنفاق التعليمي والموازنة العامة للدولة

ولأهمية تكوين صورة مقبولة عن الواقع، فلابد من



ارتباط موجب بين الإنفاق التعليمي والناتج المحلي غير النفطي

إيجاد المقياس الآخر، وهو المجهود النسبي، ويعبر عنه بالنسبة المئوية للإنفاق التعليمي في سنة معينة، إلى الموازنة السنوية العامة للدولة خلال السنة نفسها. وهذا المقياس يدل على مدى الأهمية التي توليها السياسات الحكومية للتربية والتعليم، قياساً على أهمية القطاعات الأخرى، مثل: الصحة، والزراعة، والنقل، والتجارة، والإسكان، وغيرها؛ أي: أن هذه العلاقة تستخدم لتوضيح مدى الجهد التعليمي في شكل رقمي، بالنسبة إلى الجهود الأخرى التي تبذلها الدولة، مع مراعاة الفرق الذي قد يحدث - أحياناً - سواء بالزيادة أو النقص، بين المبالغ المرصودة في الموازنة، والمعتمدة من السلطة العليا، والمبالغ المنصرفة فعلاً.

وفي المملكة العربية السعودية بلغ الإنفاق التعليمي عام ٢٠٠٠م (السنة الأولى من الخطة التنموية السابعة) أكثر من ٤٩ مليار ريال سعودي، أي: ما يعادل ٢٦,٧ ٪ من الموازنة العامة للدولة، وهي تعد قفزة كبيرة جداً تصل إلى الضعف - تقريباً - في فترة وجيزة، مقارنة بالسنة الأولى من الخطة التنموية الخامسة، التي بلغ الإنفاق التعليمي فيها (٢٥,٤٦٠ مليار ريال)؛ أي: ما يعادل ٧،١٨ ٪ من الموازنة العامة للدولة، وكذلك عن السنة الأولى من الخطة التنموية السادسة



الإنفاق التعليمي ودلالات على مواكبة العصر

والبالغ (٢٦,٥٤١ مليار ريال): أي: ما يعادل ١٧,٧ ٪ من الموازنة العامة للدولة. وتوضح الإحصاءات أن نسبة الإنفاق التعليمي إلى الموازنة العامة للدولة (خلال الخمس والثلاثين سنة الماضية). قد ارتفعت من ٩,٨ ٪ في عام ١٩٧٠م إلى ٢٧,٧ ٪ في عام ٢٠٠٤م. ويمعدل نمو سنوي في المتوسط مقداره ١٦٪ (١٢).

نصيب الفرد من الإنفاق التعليمي

يعد هذا المؤشر من المؤشرات الإحصائية المهمة عند مناقشة الإنفاق التعليمي، وتمويل التعليم لمعرفة النمو الكمي والكيفي من ناحية، وللمقارنة بين الدول من ناحية أخرى. وقد زاد نصيب الفرد من الإنفاق الحكومي على التعليم في المملكة العربية السعودية من ١٠٧ ريال عام١٩٧٠م إلى ٢٣٩٠ ريال – تقريباً – في عام ٢٠٠٢م، وبمعدل نمو سنوي بمقدار ١٦,٩ ٪ في المتوسط. وبشكل عام نجد أن نصيب الفرد من الإنفاق التعليمي تضاعف في عام ٢٠٠٣م بنحو ٢٣ مرة عن عام ١٩٧٠م.

وتجدر الإشارة إلى أن التحليل الإحصائي بيّن أن هناك ارتباطًا مرتفعًا وموجبًا بين الإنفاق التعليمي والناتج المحلي الإجمالي بشكل عام، والناتج المحلي الإجمالي غير النفطي بشكل خاص (النمو الاقتصادي) في المملكة العربية السعودية، ويدعم ذلك ما توصلت إليه دراسة علمية للباحث، إذ اتضح أن زيادة الإنفاق التعليمي تؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي للقطاع غير النفطي. وزيادة الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي ينتج منه زيادة في أعداد الملتحقين بالتعليم العام، إذ إن ناتج (دخل) القطاع غير النفطي في المملكة يعدّ عاملاً مؤثراً في أعداد

الملتحقين بالتعليم العام، وزيادة أعداد الملتحقين بالتعليم العام تتطلب زيادة في الإنفاق التعليمي، وهكذا.. أي: إن النمو في الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي في الأجل القصير ناتج من نمو الإنفاق الحكومي على التعليم، وليس بسبب النمو في أعداد المدرجين بالتعليم العام، أو المخرجات التعليمية (١٣).

ونخلص من ذلك إلى ضرورة زيادة الإنفاق التعليمي، والعمل على تنويع مصادر تمويله، والعمل على إشراك القطاع الخاص والأفراد في الإنفاق على التعليم، وبخاصة التعليم العالي لجدوى الاستثمار في هذا النوع من التعليم من الناحية الاقتصادية على المستويين الفردي والحكومي.

المراجع والهوامش

١- محمد منير مرسي، تخطيط التعليم واقتصادياته، ١٩٩٨م، ص١٢٧.

٢- انظر على سبيل المثال: Unesco, Statistical Yearbook, Unesco Publishing & Berman Press 1998م؛ وحسن العولقي ، تمويل التعليم وسبل تنميته في دول مجلس التعاون الخليجي، ١٩٩٨م، ص١١.

٣- أجريت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية على تتبع الزيادة في ميزانيات التعليم على مدى ربع قرن، وتم التوصل إلى أن ٢١٪ من هذه الزيادة تعود إلى ارتفاع الأسعار فقط، وأن نحو ٢٦٪ من هذه الزيادة تعود إلى الزيادة في رواتب المعلمين، وعلاواتهم ،وترقياتهم، وهذا يوضح بسهولة معرفة السبب في عدم تحسين أوضاع المعلمين المادية؛ وذلك لأن رواتب المعلمين تمثل في العادة الجزء الأكبر من النفقات الدورية للميزانية، إذ إنها تراوح ما بين٧٠٪ و٨٠٪، وباقي الميزانية يوزع على الأبواب الأخرى من الميزانية. وفي بعض الدول قد تتجاوز ذلك، فعلى سبيل المثال: نجد أن الإنفاق الجاري في وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية يبلغ ٨٦٪ من ميزانية الوزارة خلال الخطة التنموية الخامسة، وفي عام ١٩٩٣م فقط بلغ نصيب الباب الأول من ميزانية الوزارة الذي يمثل رواتب المعلمين وأجورهم ٨٨ ٪.

٤- محمد مرسي وعبدالغني النوري، تخطيط التعليم واقتصادياته، ١٩٧٧م، ص ص ١٨٦- ١٩٢، ومحمد مرسي، مرجع سابق، ص ص ١٢٧ - ١٣١، وللمزيد حول ميزانية أجهزة الحكومة في المملكة العربية السعودية، انظر على سبيل المثال: حسن العولقي، مرجع سابق، ص ص٣٢- ٣٣.

٥- حامد عمار، في اقتصاديات التعليم، ١٩٦٨م، ص ص ٩٨- ١٢٢، ومحمد مرسي وعبدالغني النوري، مرجع سابق، ص ص ١٨٤- ١٩٥، ومحمد مرسي، مرجع سابق، ص ص ١٢٧- ١٣١، وعبدالله العبيد، وعبدالقادر عطية، اقتصاد المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م، ص ص ٢٦٠ - ٢٧٢.

٦- يستخدم بعضهم مصطلح مخصصات التعليم، أو ميزانية التعليم؛ للدلالة على الإنفاق الحكومي على التعليم، وللمزيد انظر أيضاً: حسين المطوع، اقتصاديات التعليم، ١٩٨٧م، ص ١٤٦، ومصدق الحبيب، التعليم والتنمية الاقتصادية، ١٩٨١م، ص ص ١٢٢- ١٢٨، وعبدالله عبدالدايم، التخطيط التربوي، أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية، ١٩٦٦م، ط ٧ ، ١٩٩٣م، ص ٣٤٩، وحسن العولقي، مرجع سابق، ص ص٣٣ -٣٤.

٧- للمزيد انظر: حسين علي الشرع، الاقتصاد السعودي في مرحلة بناء التجهيزات الأساسية (١٣٩١-١٤٠٢هـ)، الرياض، ١٤٠٥هـ ص ص ١٩٤-٢٠٣.

٨- رفيق الكرك، تمويل التعليم وتقنيات برمجة الموازنة، ورشة عمل شبه إقليمية، دمشق، ١٩٩٥م، ص ص ٤٩- ٥٤.

٩- تجدر الإشارة إلى أنه قد يستخدم الدخل القومي National Income ليعني الناتج القومي العام "GNP"؛ لأن الاقتصاديين يساوون بين المصطلحين: الناتج القومي والدخل القومي، ويقصد بالدخل القومي (أو الناتج القومي) قيمة كل ما ينتجه المجتمع من سلع وخدمات، مقوماً بالأسعار الجارية خلال فترة زمنية قدرها سنة". للمزيد انظر على سبيل المثال: فايز الحبيب، مبادئ الاقتصاد الكلي، ط٢ ، ١٩٩٤م، وعبدالناصر محمد رشاد، التعليم والتنمية الشاملة: دراسة في النموذج الكوري، ١٩٩٧م، ص ١١٠، ومحمد منير مرسي، مرجع سابق، ص ص ٧٦ - ٧٧.

١٠- محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص ١٢٨.

١١- المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم، مركز المعلومات الإحصائية، تقرير موجز عن تعليم البنين في المملكة العربية السعودية ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ.

١٢- في حين تجاوزت ميزانية التعليم للسنة الأولى من الخطة التنموية الثامنة سبعين مليار ريال سعودي.

١٢- للمزيد حول العلاقة بين الإنفاق التعليمي والنمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية انظر دراسة للباحث، وابن عبيد منشورة في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١١٤، يوليو ٢٠٠٤م، ص ص ١٤٣- ١٧٥.



الهتاف للموت

سمير أحمد عطا

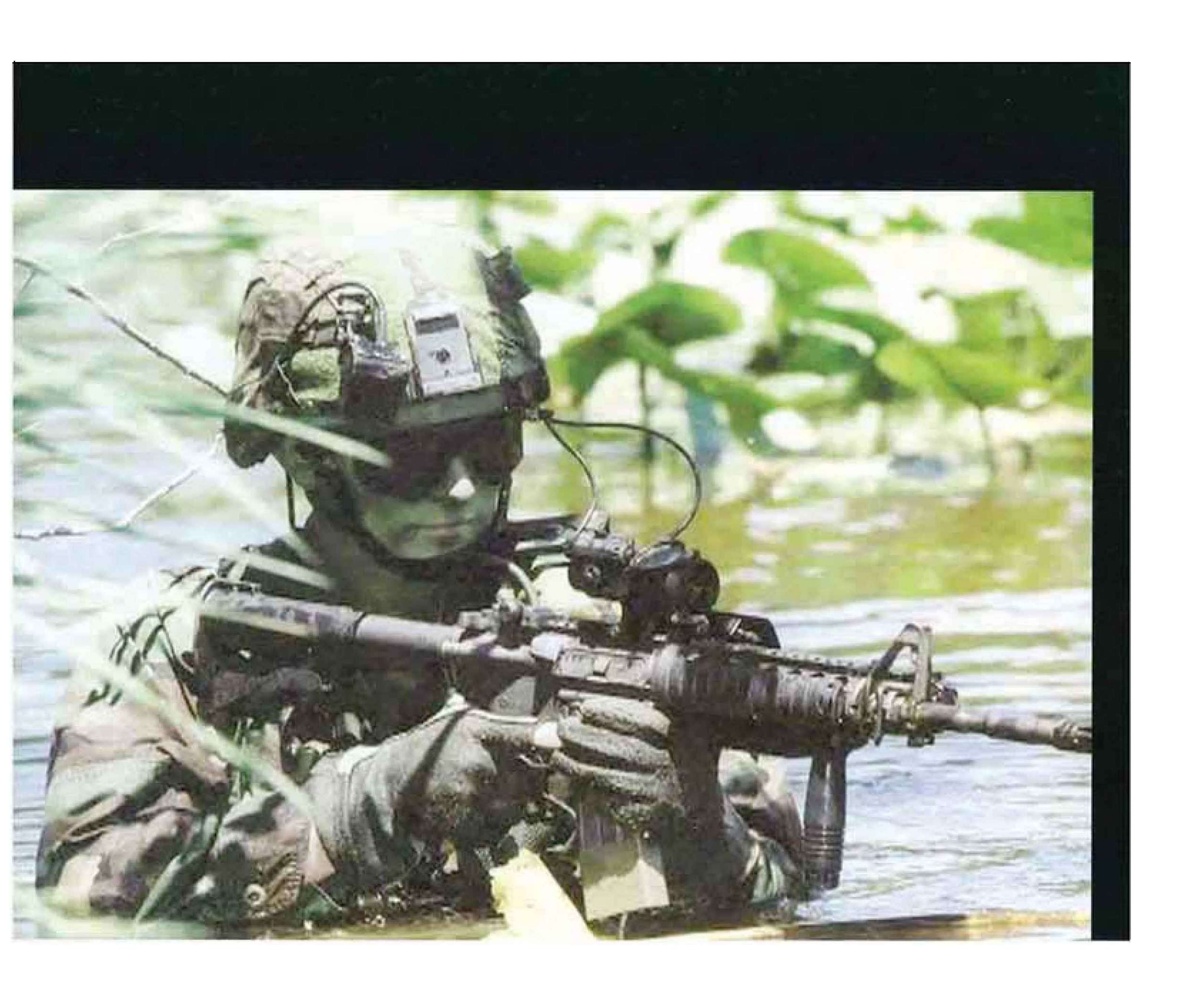
القاهرة - مصر

من بين صور الأدب الفرنسي الحديث صورة، أو شخصية الرجل ذي الماضي الذي يحاول الهرب منه، وينطلق بحثًا عن حياة جديدة يركن إليها، ومأوى يعيش في كنفه. ثم يجد ضالته في الالتحاق بما يسمى الفرقة الأجنبية الفرنسية Legion Francaise Etrangere. ويعيش حياته الجديدة في رحابها بكل ما لها وما عليها.

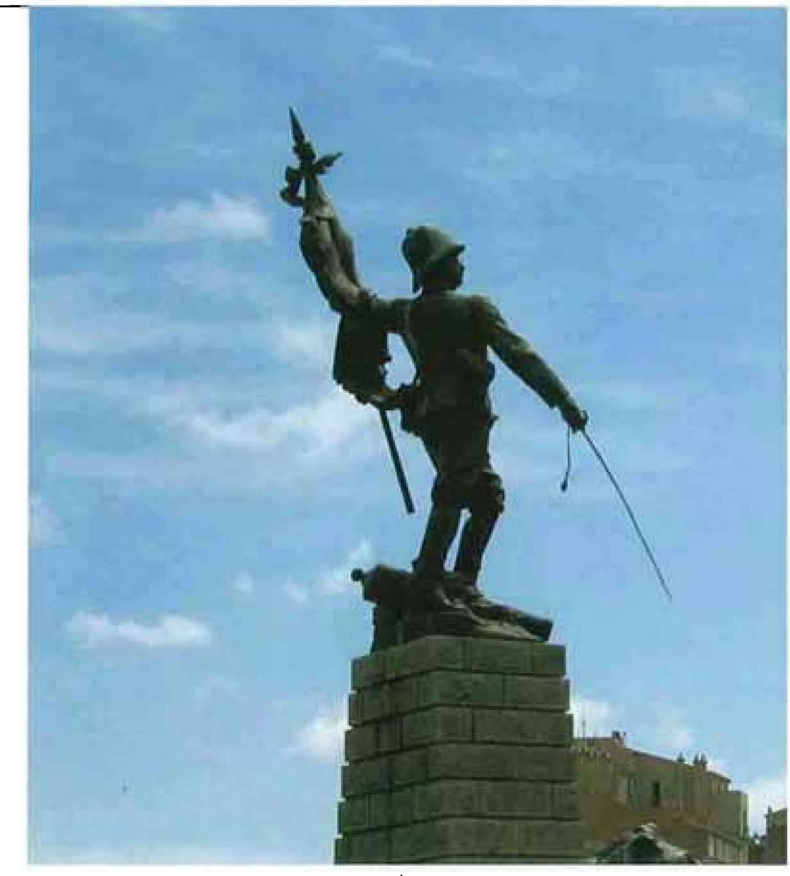
ومن أشهر ما كتب - في هذا الإطار - رواية أو ميلوردا أوليك أوذكريات أحد أفراد هذه الفرقة عن سنوات خدمته بها.. وانتشرت بعض الأغاني والألحان تشيد بشجاعة مقاتلي هذه الفرقة، كما أصبحت مادة لرسومات الأطفال عن المغامرات التي يقومون بها. ومن أشهر ما صور عن ذلك الرواية السينمائية التي قام ببطولتها ممثل الحركة والإثارة فان دامياسم لجيونير Le-gionnaire، وهو الاسم، أو اللقب الذي يطلق على كل من يلتحق بهذه الفرقة، وبها تفصيلات دقيقة ومهمة عن خبايا الحياة في هذه الفرقة.. كما أذكر فلمًا آخر بطله نجما الكوميديا - في أول عهد السينما - لوريل وهاردي، مملوءًا بصور ساخرة عن كفاح المجاهدين الجزائريين - بصورة ساخرة - ضد رجال الفرقة (اللجيون) في مقابل (شجاعة) أفرادها، والتضحيات التي يقدمونها لنشر الحضارة الغربية وسط ذلك الجو المتخلف! البربري حسب مزاعمهم!.

مرتزقة من قاع المجتمع

واللجيونير - أساسًا - هو رجل مرتزق. والمرتزق هو



شخص يعرض نفسه على سلطة، أو قيادة جيش لدولة ما للالتحاق بهذا الجيش كمتطوع يخدمها، ويعمل بها مقابل راتب أو مكافأة مالية، فضلاً عن توفير أسباب المعيشة في نطاق أحكام القوة العسكرية وقوانينهاالتي يخدم تحت قيادتها، وضمن شروط خاصة كانت - دائمًا - غير إنسانية، واستغلالية لدرجة الموت.. ويلجأ المرتزق إلى ذلك لدوافع شخصية بحتة كأن يكون مجرمًا فارًا من أحكام قضائية، أو عقوبة، أو متسولاً، أو متشردًا لا يجد عملاً، ومن ثم فإن المرتزقة ينتمون - غالبًا - إلى الطبقات الدنيا من قاع المجتمع.. أو ربما في حالات خاصة من طبقة راقية؛ وذلك لمجرد الرغبة في المغامرة، بل ربما عمدت دولة ما أن تؤجّر بعض قواتها لدولة أخرى، أو لشخصية متميزة في دولة ما لحمايته الشخصية، وتقبل الدول المستأجرة ذلك لضعف قواتها العسكرية، أو لحماية قواتها النظامية بالاستعانة بهؤلاء المرتزقة في الاشتباكات الحربية الخطيرة، وفي الصفوف المتقدمة (١) وقد عرفت حضارات قديمة متعددة، مثل: الحضارات الإغريقية، والرومانية، والحضارات الشرقية



نصب تذكاري لأحد الأفراد الفرنسيين بالفرقة الأجنبية

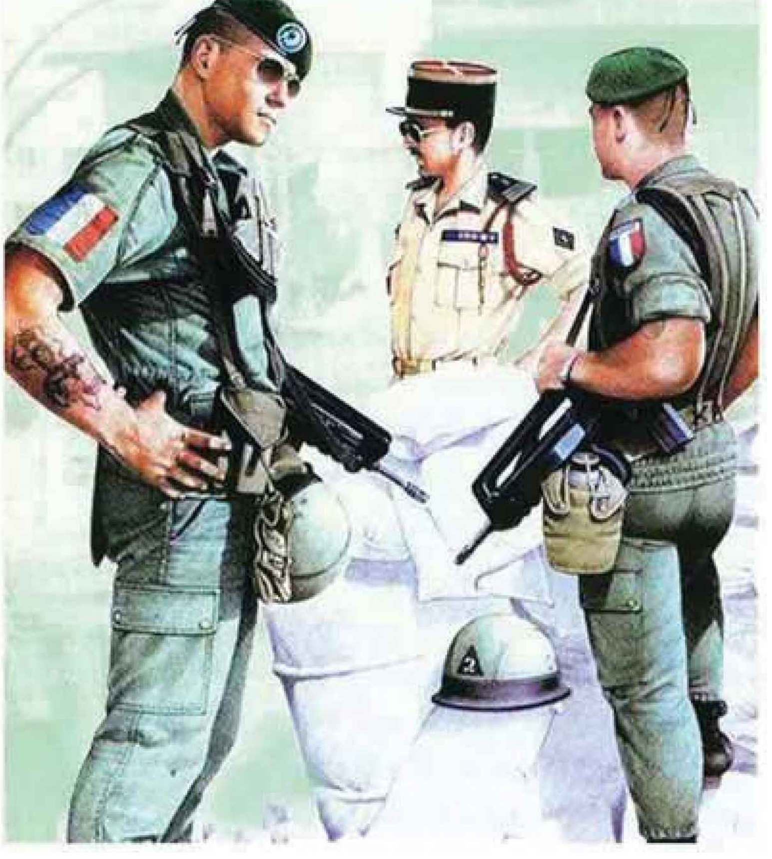
المختلفة، هذا النظام. إلا أن هذا النظام تراجع مع ازدياد اعتماد الدول على قواتها المسلحة، وإدخال عناصر ونظم وقوانين عسكرية جديدة، حتى جاءت فرنسا، وغزت الجزائر، فأعادت إحياء النظام في إطار يفقد المرتزق شخصيته؛ بل وحياته تحت وهم أنه يبدأ فصلاً جديدًا في حياته حتى عدّ النظام الفرنسي للجيونير المرتزق أكبر نظام ارتزاقي وأخطره وأقساه عرفه التاريخ؛ بل وأصبح أكبر قوة تعتمد عليها الدولة في تنفيذ سياساتها الاستعمارية في العصر الحديث بدءًا بالجزائر.

كانت فرنسا قد قررت استعمار الشاطئ الإفريقي الشمالي على البحر الأبيض المتوسط، ولعوامل كثيرة قررت البدء باستعمار الجزائر، ذلك أنها كانت قد فقدت مستعمراتها خلال حروب نابليون، ولم ترض أن تقف متفرجة على انجلترا وهي توسع سلطانها شيئًا فشيئًا على دول العالم، فارتأت فرنسا أن تبدأ ثانية في تكوين إمبراطوريتها من جديد.. كان ملك فرنسا في ذلك الوقت هو شارل العاشر وكان يعاني ازدياد المعارضة الداخلية لأسلوب حكمه، فأراد - كما يحدث غالبًا في مثل هذه الظروف - أن يصرف أنظار مواطنيه بالدخول في حروب خارجية خصوصًا أنه يضمن حيازة نصر سريع!.

فماذا يمكن أن تكون ذريعته؟ كانت فرنسا - في أثناء حروب نابليون - في ضائقة اقتصادية كبيرة، فاستعانت بالجزائر لحل هذه الضائقة الاقتصادية بشراء حبوب بأسعار مؤجلة بوساطة تاجرين يهوديين تدخلا في هذا الأمر، هما الأخوان بوشناق اللذان أدّيا دورًا تآمريًا في الصفقة تلكأت بموجبه فرنسا في دفع مديونيتها للجزائر. وكانت حادثة المروحة الشهيرة التي اتخذت منها فرنسا ذريعة لاحتلال الجزائر، حين لطم داي (٢) الجزائر القنصل الفرنسي بمروحته ردًا على إجابة متهكمة من القنصل، وهي ذريعة قال عنها مترنيخ (٣) : «إنه ليس من أجل ضربة مروحة تقدم فرنسا على صرف ١٠٠ مليون فرنك، وتبعث بنحو ٤٠ ألف رجل.. إنها أسباب أعمق من ذلك».. كما قالها صراحة كثير من المؤرخين الفرنسيين أنفسهم؛ إذ إنهم يرون أن الجزائر بالنسبة إليهم هي أرض الأمل.. وقول بعضهم: (لقد وضعنا أول أساس لمستقبل إمبراطوريتنا الإفريقية، ووضعنا أساسًا قويًا للسياسة الاستعمارية في البحر المتوسط، وأمّنا الطريق من جبل طارق إلى مالطة) (٤).

مشروع التحالف الفرنسي المصري

وأرادت فرنسا أول الأمر أن تشرك محمد علي باشا


شعارات وأوسمة ورتب مختلفة للفرقة الأجنبية

- والي مصر - في فتح الجزائر منفذة سياسة تقسيم أملاك الدولة العثمانية.. أما لماذا أرادت ذلك فلأنها كانت تخشى أن تقوم بالحملة وحدها فيقطع الإنجليز عليها طريق البحر، كما فعلوا معها في مصر، فضلاً عن وجود جماعات غير نظامية، وقراصنة من كلا الجانبين - الجزائري والفرنسي - وهو ما سيكون مصدر ضيق للفرنسيين، ويمكن لقوات محمد علي - على الأقل - أن تتكفل بالرد على هذه الجماعات، لما لقوات محمد علي من قدرة على مواجهة الأعراب، وتحمل جو الصحراء ومخاطرها. وأمر وزير الخارجية الفرنسية سفيره في إستانبول في أكتوبر عام١٨٢٩م (٥) ليحصل على فرمان من السلطان العثماني يمنح محمد علي بموجبه سلطة الاستيلاء على الجزء الشمالي من إفريقية.. لكن محمد علي لم يتجاوب مع هذا الأمر؛ إذ كان يخطط لمجابهة السلطان نفسه ومحاربته فطلب؛ لكي ينضم إلى الفرنسيين في احتلال الجزائر طلبات عسكرية معجزة، رأى الفرنسيون أنها سوف تضعف من موقفهم بدلاً من اكتساب قوة إضافية تسعى إليها، فضلاً عن أن الإنجليز قد تسرب إليهم نبأ هذه المفاوضات فتدخلوا في الأمر، وفشل مشروع التحالف الفرنسي - المصري حسب ما كانت تريده فرنسا. وانتهز اليهود القاطنون في الجزائر (٦) الفرصة لاستغلالها بالوقوف إلى جانب فرنسا، إذ زعموا أن قيام حملة فرنسية على الجزائر سيكون خطوة لتحرير اليهود من الاضطهاد العربي.. ! وأن الفرنسيين سوف يعملون على سنّ قوانين مساواة بين اليهود والجزائريين؛ بل واليهود المقيمين في فرنسا. ولذلك ظهرت منهم طائفة تجسّس لحساب الفرنسيين حيث كانوا متغلغلين في المجتمع الجزائري ووجودهم بها قديم يرجع إلى عصر قرطاجنة (٧).. وبدأت فرنسا حربها على الجزائر.. فجرت عدة أحداث، وهددت فرنسا الداي بحصار إن لم يقدم اعتذارًا (بصيغة مهينة) عما فعله مع القنصل الفرنسي.. وحين لم يقدم هذا الاعتذار حشدت فرنسا ٤٠ الف جندي وثلاثة آلاف مدفع وأكثر من ٣٠٠ سفينة ونزلت هذه القوات ضاحية سيدي فرج.. وبعد خمسة أيام من القتال دخلت مدينة الجزائر العاصمة يوم ٧/٥ / ١٨٣٠ م.

ومنذ اليوم الأول للعرب في الجزائر ووجهت القوات الفرنسية بمقاومة شديدة، أعقبها عدة ثورات بدأها الأمير عبدالقادر الجزائري بين عامي(١٨٣٠م و ١٨٤٧م) والقبائل عام (١٨٥٢م) ومحمد عبدالله عام (١٨٥٢م) وأولاد سيدي الشيخ من عام (١٨٦٤م إلى ١٨٨٤م)

والمقراني عام (١٨٧١م) وثورات عام ١٩٤٥م و١٩٥٤م التي انتهت باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م.

بداية اللجيون

خلال هذه السنوات وطوال ١٣٢ عامًا كانت فرنسا تمارس في الجزائر وضد الثوار والوطنيين حربًا ضروسًا مستعينة، أول مرة في التاريخ الحديث - بإنشاء فرقة عسكرية من جنسيات أجنبية تحارب إلى جوار، بل وفي مقدمة القوات النظامية. ومنذ بداية الحرب شكلت هذه الفرقة بأمر من الملك لويس فيليب Louis Philippe في ١٠ مارس عام ١٨٣١م للاشتراك في الحرب في الجزائر، فضلاً عن أن لويس فيليب كان له هدف آخر هو إنشاء قوة مقاتلة لحمايته وتقوية مركزه إزاء نفوذ الجيش (٨).

ومنذ بداية تشكيل الفرقة اتخذت لها على الأرض الجزائرية قاعدة رئيسة في سيدي بلعباس، وظلت هذه القاعدة المركز الرئيس للفرقة حتى استقلال الجزائر، فانتقل المركز الرئيس إلى أوباني Aubagne بالقرب من مرسيليا بجنوب فرنسا مع قواعد فرعية أخرى في جزيرة كورسيكا، وفي جويانا الفرنسية، وجيبوتي، وجزيرة مايوتي إحدى جزر دولة جزر القمر.

تشكلت الفرقة (اللجيون) أول أمرها من أربعة آلاف رجل من الأوربيين غير الفرنسيين، وكانوا غالبًا من دول وسط أوربا، موزعين على وحدات بحسب لغاتهم، ولكن تحت علم واحد هو علم الثورة الفرنسية المثلث الألوان، وهي الألوان نفسها التي تميز زيهم.. سروال أحمر واسع، ومعطف أزرق، وطاقية بيضاء، وإن تغيرت الألوان فيما بعد إلى اللون البني الفاتح (الكاكي) بعد الحرب، وجعلت للجيون شارة خاصة، وهي رمانة تخرج منها سبعة ألسنة نارية، ولها شعار خاص هو اللجيون التي هي أرض الآباء Legion Patria Nostra. وكان الفرنسيون الذين يودون الانضمام إلى اللجيون؛ بسبب ظروف كل منهم الشخصية يلجؤون إلى تغيير جنسيتهم بأوراق مزورة لجنسيات أوروبية أخرى.. ثم تطور الأمر، وتم قبول الفرنسيين غير المرغوب فيهم في المجتمع الفرنسي من المحكوم عليهم بالإعدام، والشحاذين، والمجرمين عامة. ولم يكن يقبل من الرجال إلا من كان سنّه بين ١٨ و٤٠ سنة، ويخضع لفحص طبي وجسماني للتأكد من إمكانية الاستفادة منه.. والحد الأدنى لفترة الخدمة - حسب العقد الذي يبرم مع السلطات - هو خمس سنوات قابلة للتجديد.

كانت أهداف اللجيون تحوطها التناقضات والغموض أول الأمر، إلا فيما يتعلق بالنواحي العسكرية، والنظام الداخلي، والواجبات المنوطة باللجيونير، وأولها: أنت مرتزق مأجور.. أرسلك إلى الموت فإما أن تتغلب عليه وتنتصر، وإما أن تقتل نفسك بنفسك والتوقيع جنرال دي نجريير General de Negrier، وعلى اللجيونير الذي تطالعه هذه المقولة مكتوبة على جدران العنبر الرئيس للنوم في قلعة سان جرمان بمرسيليا، وباللغة الفرنسية.. عليه أن يقول حتى من دون أن يفهم العبارة إذا لم يكن يتكلم الفرنسية.. عليه أن يقول: أنا أقبل.. ويصبح ذلك أول

أرادت فرنسا -أول الأمر- أن تشرك محمد علي باشا - والي مصر - في فتح الجزائر منفذة سياسة تقسيم أملاك الدولة العثمانية.. أما لماذا أرادت ذلك فلأنها كانت تخشى أن تقوم بالحملة وحدها فيقطع الإنجليز عليها طريق البحر. كما فعلوا معها في مصر

التزام يلتزمه . وهناك رمز تقدسه اللجيون تمثل يد ضابط اسمه دانجو Danju، كان قائد وحدة من ستين رجلاً ماتوا على بكرة أبيهم في ٣٠ ابريل عام ١٨٦٣م في منزل ريفي - نسف بهم - بالقرب من قرية مكسيكية تدعى كاميرون Cameron، عقب حصار اعدائهم المكسيكيين لهم.. لذلك دأبت اللجيون على أن تحيي ذكرى هذا اليوم في احتفال سنوي؛ إحياء لمعنى الطاعة حتى الموت.

ولضمان ولاء اللجيونير لفرقته لم يكن يقبل على الفور.. كان يعطي ٢٤ ساعة لإعادة التفكير في قراره، إما أن يقبل التجنيد بكل شروطه ويلتزم لوائحه، ويوقع بذلك على العقد الذي يبرم بينه وبين رئاسة الجيش، أو يتراجع عن رغبته.. ولم يكن غريبًا أن يقبل كل راغب في الالتحاق باللجيون كل ما يملى عليه من شروط وذلك لظروفه الشخصية، وهي شروط في مجملها غير إنسانية، أولها أن يتخلى - تمامًا - عن كل حقوق مدنية له قبل رئاسته، وأن يعفي الحكومة الفرنسية من اي مسؤولية عما يحيق به من إصابات أو قتل، كما لا يطالبها بأي تعويض إلا إذا كان قد خدم ثلاث فترات متعاقبة، كل منها خمس سنوات؛ أي لمدة خمسة عشر عامًا متواصلة.. هذا إذا بقي على قيد الحياة بعد هذه الفترات الثلاث.

تأهيل اللجيونير

وقد عملت الدعاية الفرنسية - دائمًا - على تصويرهم كمثل أعلى للشجاعة وقت الحرب، ولتدعيم هذه الدعاية فقد عمدت الحكومة الفرنسية إلى أن يكون قادة اللجيون من خيرة المتدربين والمتخرجين في كلية سان سير St.Cyr العسكرية الفرنسية. كما حرصت على ألا تطلق عليهم بعد ذلك لقب المرتزقة؛ وإنما كانت

إذا أثبت اللجيونير جدارته وقوة تحمله، كان يحوز درجة أعلى من ناحية الغذاء والمعاملة. وربما رقي حتى رتبة الرائد.. وكان المرتزقة الفرنسيون هم الأكثر التزامًا بهذه النظم؛ لأن معظمهم كانوا من المجرمين الفارين من عقوبات وأحكام قضائية

تسميهم المتطوعين. وبعد قبولهم يرسلون إلى قلعة سان جين St. Jean في مرسيليا حيث يظلون بها وقتًا حتى تأتي البواخر لنقلهم إلى وهران بالجزائر، ومن وهران إلى قاعدة سيدي بالعباس.

كان التدريب الأساسي - قبل السماح للمرتزق بالاشتباك في الحرب - يستغرق ستة أشهر، وهي المدة نفسها التي يستغرقها الجندي العادي (وإن كانت تلك الفترة تتقلص في الأوقات الحرجة إذا استدعى الأمر). وكان هذا التدريب قاسيًا في كثير من جوانبه، ومنه إجبار اللجيونير على السير المتواصل ٣٥ ميلاً كجزء من برنامج يومي، وهو يحمل مخلاة مملوءة بالرمل تزن ٧٠ رطلاً، أو تكون نصفها من الحجارة والنصف الآخر زاده اليومي من الغذاء والذخيرة. وفي قاعدة سيدي بالعباس كانت الحجرات التي يقيمون بها أشبه بالزنزانات الصغيرة، التي يشعر اللجيونير فيها بدمائه وكأنها تغلي من شدة الحرارة، أو يتجمد من البرد.. وكان على اللجيونير أن يكون حارسًا على نفسه بنفسه؛ أي: يكون مسؤولاً عن نفسه في أثناء وجوده بالخدمة فيما يتصل بمتعلقاته الشخصية، أو سلاحه، فإذا سرق منه شيء فيمكن أن يستعيضه بسرقة شيء مماثل من زملائه بأي وسيلة.. وكان هذا السلوك تحكمه لائحة يعترف بها الجميع، مع



شارل ديغول في أثناء زيارته إلى الجزائر

أنها غير مكتوبة.. والغرض من ذلك تعويد اللجيونير على أن يكون حريصًا على هذه المتعلقات.. أما إذا ضبط وهو يسرق زميله في حالة تلبس فإن رفاقه يحاكمونه بأنفسهم ويعاقبونه بالطريقة التي تتناسب مع حجم الشيء المسروق وقيمته. كذلك إذا ضبط متلبسًا وهو يبيع شيئًا من حاجياته ومتعلقاته، فهذه من الجرائم التي يعاقب عليها عسكريًا، ويتم اعتقاله في معسكر كولم بيشار بالصحراء في حراسة زملاء آخرين - من السنغاليين في الأغلب - وعند وصول المتهم إلى المعسكر يوضع أولاً في زنزانة منفردة تحت الأرض.. فإذا استطاع أن يقضي ستة أسابيع من دون أن يصاب بالجنون، ينقل إلى المحاجر التي يعيش فيها عيشة غير آدمية، فهو يسير حافي القدمين فوق الرمال الملتهبة، ويأكل مرتين في اليوم فقط، بينما تلهب السياط ظهره إذا تقاعس عن العمل، وأي احتجاج يفضي إلى زيادة مدة العقوبة من دون أي تحقيق، ومن ثم يلقي اثنان من كل ثلاثة سجناء حتفهم.. في حين إذا أثبت اللجيونير جدارته وقوة تحمله، كان يحوز درجة أعلى من ناحية الغذاء والمعاملة، وربما رقي حتى رتبة الرائد.. وكان المرتزقة الفرنسيون هم الأكثر التزامًا بهذه النظم؛ لأن معظمهم كانوا من

المجرمين الفارين من عقوبات وأحكام قضائية، فكانت اللجيون ملاذًا لهم، عليهم أن يدفعوا ثمنه بهذا الالتزام.

هذه المعاملة المفرطة في القسوة نتج منها أن يخلص اللجيونير مجبرًا للنظام المفروض عليه، ويربطه برباط غريب من الولاء كالفراشة التي تلقى حتفها وهي تنجذب إلى قوة الضوء الحارق . وكان نجريير Negerier يفسر ذلك بأن التعود على النظام يعيد للجيونير كرامته التي أهدرت وافتقدها قبل أن يلتحق بالفرقة، سواء بسبب سلوكه الإجرامي، أو واقع فقر مدقع كان لا يجد حياته فيه.

وقد بدأت اللجيون عملها في شمال إفريقية باحتلال مركز تجاري على الطريق إلى مراكش، وهو الموقع الذي انشئ فيه المركز الرئيس للجيون في سيدي بالعباس.. وبعد إنشاء هذه القاعدة تطور مركز اللجيون بحيث اصبح يضم آلافًا من المجندين المرتزقة.

وفي قاعدة ميزون كاري Maison Carre تم وضع لائحة، هي خليط من التوجيهات، والأوامر، والالتزامات، منها: إذا هوجمت فقف، وقاتل وكأنك لا تنتظر مددًا من اي نوع.. اعمل على الاّ تقع أسيرًا، ولا تستسلم أبدًا . وإلى جانب هذه اللائحة إيحاءات عما يمكن أن يلقاه اللجيونير، لو وقع أسيرًا بين يدي الأعداء خصوصًا من النساء الجزائريات، اللاتي يتسلين بقطع جسم الأسير قطعة قطعة وهو حي، أما العظام فهي تنشر أو تدق وسط التهليل والزغاريد .

كانت فرنسا قد غزت الجزائر قبل تشكيل الفرقة الأجنبية بعام، وكان الوضع العسكري للقوات النظامية متدهورًا بعد دخوله معارك كثيرة مع الوطنيين. ومع انتصارهم عسكريًا إلا أنهم كانوا في وضع سيئ وخطير بسبب المقاومة الجزائرية

وحدات اللجيون والمقاومة الجزائرية

تزايد عدد قوات اللجيون وأصبحت تضم سبع وحدات، تتشكل الأولى منها من كتائب السويسريين القدماء، والثانية والثالثة من سويسريين جدد، وألمان. والرابعة من الإسبان، والخامسة من الإيطاليين. والسادسة من البلجيك والهولنديين. والسابعة من البولنديين. إلى جانب وحدات صغيرة من الأفارقة . غير أن هذا التقسيم أثبت خطأه إذ كانت هذه الوحدات تتنافس فيما بينها عند القتال مع العدو الجزائري؛ وهذا ما كان يحقق فوضى في النظام العسكري، أدى إلى فكّ هذه الوحدات، وتوزيعها ثانية من دون الارتباط بالجنس، أو العنصر.. وبذلك أصبح لزامًا على اللجيونير أن يتخلى عن أي إحساس، أو ارتباط بجنسه السابق.

كانت فرنسا قد غزت الجزائر قبل تشكيل الفرقة الأجنبية بعام، وكان الوضع العسكري للقوات النظامية متدهورًا بعد دخوله معارك كثيرة مع الوطنيين. ومع انتصارهم عسكريًا إلا أنهم كانوا في وضع سيئ وخطير بسبب المقاومة الجزائرية. وكانت المقاومة قد بدأت مع أول يوم للهجوم الفرنسي، وكانت على نوعين: مقاومة رسمية، ومقاومة شعبية. وقد بدأ النوع الأول (داي) الجزائر، واستمر بعد سقوط مدينة الجزائر العاصمة بقيادة (باي) وهران إلى أواخر عام ١٨٣٢م، وفي شرق الجزائر بقيادة (باي) قسنطينة إلى عام ١٨٣٧م. وبدأ النوع الثاني من المقاومة عندما بايعت قبائل منطقة وهران في صيف عام ١٨٣٢م الأمير عبدالقادر الجزائري قائدًا وزعيمًا للبلاد، واستمرت مقاومته إلى عام ١٨٤٤م، سيطر في أثنائها على ثلثي أراضي الجزائر، واستطاع



نابليون

في بداية المقاومة أن يحصر المستعمر الفرنسي على الساحل فأصبح غير قادر على التوغل إلى عمق البلاد، فعمد المستعمر إلى سياسة المكر والمفاوضة، وعقد مع الأمير عبد القادر معاهدتين: واحدة عام ١٨٣م، والثانية عام ١٨٣٧م، ومكّن ذلك الجنرال كلوز يل من احتلال مدينة معسكر عاصمة الأمير عبدالقادر، ثم اتجهت أنظارهم إلى مدينة قسنطينة ثانية مدن الجزائر. وفي يناير عام ١٨٣٧م نجحت حملة كبيرة في الاستيلاء عليها بقيادة الجنرال دامريمونت، وكانت حملته تضم عددًا كبيرًا من كتائب اللجيون.. وكان دامريمونت عندما حاصر البلدة قد أرسل رسالة إلى بن عيسي قائد المدافعين، تحوي إنذارًا بأنه إذا لم تستسلم المدينة فإنه سوف يدكها تمامًا حتى لا يبقي لها أثرًا. أما إذا استسلمت فسوف يحافظون على هذه المدينة الجميلة، التي لا يود الفرنسيون هدمها.. وكان رد بن عيسي: لو نفذت ذخيرة المسيحيين فسوف نعطيهم بعضًا مما لدينا؛ لأن لدينا كثيرًا منها، وإذا كانوا في حاجة إلى الخبز فسوف ندعهم يشاركوننا فيما لدينا، ولكننا لن ندع أحدًا من الفرنسيين يدخل قسنطينة.. وهذا ما دعا دامريمونت إلى إطلاق مدافعه بكثافة بالغة. وعندما قتل على يد أحد الفدائيين العرب خلفه نائبه الجنرال فاليي Valee، الذي لاقى هزيمة في أول الأمر حتى إنه فقد

وعلى عكس القوات النظامية. كان يسمح للجيوناريو بإطلاق لحيته. وأن يفتح قميصه عند الصدر ولا يزرره بأزرار. وله أن يرسم الوشم على أي جزء من جسده. خصوصًا وشم درع الفرقة

كان كثير من يهود شرق أوربا قد هربوا إلى فرنسا، وانضموا إلى اللجيون. وبعد سقوط الرايخ الثالث الألماني بلغ عدد اللجيونيرز الألمان ٣٥ في المئة. وهذا ما دفع فرنسا إلى توجيههم مرة أخرى إلى الهند الصينية. ضد الشيوعيين

نصف، رجاله وقتل هو الآخر. ولكن قاد الهجوم الأخير كابتن سانت آرنود St.Arnoud وهو يصيح صيحة أصبحت نداء تتميز به اللجيون بعد ذلك، وهي: إليّ أيتها الفرقة الأجنبية A moi La Legion، فهرع إليه اللجيونيرز - جنود الفرقة - وساندوه حتى حاز النصر في النهاية، وفقدت اللجيون في سبيل ذلك أربعمئة من عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة وهم خمسمئة لجيونير.

وكان لسقوط قسنطينة أثر كبير في تكثيف هجمات الأمير عبدالقادر، حتى استطاع أن يوجد نوعًا من التوازن بين القوتين المتحاربتين وذلك ما دعا فرنسا إلى طلب عقد معاهدة معه عام ١٨٣٨م، تخلت له بموجبها عن حكم وهران. غير أن الفرنسيين نقضوا هذه المعاهدة عام ١٨٣٩م فبدأت بذلك المرحلة الثانية من الجهاد. عندما حشدت فرنسا تحت قيادة الجنرال بوجو مئتي ألف جندي لمواجهة المجاهدين. وقد اتبع بوجو سياسة وحشية تدميرية أثارت حتى بعض النواب الفرنسيين.

وفي عام ١٨٤٤م عهد بوجو إلى اللجيون بالهجوم على قوات الأمير عبدالقادر، التي كانت تسد طريق الجنوب الشرقي أمام الفرنسيين، وفقدت اللجيون سبعمئة رجل من مجموع ألف لجيونير. ثم أعادت اللجيون محاولاتها لاحتلال واحة زاتشا جنوب بسكرة

وكانت تحت حماية الشيخ بوزيان ومعه عشرة آلاف مقاتل.. وقاد اللجيون ملازم جايارد Galliard في يوليو عام ١٨٤٩م، وفقد مئتين من رجاله من بين خمسمئة لجيونير.. ولم يمهله بوزيان فتعقب ما بقي من رجال اللجيون، في حين واجههم من طريق آخر سيدي عبدالحفيظ قرب قرية سريانا، وانتهت المعركة بالقضاء على كل رجال اللجيون. وعندما جاءت نجدة بقيادة الجنرال هربيون Herbillon، لم يعثر إلا على أجسادهم المبعثرة في كل مكان على أرض المعركة، وانتقامًا لذلك ضرب هربيون حصارًا على واحة زاتشا في أكتوبر عام ١٨٤٩م إلى أن سقطت في يده، وقام بتعليق رأس بوزيان وابنه وعدد من قادة المجاهدين على قوائم خشبية بمدخل قلعة الواحة.

لم تهدأ القبائل وتوالت انتفاضاتها الشعبية فشنّ الجنرال راندون حملات انتقامية مرتكبًا فظائع يندى لها جبين الإنسانية.. ومن تلك الانتفاضات انتفاضة بن سناسن عام ١٨٦٠م، وانتفاضة أولاد سيدي الشيخ بين عامي ١٨٦٤م و١٨٦٧م، وانتفاضة المقراني عامي ١٨٧٠م و١٨٧٢م، وقد كانت هذه الانتفاضة الأخيرة ذات أثر ضاغط كبير على فرنسا؛ لأنها تصادفت مع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام ١٨٧٠م، ودخول القوات الألمانية باريس.. وتميزت انتفاضة المقراني بشدتها واتساع رقعتها، ذلك أنها اندلعت شرق الجزائر، فعمت جبال القبائل أولاً، وإقليم قسنطينة، ثم امتدت حتى أطراف سهل الميتجه غربًا، وبسكرة جنوبًا، وأصبحت تسيطر على ثلثي أراضي الجزائر، إلا أن عمرها كان قصيرًا فقد استشهد أبرز زعمائها محمد احمد المقراني في معارك عام ١٨٧١م؛ وهذا ما شتت الأطراف التي شاركت في هذه الانتفاضة، ودفعها إلى المفاوضة من أجل التسليم مع أن بومرزاق المقراني الذي خلف أخاه في زعامة الانتفاضة قد واصل الكفاح، حتى أسرته القوات الفرنسية ومن بقي من أتباعه في يناير عام ١٨٧٢م.

وقد تلت هذه الانتفاضة أكبر محاكمة في نوعها في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكانت أحكامها ذات طابع انتقامي هدف إلى ردع الوطنيين حتى لا يحدّث أحد نفسه بالانتفاضة مستقبلاً.. وقد تمثلت في صدور ستة آلاف حكم بالإعدام خفف معظمها فيما بعد ونفي المحكوم عليهم إلى جزيرة خاليدونيا الجديدة الفرنسية جنوب المحيط الهادي.

وكان لابد أمام حرب الإبادة الفرنسية من التفكير في إيقاف الحرب من جانب المجاهدين، فاستسلم الأمير عبدالقادر عام ١٨٧٤م ونفي إلى تطوان، واستقر أخيرًا في دمشق، ومات فيها.

دور حاسم

كان للجيون دور بارز وحاسم في كل هذه الحروب، إذ كانت - دائمًا - في صدر المعركة تتلقى أولى رصاصات المجاهدين.. واستقر الأمر للفرنسيين إلى أن حدثت انتفاضة ولد بو أمينة، واشتبك اللجيونيرز في أهم آخرة معاركهم مع الثوار في معركة شط تجري في أبريل عام

عملت الدعاية الفرنسية - دائمًا - على تصويرهم كمثل أعلى للشجاعة وقت الحرب، ولتدعيم هذه الدعاية فقد عمدت الحكومة الفرنسية إلى أن يكون قادة اللجيون من خيرة المتدربين والمتخرجين في كلية سان سير St.Cyr العسكرية الفرنسية. كما حرصت على ألا تطلق عليهم بعد ذلك لقب المرتزقة

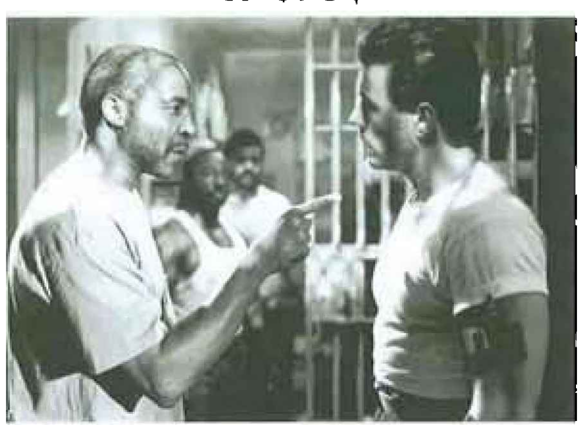


نموذج يمثل رجلاً من جنود المشاة الأجانب جزائري أو مغربي في الفيلق الحكومي الثاني للأجانب

١٨٨٢م على الحدود الجزائرية المغربية، كان اللجيونيرز يحرسون فريقًا من رجال المساحة بقيادة كابتن كاستريز.. وفجأة قفز عليهم الثوار من ولد بو أمينة، وتم سحق مؤخرة الفريق الفرنسي، وعلى رأسهم أحد قوادهم الملازم ماسون، بينما هرب ضابط آخر باريير محاولاً الالتفاف حول مقاتلي القبائل وهو يصرخ مستنجدًا بمقاتلي اللجيون A moi Legion، في حين أن اللجيونيرز كانوا مشغولين بتحصين أنفسهم متخذين من جثث البغال النافقة ستارًا يحتمون وراءه، وهذا ما اضطر كاستريز من جهة، وباريير



فلم عن الجنود المرتزقة



من جهة أخرى إلى مواجهة رجال القبائل، الذين واصلوا الهجوم عليهم ليلاً.. لكن وصول نجدة أخرى من قوات اللجيون بقيادة كولونيل نجريير قادمة من عين بلخليل قلب ميزان المعركة، وتغلبوا على رجال بو أمينة بعد نصر دفع ثمنه كثيرون من اللجيونيرز، ومن بينهم كابتن باريير.

هكذا استمر استنزاف دماء اللجيونيرز في مواجهاتهم ضد المجاهدين الجزائريين.. ولم يقتصر ذلك على معركة الجزائر فقط، بل دفع كثيرون منهم حياتهم في خضم الغزوات الاستعمارية الفرنسية الأخرى في كثير من بقاع العالم..

وكانت أهم مشاركة فعلية لهم في البدء على الصعيد الدولي اشتراكهم مع القوات الفرنسية الأخرى في الحرب المعروفة في التاريخ باسم الحرب الكارلوسية عام ١٨٣٥م مناصرة للإسبان، كما اشتركت قوات اللجيون في حرب القرم عام ١٨٥٤م، وفي عام ١٨٥٩م حاربت ضد النمساويين في إيطاليا، وفي عام ١٨٦٣م زج نابليون

الثالث بنفسه في الحرب الأهلية الدائرة في المكسيك لدعم الإمبراطور المكسيكي؛ ماكسمليان لاستعادة عرشه من المتمردين، واستمرت حرب المكسيك ثلاث سنوات فقدت اللجيون فيها معظم رجالها، وكان من قادتها في هذه الحرب الكابتن دانجو الذي كلف ومعه ٦٢ مقاتلاً بتأمين طريق الإمدادات لبعض الكتائب المتمركزة في قلعة فيراكروز، حيث دارت معركة الكاميرون في أبريل عام ١٨٣٦م، وقضي فيها على كل أفراد كتيبة دانجو في الموقع المسمى Hacienda Cameron، وأصبح هذا اليوم ذكرى سنوية للجيون.. كما قضي على كتيبة مصرية بقيادة محمد الماس افندي كان قد أرسلها سعيد باشا والي مصر للاشتراك في حرب المكسيك مساعدة لصديقه نابليون الثالث.. وفي عام١٨٧٠م غزت ألمانيا فرنسا وأدت اللجيون دورًا في الدفاع عن مدينة أورليان واستعادتها. وفي الحرب العالمية الأولى بلغ عدد المشاركين فيها ٤٥ ألف لجيونير، فقد منهم ٣٦ ألفًا بين قتيل وجريح. وفي الحرب العالمية الثانية حاربت اللجيون ضد اليابان في الهند الصينية (كمبوديا وفيتنام ولاوس)، وضد ألمانيا على الأرض الفرنسية ذاتها، وفي النرويج.

هروب وانقسام

وكان كثير من يهود شرق أوربا قد هربوا إلى فرنسا، وانضموا إلى اللجيون، وبعد سقوط الرايخ الثالث الألماني بلغ عدد اللجيونيرز الألمان ٣٥ في المئة من مجموع أفراد اللجيون، وهذا ما دفع فرنسا إلى توجيههم مرة أخرى إلى الهند الصينية، من عام ١٩٤٦م إلى عام ١٩٥٤م ضد الشيوعيين، حيث لقيت القوات الفرنسية المختلطة - نظامية ومرتزقة - هزيمتها الشهيرة في معركة ديان بيان فو..

وعلى أرض سورية شهدت اللجيون أكبر انقسام بين صفوفها، حيث انضم جزء منها لحركة فرنسا الحرة، بينما الجزء الآخر كان مواليًا لحكومة فيشي.. ومن ثم شهدت معارك سورية صراعًا بين الجناحين المتنابذين، حتى عاد الجزء التابع لحكومة فيشي، وانضم إلى قرينه المتعاون مع حركة فرنسا الحرة..

وفي عام ١٩٥٥م بدأت اللجيون تبرز دورها في السياسة الداخلية الفرنسية، وهو العام الذي شهد إنشاء أول وحدة مظلات تابعة للجيون، وهو ما مكّنها عام ١٩٦١م من الوقوف ضد حكومة الرئيس الفرنسي ديجول احتجاجًا على رغبة الحكومة الدخول في مفاوضات بشأن الجزائر. إلا أنه مع استقلال الجزائر قل عدد أفراد اللجيون حتى وصل إلى ثمانية آلاف رجل فقط في السنوات الأخيرة، وهو حدّ متدن بالنسبة إلى أعدادهم المتفاوتة الكبيرة في سنوات وعقود سابقة.. وتلا ذلك رسم خطط للسنوات من عام ٢٠٠٢م إلى عام ٢٠٠٥م لتطوير اللجيون بما يناسب الأوضاع الخارجية لفرنسا، ولكن حتى هذا العام ٢٠٠٦م لم يتم اتخاذ شيء محدد بالنسبة إلى هذه الخطط، وإن كان من الملاحظ أن بعض أفراد اللجيون السابقين الذين قضوا أكثر من خمسة عشر عامًا في الخدمة، قد نالوا مناصب في الجيش النظامي بنسبة ما يعادل عشرة في المئة، كما يشكل الفرنسيون أنفسهم من ٢٥ إلى ٣٠ في المئة من مجموع أفراد

تشكلت الفرقة (اللجيون) أول أمرها من أربعة آلاف رجل من الأوربيين غير الفرنسيين، وكانوا غالبًا من دول وسط أوربا، موزعين على وحدات بحسب لغاتهم. ولكن تحت علم واحد هو علم الثورة الفرنسية المثلث الألوان، وهي الألوان نفسها التي تميز زيهم.. سروال أحمر واسع، ومعطف أزرق، وطاقية بيضاء

اللجيون في الوقت الحالي.. وتمت إعادة انتشار هذه القوات منذ نوفمبر من العام الماضي ٢٠٠٥م في جزر المارتينيك، والكوت دوفوار، وجزيرة مايوت بجزر القمر، و كوسوفو، وأفغانستان. ومع تحجيم عدد أفراد اللجيون حاليًا، فمازالت مراكز التطوع تباشر عملها في أكثر من ١٠ مواقع داخل فرنسا باريس ، ومرسيليا وخارجها.

الفرقة الأجنبية الإسبانية Legion Extranjera Espanola:

منذ أوائل القرن التاسع عشر كان الفرنسيون والإسبان يتناحرون تارة ،ويتصالحون تارة أخرى، وفقًا لما تمليه المصالح والأطماع الوقتية، والرغبة في استغلال المغرب والسيطرة عليه.. ففرنسا تنظر إليه بصفته امتدادًا طبيعيًا لشمال إفريقية الذي تسعى إلى السيطرة عليه، في حين ترى إسبانيا أن وجودها في المغرب، هو امتداد للصراع الصليبي القديم بينهما، منذ القرن السادس عشر، الذي كان قد انتهى بضم سبته ومليلة العربيتين، وبعض الجزر الصغيرة الملحقة بهما إلى إسبانيا كجزء منها. ودارت بين إسبانيا والمغاربة معارك عام ١٨٥٩م، ثم عام ١٨٩٣م، بشأن هاتين المدينتين وملحقاتهما.. وكان كثير من الهيئات الإسبانية تنادي

بضم مراكش (المغرب) إلى سلطتها، وبخاصة خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، عندما كان الاستعماريون الأوربيون يقتسمون إفريقية وآسيا فيما بينهم، وتم لفرنسا السيطرة على الجزائر وتونس لتضع عينها على مراكش في حين لم يفت إنجلترا أن تخطو هي الأخرى خطوة استعمارية في هذه المنطقة، فاحتلت جبل طارق ضمن خطتها في محاولة السيطرة على المضايق البحرية المهمة.

وفي عام ١٩٠٤م توصلت إسبانيا وفرنسا إلى اتفاق يحدد منطقة نفوذ كل منهما في مراكش، حيث تختص إسبانيا بالسيطرة على شمال المغرب وأجزاء أخرى، منها: ميناء أفني وما حولها، إلى جانب شريط أرضي في الجنوب، في حين تمتد السيطرة الفرنسية إلى باقي أنحاء المغرب. ولأن القوى الأوربية الأخرى، مع اتفاقها من حيث المبدأ على أحقيتها في استعمار دول العالم، واقتسامها فيما بينها، إلا أن مصالحها المتضاربة كانت تحد من هذه الحرية المطلقة في استعمار بلد ما.. ومن ثم كان لتدخل الألمان ورفضهم لما اتفقت عليه فرنسا وإسبانيا من تزايد النفوذ الفرنسي في كل شمال إفريقية أن عقدت الدول الكبرى مؤتمرًا عام ١٩٠٦م دعم استقلال المغرب، وإن احتفظت كل من فرنسا وإسبانيا بامتيازات خاصة. لكن فرنسا - ودرءًا لتزايد النفوذ الأوربي في المغرب الذي يهدد نفوذها في الجزائر - قامت في السنة التالية عام ١٩٠٧م بإرسال قوات عسكرية إلى المغرب تشكل اللجيون الفرنسية جزءًا كبيرًا منها. واستغل الفرنسيون نزاعًا قام بين الأخوين عبدالعزيز وعبد الحفيظ على حكم المغرب، وطلب عبدالحفيظ مساعدة الفرنسيين له.. وذلك لتقابل مصالح فرنسا وإنجلترا، فقد عقدت معاهدة فاس التي فرضت على عبدالحفيظ سلطان البلاد في مارس عام

الجيونير رجل مرتزق، وهو شخص يعرض نفسه على سلطة، أو قيادة جيش لدولة ما للالتحاق بهذا الجيش كمتطوع، ويعمل بها مقابل راتب أو مكافأة مالية، فضلاً عن توفير أسباب المعيشة في نطاق أحكام القوة العسكرية وقوانينها التي يخدم تحت قيادتها، وضمن شروط خاصة كانت - دائمًا - غير إنسانية



جمجمة إنسان معتمرة قبعة تمثل شعار الجنود الأجانب

١٩١٢م، وتقضي بإعلان مراكش بلدًا تحت الحماية.. لكن مع إصرار إنجلترا على أن ترضي إسبانيا في الوقت نفسه بشكل ما، فقد ضغطت على فرنسا لعقد معاهدة أخرى في نوفمبر مع الإسبان، أعلنت بموجبه جزءًا من مراكش محمية تابعة لإسبانيا، ووضعت طنجة تحت الإدارة الدولية.. وقد شملت المحمية الإسبانية كل الجزء الشمالي من مراكش، فيما عدا طنجة. وما إن استقر الإسبان بهذه الأرض حتى عملوا على احتلالها فعليًا، وإن كان عليهم أن يواجهوا الطبيعة الجبلية الموحشة والوديان الضيقة والصحراء الحارقة بسكانها من البربر الذين صهرتهم الصحراء.. ووجد الإسبان أنفسهم مرغمين على مواجهة كل ذلك.

من هنا، فكر الإسبان في إنشاء فرقة أجنبية على طراز الفرقة الأجنبية الفرنسية، تدفع بها لمواجهة هذه المخاطر، التي تنتظرهم، وتقابلهم في مراكش.. وبالفعل صدّق ألفونسو الثامن ملك إسبانيا في ٢٨ يناير عام ١٩٢٠م على قرار وضعه خوزيه فيلالبا - وزير الحربية الإسباني في ذلك الوقت بإنشاء هذه الفرقة، وعهد بذلك إلى الماجور خوزيه ميلان آستري Jose Millan Astry- وهو ضابط ومصارع ثيران - واختاره قائد الجيش رئيسًا مفوضًا لإنشاء هذه الفرقة، وسمح له - تنفيذًا لذلك - بدراسة نظام الفرقة الفرنسية بالجزائر وتطبيقه.

كان آستري شخصًا مميزًا، نشأ في طبقة متوسطة، في ميناء كورونا، وتخرج في أكاديمية المدفعية الإسبانية وسنّه ستة عشر عامًا. وبعد أن التحق بالجيش حاز عددًا من النياشين وهو ما زال ضابطًا صغيرًا؛ لما بذله من شجاعة في الحرب في الفيلبين عام ١٨٩٦م. كان آستري شديد التعلق بأبيه الذي كان رئيسًا لبوليس برشلونة، ثم مديرًا لسجن مدريد.. غير أن حياة هذا الأب انتهت بمأساة حين سب أحد نزلاء السجن أمه، فقتله الأب،

وحكم عليه بالسجن.. تم ذلك في أثناء طفولة خوزيه آستري؛ وذلك ما تركه من أثر نفسي سيّئ عليه. وبعد عودته من الفيليبين التحق بمدرسة القادة الإسبانية، ودرس في أكاديمية طليطلة العسكرية، وانتدب بعد ذلك للخدمة في مراكش، ثم كلف بإنشاء الفرقة الأجنبية الإسبانية، وميّز منها وحدة خاصة سميت الترسيو Tercio على اسم فيلق عسكري يعود عهده إلى القرن السادس عشر، الذي كان يلقي الرعب في أوربا على عهد الملك شارل الخامس.. وكان أول استعراض لأفراد الفرقة الجديدة وهم يرتدون الزي الحربي، الذي اعتادته القوات الإسبانية في حروبها الصليبية مع المسلمين.

بدأ آستري بتشكيل الفرقة بقبول المرتزقة من سنّ ١٦ إلى سنّ ٤٠ سنة، بأجر ٦٠ سنتًا يوميًا، وهو مبلغ يعادل ثلاثة أضعاف ما يحصل عليه المجند العادي الذي كان يتقاضى ٢٠ سنتًا فقط، وذلك لاجتذاب أكبر عدد ممكن من المرتزقة، الذين كان معظمهم في ذلك الوقت من الإسبان والكوبيين وبعض الجنسيات الأخرى، وكلهم من المجرمين، والهاربين، والعسكريين القدامى المغامرين. ولما كانت قواته على ذلك من طبقات دنيا فقد منح آستري صلاحية التعامل معهم بالطريقة التي يراها مناسبة..

وكان آستري يدرك أن الفرقة قد منحت كلاً منهم فرصة أخرى للحياة، ومسح آثار الماضي من ذاكرتهم.. ولكن ثمن ذلك هو الموت متطهرًا، وقد استعاد كرامته.. ومن ثم فرض عليهم نظامًا وحشيًا، مفهومه أنك لم تلتحق بالفرقة لتعيش بعد أن تطهرت، واستعدت كرامتك،

وإنما لتموت.. بل جعل شعار الفرقة عبارة: يحيا الموت Viva La Muerte، مع ما في العبارة من تناقض غريب بين الكلمتين، وكانت أغنيتهم المفضلة هي أغنية عاشق الموت El Novio de la Muerte، وكان - دائمًا - يبث فيهم قوله: إن أشرف شيء للجيونير هو أن يموت في المعركة، وأن العيش - جبانًا - هو أقبح صور الحياة. وقد عبر عن ذلك أحد الكتاب الإسبان في كتاب له عن ذكريات لجيونير قديم حين سأله: من أنت؟ فأجاب: «أنا رجل تتشبث به الجراح.. عاشق للموت، الذي يأتيني في أبهة امرأة جميلة». ويضيف الكاتب أنه عندما عثروا على جثة هذا اللجيونير بعد موته، رأوا خطابًا ملتصقًا بصدره به

صورة قديمة لأحد الجنود الأجانب

صورة امرأة جميلة جاء فيه: «إذا دعاك الرب يومًا فاحفظ لي مكانًا إلى جوارك؛ لأني لاحق بك عما قريب.. والتوقيع.. El Novio de la Muerte». ويقول الكاتب الذي ذكر ذلك بأسلوب شعري رومانسي: «إن هذه الأسطر منذ يومئذ أصبحت لحنًا يتغنى به مرتزقو الفرقة الأجنبية.. لحن الحب والموت. وكان كل فرد من اللجيونيرز يحمل لقب كاباييرو لجيوناريو Caballero Legionario أي اللجيونير الفارس، وعندما تم قبول إلحاق النساء بالفرقة كانت المرتزقة تحمل لقب داما لجيوناريو؛ أي: اللجيوناريو السيدة».

وعلى عكس القوات النظامية، كان يسمح للجيوناريو بإطلاق لحيته، وأن يفتح قميصه عند الصدر ولا يزرره بأزرار، وله أن يرسم الوشم على أي جزء من جسده، خصوصًا وشم درع الفرقة، كما كان لهم علم خاص من اللونين الأسود والأصفر..

كان أستري يعطي بذلك صورة متميزة للفرقة التي أنشأها، ويقودها، لكنها مع ذلك لم تكن منفصلة عن الجيش النظامي تمامًا، فهي تتبع في النهاية قائد الجيش.. ومن ثم عندما شبت الحرب بين الإسبان والمغاربة في منطقة الريف الجبلية، كانت قوات اللجيون الإسبانية في مقدمة الصفوف تتلقى ضربات قبائل الريف وهجماتها، وهي من أشرس القبائل المحاربة في مراكش.

وفي صيف عام ١٩٢١م كان لدى الإسبان ما لا يقل عن ٢٥ ألف لجيونير.. وفي يوليو - والقيظ يلهب رؤوس الجميع - قام الريفيون بهجوم كبير على الإسبان، وتمكنوا في أقل من أسبوعين من القضاء - قضاء تامًا - على القيادة الإسبانية في النصف الشرقي من المحمية الإسبانية، خصوصًا في معركة الأنوال، التي تعد من أشهر المعارك الظافرة للوطنيين، ضد أي قوة استعمارية

أوربيــة في ذلك الوقت.. وكـان يدير المعـركـة الأخـوان محمود ومحمد عبدالكريم الخطابي.

وإزاء خطورة الوضع، قدم آستري تعـزيزات كبيـرة إلى قـاعـدة مليلة وبدأ في مـحـاولة اسـتـعـادة الأراضي التي فقدها الجيش الإسباني، فعمد محمد عبد الكريم إلى إخلاء الطريق أمامه لكي يسحب قواته حتى منطقة الريف الجبلية الحصينة.. وهناك أوقع بهم. وفي معركة تيـزي عـزه أصيب آسـتري، وأعـيـد إلى إسـبـانيـا، وهو يشـعـر بالعـار لهـزيمتـه أمـام الريفـيين، وصـار نموذجًا للقـائد الفـاشل في أعين رجـال الجـيش.. نظامـيين ولجيونيرز.. ولم يكن أمـامه إلا أن يستقيل من منصبه كقائد للفرقة التي أنشأها. وخلفه رافايل فـالنزويلا Rafael Valenzuela، الذي كان يوصف بأنه صورة أخرى من الشيطان، غير أن أيامه لم تطل في منصبه؛ إذ قتل في لقـاء آخـر مع الريفـيين.. فتولى قـيادة الفـرقـة في يونيو عام ١٩٢٢م فرانسيسكو فرانكو باهاموند Francisco Franco، الذي أصبح أهم شخصية سياسية وعسكرية في التاريخ الإسباني الحديث.

ولد الجنرال فرانكو عام ١٨٩٢م في بلدة الفرنول وهي ميناء صغيـر شمـال غـرب إسبـانيـا، وكان الابن الثاني لصراف يعمل بالأسطول.. وكان طموحه، وهو صـغيـر، أن يلتحق بالأكـاديميـة البـحـرية الإسـبـانيـة الموجودة في بلدته نفسـهـا، لكن لم يكن هنـاك أمـاكن شـاغـرة في الوقت الذي تقدم فـيـه بطلب الالتـحـاق بالأكـاديميـة، وبدلاً من ذلك أرسل إلى أكاديمية المشاة في طليطلة.. وحين تخرج كان عمره سبعة عشر عامًا، والتحق على الفور بالقوة العاملة في مـراكش. وعـرف عنه أنه، على قـصـر قـامـتـه، كـان شـابًا أنيـقًـا، وذا شخصية حازمة.. وسرعان ما حاز بشخصيته المتميزة شهرة بين زملائه في حبه للنظام، وبأنه مقاتل عنيد.

أصـيـب فـرانكو إصـابـة بالغـة في بطنه إبان إحدى المعـارك في تلال آنجـيـرا غـرب سبـتـة في عـام ١٩١٦م، لكنه تعافى من إصابته لقوة احتماله، وعاد إلى إسبانيا حيث خدم أربع سنوات تالية في حامية أوفييدو Oviedo، وكـان قـد تعـرف إلى آسـتـري في مـراكش. وعندمـا شكل آسـتري الترسـيو طلبه للعمل معـه فقبل فـرانكو سريعًا، ووجد أنه يمكن أن يختط له مستقبلاً مع هذه الفرقة المتميزة.. وسرعان ما أصبح فرانكو مقربًا إلى آستري في أثناء مـعـركـة تيـزي عـزة، وكان من عادته أن يمتطي - دائمًـا - جـوادًا أبيض في أثناء اشـتـراكـه في المعـارك، مع ما كان يعـرضه ذلك من خطر أن يلحظه أو يميـزه الريفـيـون. ولم يتـعـود فـرانكو - حتى في صـدر



لويس فيليب



الرئيس شارل ديغول

شبابه - أن يساير أحدًا في المقامرة، أو الشراب، أو التودد إلى النساء.. وهذا الأمر أثار حفيظة زملائه عليه؛ إذ أرجعوا ذلك إلى إحساس شديد لديه بالتعالي، وازدادت كراهيتهم له وهو ينغمس بكل نفسه في عمله في الترسيو، ولما عرف عنه أيضًا من أنه - لتكوينه الخاص - كان قاسي القلب دقيقًا إلى حد مثير.

وللموقف العسكري السيئ في مراكش، قام الجنرال ميجيل بريمو دو رفيرا Primo Rivera، بانقلاب عسكري في سبتمبر عام ١٩٢٣م، وعين نفسه دكتاتورًا لإسبانيا، وكان من رأيه أن وضعهم في مراكش صعب، ولا يستحق الاستمرار فيه، وأن عليهم أن يتركوا البلاد للريفيين.. لكن ذلك لم يرض ضباط الجيش خصوصًا الضباط المشرفين على الترسيو، الذين كان من رأيهم استمرار الحرب، وتسمى هؤلاء الضباط المتمردون باسم الأفريكانيستوس Africanistos، مدعين أنهم على ثقة باستطاعتهم هزيمة الريفيين، وأنه يجب ألا يضيعوا مجهوداتهم السابقة هباء. كما علق فرانكو قائلاً في خطاب

حماسي له: «إن ضباط الترسيو، وهم أفضل العناصر القتالية في الجيش، يصرون على البقاء ومواصلة الحرب، فأسقط في يد ريفييرا، إذ لم يكن يستطيع الوقوف ضد ما يراه ضباط؛ الفرقة الأجنبية بل وجنودها، التي أصبحت تشكل عماد القوات الإسبانية، ووافق على خطة الترسيو التي تقضي بتجميع القوات الإسبانية في تطوان والهجوم منها على عبدالكريم الخطابي.

ومع ذلك قام فرانكو ضمن مجموعة من ضباط الترسيو باختطاف ريفييرا، وأجلسوه في الرئاسة بدلاً منه الجنرال كيبيو دو يانو Queipo de Llano، غير أن كيبيو لم يرحب بذلك قائلا: إن ذلك سوف يؤدي إلى حرب أهلية في البلاد.. وتأزم الموقف الداخلي في إسبانيا، وكان لزامًا معه أن تنسحب القوات الإسبانية، وتعود إلى إسبانيا لمواجهة الموقف السياسي المتأزم بها.. وانتهز عبدالكريم الخطابي الفرصة فدأب على مهاجمة القوات المنسحبة في حين حاول فرانكو حماية مؤخرة هذه القوات من دون جدوى، إذ نجح المغاربة في إيقاع أكبر الخسائر في صفوف الإسبان، وفقد فرانكو عددًا كبيرًا من رجاله، الذين كانوا تحت إمرته.

ومع سوء الأمور الداخلية في إسبانيا، فإنها لم ترفع يدها كليًا عن مراكش، واستمرت المواجهات مع الثوار المغاربة؛ بغرض توسيع نطاق السيطرة الإسبانية، خصوصًا في اتجاه الجنوب.

وفي الوقت نفسه، قام الأفريكانستوس بدور مهم في الحرب الأهلية الإسبانية مناصرة للقوميين الإسبان. وخلال السنوات من عام١٩٣٤م إلى عام ١٩٣٧م، كان زعماء المقاومة المغربية يطالبون بإعادة تفسير معاهدة فاس؛ من أجل ضمان الحقوق السياسية للمغرب.. لكن فرنسا، التي كانت تحتل الجزء الأكبر من المغرب، رفضت ذلك، وقاومت المظاهرات التي اندلعت في عام ١٩٣٧م بكل قسوة، كما قبضت على قادة حركة الاستقلال، وطردتهم من المغرب.

وفي عام ١٩٤٧م طالب السلطان محمد الخامس إعادة اتحاد الأقاليم التي تسيطر عليها فرنسا وإسبانيا؛ لكن فرنسا لم تستجب له، بل نفته خارج المغرب، وذلك ما أشعل المقاومة من جديد، فاضطرت فرنسا إلى إعادة السلطان إلى بلاده عام ١٩٥٥م، ونالت المغرب استقلالها عن فرنسا عام ١٩٥٦م. كما تنازلت إسبانيا عن مطالبها في شمال المغرب، في حين ظلت - وإلى الآن - متمسكة باحتلال سبتة ومليلة، كما رفضت الوصاية الدولية عن طنجة.

ومع استقرار الأوضاع في المغرب وإسبانيا انتفت الحاجة الملحة إلى احتضان الفرقة الأجنبية الإسبانية، بأعدادها الكبيرة، فقل عددها حتى بلغت الآن ما لا يزيد على خمسة آلاف لجيونير.. وقواعدهم الحالية في سبتة ومليلة على الساحل المغربي ورندة وآلميرا في جنوب إسبانيا، وأنشئت داخل الفرقة وحدة تسمى وحدة العمليات الخارجية الخاصة Operaciones de Bandera Legion la de Especiales، ومن مهامها عمليات التخريب، والقفز بالمظلات، ومقاومة الإرهاب.

وفي السنوات الأخيرة شاركت إسبانيا ببعض قواتها في الصراع الدائر في البوسنة كجزء من قوة حفظ السلام، كما شاركت في حرب العراق في النجف إلى جوار قوات سلفادورية، إلى أن جاءت الحكومة الجديدة التي على رأسها خوزيه زاباتيرو فنفذ ما سبق أن وعد به في أثناء حملته الانتخابية من سحب القوات الإسبانية من العراق.. كذلك اشتركت إسبانيا بقوات في أفغانستان ضمن قوة حفظ السلام التابعة للناتو .. ISAF.

وحين أدركت إسبانيا - من جديد - أنها ما زالت في حاجة إلى خدمات الفرقة الأجنبية حيث تصدر

أفرادها إلى مثل هذه المهام الدولية عادت إسبانيا منذ عام ٢٠٠٠م لقبول مرتزقة جدد من جنسيات مختلفة لمن في سنّ ١٨ إلى سن ٢٨ ذكورًا وإناثًا، وإن كانت تفضل من يتحدث الإسبانية من وسط القارة الأمريكية وجنوبها، ومن الألمان.

وأخيرًا..

وبحسب المقولة الشهيرة، من أن التاريخ كثيرًا ما يعيد نفسه، ولو في صور مختلفة، فكما عرف العالم القديم نظام المرتزقة فإن السنوات الأخيرة من عمر الزمن الذي تعيشه الإنسانية الآن قد شهدت عودة هذا النظام على مستوى دولي عام، ولم يعد قاصرًا على فرنسا وإسبانيا، وإن كان بشكل مختلف، حيث تقوم به شركات عالمية تقدم الاستشارات الإستراتيجية، والخدمات المخابراتية، وتقديم عروض لمساعدة الأمم المتحدة في المهام التي تفشل المنظمة الدولية في القيام بها، لالتزامها مبادئ القانون الدولي، وإن لم يجد ذلك قبولاً حتى الآن من الأمم المتحدة.

ومن أشهر هذه العروض ما قدمته إحدى شركات الخدمات الأمنية الخاصة عن استعدادها للقبض على تشارلس تايلور رئيس ليبيريا المخلوع، الذي اتهمته المحكمة الجنائية الدولية بارتكاب جرائم حرب في ليبيريا، وسيراليون مقابل أربعة ملايين دولار، بدلاً من بيروقراطية الأمم المتحدة، وضياع الوقت، إلا أن تايلور توصل إلى اتفاق مع الأمم المتحدة على المعيشة - منفيًا - في نيجيريا، وعدم محاكمته نظير تخليه طواعية عن السلطة، وإجراء تسوية ودية مع النظام الجديد في ليبيريا.

ومثل هذه الشركات لا تتورع أن تعلن عن نفسها، وعن استعدادها للقيام بعمليات خاصة بقواتها العالية التدريب - كما تدعي - لحماية الشخصيات الدولية والعامة. وإذا كانت هذه العروض تبدو في ثوب من البراءة، وتقديم أعمال مشروعة، إلا أنه مع ازدهار عملها فقد تضمنت عروضها - باتصالات خاصة - القيام بأي أعمال أخرى مثل الخطف، والاغتيال، أو استجواب المعتقلين بأساليب تكنولوجية عالية.. وقيل: إن وزارة الدفاع الأمريكية وقعت وحدها مع بعض هذه الشركات في الفترة من عام ١٩٩٤م إلى ٢٠٠٢م ما يصل إلى ثلاثة آلاف عقد استخدام لأفراد من هذه الشركات؛ لأداء خدمات خاصة.

المراجع والهوامش

١- في حرب الاستقلال الأمريكية لم تكتف بريطانيا بقواتها؛ فلجأت إلى استئجار مرتزقة ألمان للاستعانة بهم لمحاربة الثورة الأمريكية، في حين انضمت شخصيات مرموقة في المجتمع الأوربي في ذلك الوقت، مثل: البارون فون شتوبن من بروسيا، وهو اسم ألمانيا في ذلك الوقت، لمساعدة الثوار الأمريكيين ضد القوات البريطانية. ص ٧٢ ج٢٣ الموسوعة العربية العالمية.

٢- الداي هو الوالي، أما الباي فهو جابي الأموال، أو الحاكم الإقليمي.

٣- وزير خارجية النمسا، أوائل القرن التاسع عشر، وكانت له سطوة كبيرة على مجريات الأمور السياسية في أوربا.

٤- ص ٣٧ جمهورية الجزائر : د. فيليب رفلة - مكتبة الأنجلو المصرية

٥- ص ١٤٦ جمهورية الجزائر

٦- نحو ١٥ ألفًا

٧- عاصمة الفينيقيين في العصر الروماني بشمال إفريقية

٨- هذا من وجهة نظر كثير من المؤرخين، ولكن لعل الملك لويس فيليب قد استلهم نظامًا أدخله نابليون بونابرت عند غزوه مصر، من تجنيد أعداد من المماليك الشبان الذين تخلى عنهم سادتهم من المماليك الكبار، وضمهم إلى القوات الفرنسية، التي كانت تسمى في ذلك الوقت جيش الشرق، وعند عودة القوات الفرنسية اصطحبت معها هؤلاء المماليك وأعدادًا أخرى من اليونانيين، والسوريين، والمسيحيين المصريين، ممن تعاونوا مع قوات الاحتلال الفرنسية في أثناء وجودها في مصر، وكان عددهم نحو ١٥٠ فردًا، أقيمت لهم ثكنة خاصة في ميلان بفرنسا، وزيًا خاصًا بهم.. وقد اشترك هؤلاء المماليك مع القوات الفرنسية في معركة أوسترلتز بالنمسا عام ١٨٠٥م، ومعركة إيالو في روسيا عام ١٨٠٧م (ص٦١ -٦٢)؛ مصر ولع فرنسي : روبير سوليه، ترجمة : لطيف فرج - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩- الموسوعة العربية العالمية - مجلدات ٦و٨ و١٠ و٢٣ - الطبعة الثانية

١٠- The World Book ج ٧ و١٣

١١- History to day يوليو ١٩٧٣

١٢- History to day أكتوبر ١٩٧٥



التـراث العـالمي في منطقـة المغرب العربي

نور الدين بازين

مراكش - المغرب

ينقسم التراث العالمي إلى نوعين: ثقافي، وطبيعي، وهما محميان قانونيًا بفضل الاتفاقية الدولية للتراث العالمي. وهي اتفاقية تهدف إلى ضمان الاهتمام اللازم بكل ما له بعد تاريخي وحضاري.

ويرتبط التراث الثقافي ارتباطًا وثيقًا بكل المعالم والمباني التاريخية والأثرية، وكذلك بكل ما له قيمة جمالية، أو علمية، أو إثنية، أو إنثروبولوجية، فيما يتعلق بالتراث الطبيعي بكل الأشكال البيولوجية والجيولوجية المتميزة، وكذلك بكل ما يلزم الحفاظ عليه في قيمته الجمالية الطبيعية، أو حمايته من الانقراض.

وتحتل منطقة المغرب العربي الشمال الغربي للقارة الإفريقية، وتمتد على نحو ستة ملايين كيلو متر مربع، تمثل صلة وصل بين أوربا وإفريقية، وبين البحر الأبيض المتوسط والصحراء الكبرى، وقد سميت بدول المغرب العربي نسبة إلى مكان غروب الشمس، عكس دول المشرق العربي، وهي مكونة من المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، وموريتانيا.

خلال القرون الماضية اختفى جزء كبير من التراث العالمي الإنساني، نتيجة الحروب، والكوارث الطبيعية، والفقر المطلق، والتلوث، التي أدت إلى تدمير كنوز ومعالم لا تعوض، إضافة إلى الحالة المزرية نتيجة الإهمال، وانعدام الضمير، واللامبالاة،


الحضور التراثي مازال بارزاً في الأعراس المغربية

لدى كثير من الأشخاص.

وتنطوي اتفاقية اليونسكو للتراث العالمي - التي وقعت عليها ١٧٨ دولة للحفاظ على التراث العالمي - على مبادئ أصبحت أداة دولية أساسية ومهمة، وجدت لحماية هذا الموروث الثقافي والطبيعي، كما طولبت جميع الدول الموقعة بتحديد الأماكن التاريخية والطبيعية وحمايتها؛ لكي لا تلحقها ويلات تبعات الفقر، والتلوث، وضعف التطور الاقتصادي، وقد تبنت اليونسكو هذه الاتفاقية عام ١٩٧٢م، وقد بلغ عدد المعالم المسجلة على لائحة التراث العالمي حتى الآن ٧٨٨ موقعًا، مقسمة كما يأتي:

٦١١ معلمة ثقافية، و١٥٤ موقعًا طبيعيًا، إلى جانب ٢٣ من المعالم المختلطة التي تجمع بين جمال الطبيعة ووزن التاريخ، موزعة على ١٣٤ دولة مشاركة ضمن لائحة الدول الموقعة على اتفاقية اليونسكو للحفاظ على التراث العالمي.

وتحتوي منطقة المغرب العربي على ٣١ معلمة تاريخية، جمعت بين ما هو طبيعي وما هو ثقافي، وهكذا



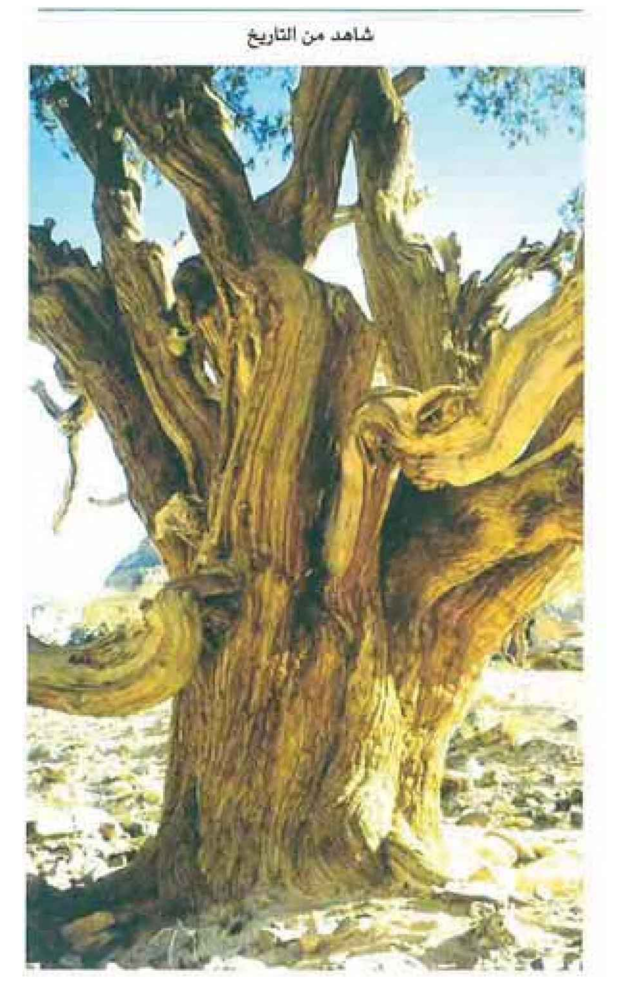
فاس تحتضن تراثاً متميزاً

فالمغرب يحتضن مناطق معترفة بها من طرف منظمة اليونسكو للتراث العالمي، منذ بداية الثمانينيات، إذ حدد عام ١٩٨١م لمدينة فاس، وعام ١٩٨٥م مدينة مراكش، وعام ١٩٨٧م لقرية أيت بن حدو المحصنة، وعام ١٩٩٦م لمدينة مكناس التاريخية، وعام ١٩٩٧م لموقع فوليوبيليس الأثري، وعام ١٩٩٧م لمدينة تطوان (تيتاوين)، وعام ٢٠٠١م لمدينة الصويرة، وعام ٢٠٠١م لساحة جامع الفنا، وعام ٢٠٠٤م مدينة الجديدة (مزاغان).

المدينة القديمة بفاس التي بنيت في القرن التاسع الميلادي، تحتضن أقدم جامعة في العالم. وقد عاشت الحاضرة أعظم فترات ازدهارها بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، عندما أصبحت عاصمة للدولة المرينية، وعلى الرغم من انتقال مقر العاصمة إلى الرباط عام ١٩١٢م، فإن فاس بمدارسها العتيقة، وبناياتها التاريخية الجميلة، وسقاياتها، ومساجدها، وجامعتها، تبقى العاصمة الثقافية والروحية للمملكة المغربية. وقصر آيت بن حدو، الذي يقع بإقليم ورززات، ويعد نموذجًا حيًّا لجمال المعمار الصحراوي بجنوب المغرب، وهو يمثل مجموعة سكنية مبنية بالطين، ومحاطة بسور دفاعي

مقوى بالأبراج، ويتميز بالبساطة والمتانة في وصفه.
ومدينة مراكش التي اسست بين سنتي ١٠٧٠ و١٠٧٢ هجرية، فقد كانت مركزًا سياسيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا، امتد إشعاعه إلى شمال إفريقية والأندلس خلال عهد المرابطين، إضافة إلى جمال المدينة الحمراء المقرون بمعالمها التاريخية العظيمة، كمسجد الكتبية، والقصبة، والأبواب الأثرية، والحدائق الخلابة. كما زادت حلة المدينة بهاءً بفضل روائع

شاهد من التاريخ



مستنزه (بانك دا أرغوين) يوجد على طول الساحل الأطلسي، ويتميز بموقعه المكون من كثبان رملية، وجزر صغيرة، ومياه قليلة العمق، وجمال الصحراء، وغنى المنطقة المائية، اللذان يشكلان معًا منظرًا استثنائيًا قل نظيره في العالم

أخرى، كقصر البديع، ومدرسة ابن يوسف، وقبور السعديين، زد على ذلك ساحة جامع الفنا، التي تعد مسرحًا متميزًا في الهواء الطلق، يثير إعجاب كل الزوار، وهي تعد تراثًا غير مادي يجمع أفرادًا وجماعات لهم مهارات خاصة بالحكي، والفكاهة، والتنشيط، ويمثلون التراث الحضاري والثقافي..

وتبقى هذه المعالم التاريخية والعمرانية المذكورة في الأخير، أهم النقط السياحية بالمغرب.

وتلي المغرب دولة تونس بثماني اتفاقيات: مدينة تونس عام ١٩٧٩م، موقع قرطاج، ومدرج الجم عام ١٩٧٩م، ومتنزه اشكل الوطني عام ١٩٨٠م، ومدينة القيروان القرطاجية عام ١٩٨٥م، ومدينة سوسة عام ١٩٨٨م، والقيروان عام ١٩٨٨م، ودوغا / توغا عام ١٩٩٧م.

وقد أصبحت المدينة القديمة لتونس العاصمة، بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين، التي حكمها الموحدون والحفصيون أهم المدن الإسلامية وأغناها، وعرفت إشعاعًا كبيرًا بفضل مدارسها، وقصورها، وأضرحتها، ومعالمها، التي فاقت السبعمئة معلمة وموقعًا، والتي تقف شاهدًا على تاريخ عريق، وموقع (إشكل)، وهو عبارة عن بحيرة تلجأ إليها مئات الآلاف من الطيور المهاجرة؛ التي

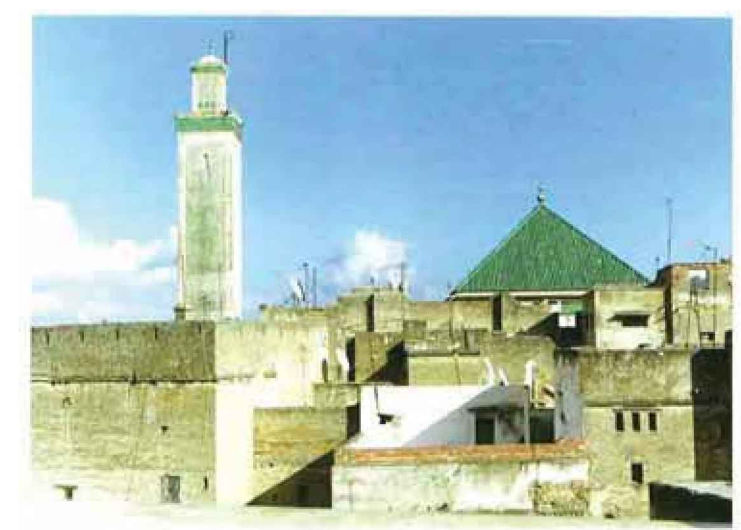


لبتيس ماغنا من أشهر المواقع الأثرية في ليبيا

تأتي لتقتات، وتبني أعشاشها، بحيث يعدّ هذا الموقع آخر ما بقي من سلسلة بحيرات كانت ممتدة على طول شمال إفريقية. ثم قرطاج التي تأسست منذ القرن التاسع قبل الميلاد، على خليج تونس، وقد أصبحت منذ القرن السادس ق.م. قوة اقتصادية كبرى تسيطر على جزء كبير من العالم المتوسطي، وتتميز بحضارة قيمة ولامعة، ولكن الحروب المتكررة عملت على سقوطها في أيدي الروم، الذين دمروها عام ١٦٤ قبل الميلاد ليبنوا على أنقاضها مدينة جديدة.

تليها الجزائر، من حيث عدد الاتفاقيات بسبعة اعترافات: قلعة بني حماد عام ١٩٨٠م، وتاسيلي ناجر عام ١٩٨٢م، ووادي المزاب عام ١٩٨٢م، وجميلة عام ١٩٨٢م، وتيبسة عام ١٩٨٢م، وتمجاد عام ١٩٨٢م، وقصبة الجزائرعام ١٩٩٢م.

في الجزائر يعد تاسيلي ناجر، أهم الأماكن والمواقع العالمية وأروعها من حيث جيولوجيته الكبيرة، ويحملنا إلى زمن ما قبل التاريخ، ورسومه ومنحوتاته الحجرية تسمح بمتابعة دقيقة، لتغيرات الجو، والحياة الإنسانية، والحيوانية، بالصحراء منذ سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد حتى نهاية القرون الميلادية


القديم والحديث والفارق الجمالي!

في الجزائر يعد تاسيلي ناجر، أهم الأماكن والمواقع العالمية وأروعها من حيث جيولوجيته الكبيرة، ويحملنا إلى زمن ما قبل التاريخ، ورسومه ومنحوتاته الحجرية تسمح بمتابعة دقيقة، لتغيرات الجو، والحياة الإنسانية، والحيوانية، بالصحراء منذ سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد حتى نهاية القرون الميلادية الأولى

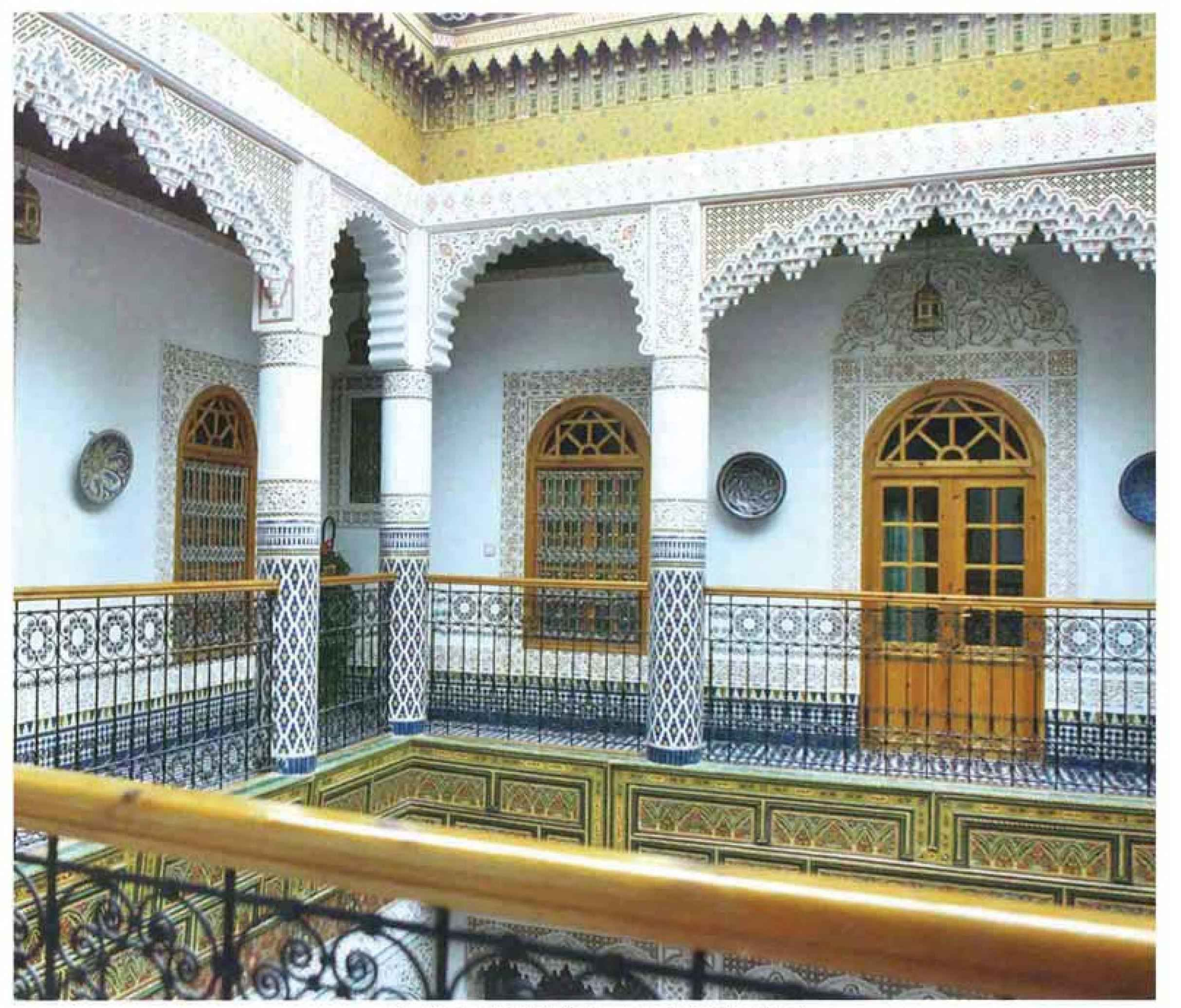
الأولى، وهو كنز حضاري، وإنساني، وجيولوجي، بفضل غاباته الحجرية، ولا يمكن التفريط فيه، إضافة إلى قصبة الجزائر العاصمة، التي هي واحدة من أجمل المعالم الحجرية المتوسطية، وتشمخ هذه القصبة مطلة على جزر صغيرة، كان القرطاجيون قد أنشؤوا مواقعهم التجارية فيها؛ منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وتمثل هذه القصبة نوعًا فريدًا من المدن

لبتيس ماكنا، وهي واحدة من أجمل المدن الرومانية، أصلحها ووسعها سبتيم سيفير، الذي كان من أبناء المنطقة، وأصبح إمبراطورًا فيما بعد، وتميز هذه المدينة يكمن في تكاملها، فمعالمها الكبرى، وميناؤها، وسوقها، ومخازنها، وأحياؤها، تمثل منتهى الروعة والجمال

الإسلامية، ويعد المكان الذي تختلط فيه جمالية الذكرى بشموخ التاريخ بما فيه من مساجد قديمة، وقصور عثمانية، وتصميم محكم يراعي كل الشروط ومتطلبات الحياة الجماعية، وكذلك وادي مزاب، المكان الرائع الذي أحدث في القرن العاشر، ويحيط بخمسة قصور صحراوية، وهي قرى محصنة، تبدو وكأنها لم تتغير منذ ذلك التاريخ، هندسة بسيطة، عملية، ومتكيفة - تمامًا - مع البيئة، تستفيد منها الجماعة من دون أن تمس خصوصية العائلة.

تليها ليبيا بخمسة اعترافات: الموقع الأثري في ليبتيس ماغنا عام ١٩٨٢م، والموقع الأثري في صبراطا عام ١٩٨٢م، والموقع الأثري في قيرينة عام ١٩٨٢م، والمواقع المنحوتة في الصخر تادرات أكاكوس عام ١٩٨٢م، وغدامس (المدينة القديمة) عام ١٩٨٢م.

في ليبيا كانت (سيرين) من المستعمرات اليونانية، فأصبحت - فيما بعد - إحدى أهم حواضر تلك الحقبة. وبعد أن احتلها الرومان، قرروا أن تبقى من بين عواصمهم الكبرى، إلى أن دمرها زلزال قوي عام ٣٦٥ م، وتاريخها يحكى ويقرأ من حطامها الذي اشتهر منذ القرن الثامن عشر، فضلاً عن ليبتيس



العمارة المغربية تؤكد بحضورها الجميل عظم الحضارة العربية والإسلامية

ماكنا، وهي واحدة من أجمل المدن الرومانية. أصلحها ووسعها سبتيم سيفير، الذي كان من أبناء المنطقة، وأصبح إمبراطورًا فيما بعد. وتميز هذه المدينة يكمن في تكاملها، فمعالمها الكبرى، وميناؤها، وسوقها، ومخازنها، وأحياؤها، تمثل منتهى الروعة والجمال، إضافة إلى (صبراطا) وهي المحطة الاقتصادية المهمة في تاريخ الفينيقيين، وانطلاقًا منها سيطروا على تجارة بعض المواد في القارة السمراء. وقد تبعت هذه المدينة لحكم (ميسينيا) إلى أن سيطر عليها الرومان، وأعادوا بناءها بين القرنين الثالث والثاني ق. م.

ثم أخيرًا موريتانيا باتفاقيتين: (متنزه بانك دا أرغوين الوطني ١٩٨٩م)، (قصر وادان شنقيتي، تيشيت وولاتا ١٩٩٦م).

متنزه (بانك دا أرغوين) يوجد على طول الساحل

الأطلسي، ويتميز بموقعه المكون من كثبان رملية، وجزر صغيرة، ومياه قليلة العمق. وجمال الصحراء، وغنى المنطقة المائية، اللذان يشكلان معًا منظرًا استثنائيًا قل نظيره في العالم، زد على ذلك الطيور المهاجرة التي تزيد المكان بهاء في فصل الشتاء، كما توجد السلاحف المائية والدلافين التي يستعين بها الصيادون في عملهم.

وتبقى (شنكيتي وتيشيت وأولاطا) من القصور القديمة لوادن، وهي مدن بنيت بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين؛ لأجل القوافل التي تعبر الصحراء، وقد أضحت هذه المراكز التجارية والدينية بعد ذلك مقرات ورموزًا للثقافة الإسلامية، وقد حافظت هذه المدن بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين على البصمة نفسها بالنسبة إلى البناء، حيث البيوت الصغيرة، والأزقة الضيقة، التي تحيط بمسجد ذي صومعة مربعة، وتشهد هذه المدن على حياة تقليدية وبسيطة، أحبها البدو الرحل في غرب الصحراء.

المعالم الثقافية والطبيعية، هي معالم مرتبطة بأجدادنا، ولها قيمة جمالية، وقدرة على إلهامنا، وهي موروث حضاري ورمز من رموز عبقرية الإبداع الإنساني، يصبح ملكنا بعد أن كان لأجدادنا، وهي من أعمدة السياحة في منطقة المغرب العربي، يجب تشجيعها بإنشاء بنيات تحتية كبرى حول هذه المواقع، وإحداث مراكز وطنية للبحوث وحفظ التراث بتحديده وتسجيله بالصوت والصورة، وبالحيلولة دون التقليل من قيمته الثقافية التقليدية، كما يجب على حكومات دول المغرب العربي أن تتخذ إجراءات لازمة للحد من خطورة المشكل الذي يتهدد هذا التراث، وعدم تركه عرضة للإهمال، كما على لجنة التراث العالمي أن تدق ناقوس الخطر؛ لكي يكون التحرك دوليًا لأجل المساعدة على إيجاد الحلول واتخاذ التدابير اللازمة، بضرورة إصدار نص قانوني، واتفاق دولي يجبران الدول الموقعة على احترامه.

المدينة القديمة لتونس العاصمة، بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين، التي حكمها الموحدون والحفصيون أهم المدن الإسلامية وأغناها، وعرفت إشعاعًا كبيرًا بفضل مدارسها، وقصورها، وأضرحتها، ومعالمها، التي فاقت السبعمئة معلمة وموقعًا

تشوهات القرن العشرين!



رحلة مع مساجد دمشق الأثرية

زيادة حمود الحسين

دمشق - سورية

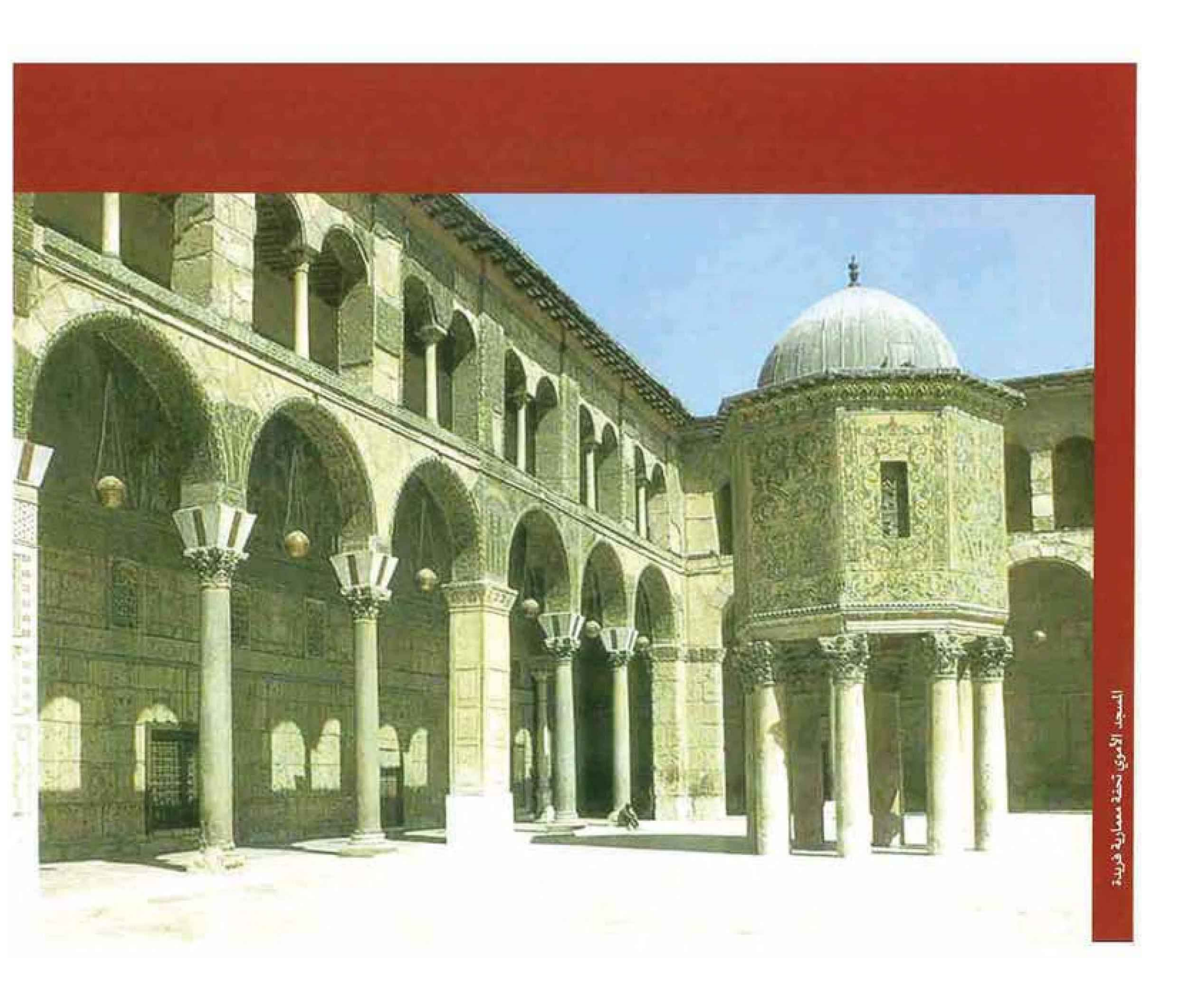
يؤدي المسجد دورًا مهمًا في حياة المسلمين. فما إن وطئت أقدامهم البلاد المفتوحة حتى بدؤوا بإعلاء كلمة التوحيد من أعلى مساجدهم، وأول ما يفكر المسلمون بإنشائه عندما تهبط أقدامهم الأراضي المفتوحة، هو إقامة مسجد يجمعهم في كل صلاة، ويسمعون فيه كلام العلي القدير.

ولا أدل على ذلك من بناء المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، الذي قام بوضع حجارته خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

عندما تم الفتح الإسلامي لمدينة دمشق لا شك أنه أقيمت فيها مساجد كثيرة، لكنها لم تكن على الشهرة والعظمة التي نالها الجامع الأموي، الذي بناه الخليفة الوليد بن عبدالملك سنة ٨٦هـ.

الجامع الأموي

من أبرز معالم مدينة دمشق التاريخية، فمن يزر دمشق، ولا يدخل الجامع الأموي يشعر - دائمًا - بنقص في زيارته لهذه المدينة، فقد أصبح لهذا المكان قدسية وإجلال عند الزوار المسلمين كافة، وغيرهم، فقد تفاجأ - أحيانًا - وأنت تتجول في أرجائه، وبين أروقته بأن الأجانب أكثر من العرب يتنقلون فيه من زاوية، إلى زاوية ويصورون كل حجر تقع أعينهم عليه. وما أكثر المناظر الفريدة في هذا الصرح المعماري الباهر الذي يحتفظ لنا بالهوية العربية الإسلامية، وشاهدًا على عظمة الدولة الأموية إلى عصرنا الحاضر!.



المسجد الأموي تحفة معمارية فريدة

من المعبد إلى المسجد

كان موقع المسجد مخصصًا للعبادة منذ أقدم العصور: أفقية أقام الآراميون في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، معبدًا للإله حدد، ثم حول في العهد الروماني إلى معبد للإله جوبيتر Jupiter وكان هذا المعبد (٣٠٠x٢٨٠٠)م يتألف من فناء واسع، ورواق يحيط به، له أعمدة من الداخل، وسور من الخارج، ويتوسطه هيكل الإله Cella، وأهم ما تبقى من المعبد بوابته الغربية المحمولة على أعمدة عملاقة تشاهد اليوم قبل الدخول إلى المسجد الأموي من بابه الغربي (١). حين غدت الديانة المسيحية هي الرسمية في الدولة السورية في القرن الرابع الميلادي. في هذا المكان المقدس المؤلف من جدران وأروقة آبدة، كان لا بد أن يقيم المسيحيون كنيسة لهم مستفيدين من المنشآت المتبقية من العهد الروماني. ومن المعروف أن تيودوس استعمل هذا البناء كنيسة مسيحية في عام ٣٧٩م تحت اسم كنيسة القديس يوحنا المعمدان.



أحد مساجد دمشق

ولكن ما شكل الكنيسة، وأين مكانها؟

هنا آراء مختلفة: واتزنغر، وفولز نغر Watzinger et Wulzinger يريان أن جدران المعبد والأروقة استخدما أولاً كنيسة، ثم أنشئ على الجدار الجنوبي حرم مؤلف من ثلاثة أجنحة يقطعه جناح عريض معترض. ويرى دوسو Dussat الرأي نفسه، إلا أنه يعتقد في البداية أنه كان ثمة حرم تغطيه ثلاثة أجنحة، ثم أضيف الجناح المعترض، ولكن ثييرس Theiersch يرى أن الحرم كله إسلامي صرف، ولم يكن له وجود في العهد المسيحي، وكذلك هو رأي ستريكوفسكي Strzygowski، وجميع هذه الآراء هي حدوس لا تعتمد على نصوص أو دراسة أثرية (٢). ويرى سوفاجيه Sauvaget أن الطول المفرط لقلب الكنيسة Vaissau، ومكان الحاجز القاطع، حيث المحور لا يتطابقان مع محور الباب الثلاثي، الذي تشير كتاباته، كما لو كان قد تم تقسيم الكنيسة، وغياب أي فتحة

من يزر دمشق، ولا يدخل الجامع الأموي يشعر - دائمًا - بنقص في زيارته لهذه المدينة، فقد أصبح لهذا المكان قدسية وإجلال عند الزوار المسلمين كافة، وغيرهم، فقد تفاجأ - أحيانًا - وأنت تتجول في أرجائه، وبين أروقته بأن الأجانب أكثر من العرب

مقابل المذبح، وتناسق الجدار الشمالي.. إلخ. كل ذلك يتعارض مع التقاليد المعمارية في سورية المسيحية» (٣).

وهذا ما يقود الدكتور عفيف البهنسي إلى القول: إن الكنيسة لم تكن بالشكل المعروف اليوم في الحرم، إذ لو كان الأمر كذلك لما تعارض الحرم في تصميمه مع موقع ضريح يوحنا المعمدان والباب الجنوبي الرئيس، الذي لا يقوم على محور الجناح الأوسط الرئيس، والقبة، وهو يؤيد قول القائل إن الحرم إسلامي البناء، وإنه إنشاء العمال المحليين. وبصور عامة ليس هناك ما يؤكد مكان الكنيسة البيزنطية وشكلها. وتتجه آراء العلماء، وبخاصة كزيرويل إلى أن الكنيسة كانت في صحن المعبد الروماني بل كانت تشغل الناوس القديم نفسه مع بعض التعديل، ونحن نؤيد هذا الرأي (٤).



أمام مدخل الجامع الأموي

الوليد بن عبدالملك وبناء المسجد

تؤكد كل الروايات أن العرب حينما فتحوا دمشق سنة ١٤هـ دخلها أبو عبيدة من باب الجابية، صلحًا، ودخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة، ثم أجمعوا رأيهم على أن جعلوها صلحًا. وأن خالدًا أمن أهل دمشق على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ألا تسكن ولا تهدم. وقد ورد كتاب عهد خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق بالصيغة الآتية: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق، إذا دخلها أعطاهم أمانًا على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وسور مدينتهم، لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء، والمؤمنين، ولا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية» (٥).

أما رواية الهيثم بن عدي الذي يقول: إن أهل دمشق صالحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم، ويعتمد في ذلك على رواية للواقدي: يفندها البلاذري بشكل كامل، إذ أورد في كتاب «فتوح البلدان»: «قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف

جامع التوبة يقع في محلة العقيبة جنوب غرب تربة مرج الدحداح، كان خانًا يمتلكه أمير القدس فخر الدين الزنجاري، وكانت تمارس في هذا الخان المنكرات والفواحش والمعايب، فأمر الملك الأشرف موسى الأيوبي بتحويله مسجدًا وسماه جامع التوبة

المنازل والكنائس. وقد روي ذلك، ولا أدري من أين جاء به من رواه، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل، وهو بأنطاكية، فكثرت فضول منازلهم، فنزلها المسلمون» (٦).

ثم إن هناك رواية يوردها البلاذري تشير إلى أن العرب بعد الفتح اتخذوا مسجدًا قريبًا لهم من كنيسة يوحنا. ويؤكد ذلك ما ذكره شاهد عيان مسيحي زار دمشق نحو سنة ٥٠هـ، أنه رأى كنيسة القديس يوحنا المعمدان من دون أن تمس، وأنه كان للمسلمين معبد آخر يؤدون فيه شعائرهم الدينية. ومن دراسة الروايات المتعددة، وما أورده الباحثون في الآثار يمكن التوصل إلى الحقيقة الآتية، وهي أن الكنيسة لم تكن موضع الاقتسام، بل أرض المعبد الروماني، حيث أنشأ المسلمون في نصفها الشرقي، الذي يضمه سور ورواق، مسجدًا لهم؛ بعد الفتح عُرف بمسجد الصحابة، وما زالت آثار محرابه باقية في الجانب الشرقي من جدار القبلة في المسجد الأموي اليوم، أطلق عليه في كل العهود محراب الصحابة. وأن الوليد حين بدأ ببناء المسجد أمر بهدم ما كان من منشآت في أرض المعبد، ومن بينها المسجد السابق والكنيسة، واستبقى الجدران ليقيم داخلها المسجد الجديد الذي استغرق بناؤه عشر سنوات: أي: مدة خلافة الوليد كلها. وأنفقت عليه أموال طائلة اختلف الرواة في تقديرها (٧).

وصف المسجد وما قيل فيه

شيد مسجد دمشق وفق تصميم جديد يتفق مع شعائر الدين الإسلامي، وأغراض الحياة العامة. فجاء فريدًا في هندسته لم يبن على نسقه في العهود السابقة أي بناء آخر: إذ لا توجد كنيسة في الشرق أو الغرب في مثل هذا التصميم تمامًا، مع ما يبدو عليه من ظواهر الاقتباس، واستخدامه عناصر معمارية وزخرفية كانت شائعة في الفنون السابقة.

وقد عبر الوليد بن عبدالملك عن هذه الأصالة بقول تناقله الرواة: «إني أريد أن أبني مسجدًا لم يبن من مضى قبلي، ولا يكون بعدي مثله».

وتنقل الروايات عبارة قالها الخليفة العباسي المأمون عن مسجد دمشق حين زاره: «إن ما أعجبني فيه كونه بني على غير مثال متقدم» (٨). وهكذا ظهر المسجد الأموي وقتئذ انطلاقة جديدة في فن العمارة، وثورة على البساطة المألوفة في المساجد السابقة. تفنن المؤرخون والرحالون في وصف عناصره المعمارية والزخرفية، والتعبير عن الإعجاب به، وملؤوا بذلك صفحات من النثر والشعر بعدد متداولة في العالم الإسلامي. وظل المعماريون عدة قرون يستوحون فنونه، أو ينسجون على منواله. كان تصميم المسجد على أساس تقسيم مساحة الأرض المستطيلة (١٥٦× ٩٧) إلى جزء مسقوف في الجهة الجنوبية ليكون الحرم، وآخر سماوي هو الصحن أو الفناء، الذي أحيط برواق من جهاته الثلاث يوفر الاتصال بين أبواب المسجد والقاعات الأخرى المقامة في طرفيه الشرقي والغربي التي أطلق عليها اسم المشاهد. أما

جامع سنان باشا يدعى جامع السنانية. يقع مقابل شارع باب سريجة خارج باب الجابية. ويبعد قليلاً عن نقطة التقاء سوق مدحت باشا وشارع الدرويشية من جهة اليمن بالنسبة إلى الداخل إلى السوق. بنى الجامع سنان باشا والي دمشق

أقسام المسجد الرئيسة فهي:

السور والأبواب: للمسجد سور مرتفع مبني بالحجر المنحوت، وهو سور المعبد الروماني في الأصل جددت أقسام منه في العهود العربية.

وكان السور مزودًا في أركانه بأبراج مربعة يصعد إليها بدرج من الداخل، استخدمت في البداية للأذان، وبقي اثنان منها في الجهة الجنوبية، أقيمت عليهما مئذنتان، وكان السور متوجًا بالشرفات الضخمة، التي لم يبق منها واحدة، إذ تساقطت بفعل الزلازل. كما أثبتت ذلك كتب الحوليات، ويعتقد أنها كانت من النوع المسنن القديم. أما أبواب المسجد فثلاثة مفتوحة على الصحن وأروقته في الشرق والغرب والشمال، وهناك باب رابع في الجنوب يؤدي مباشرةً إلى الحرم، وهو الجانب الغربي منه، دعُي قديمًا باب الزيادة.

وأهم هذه الأبواب من الناحية المعمارية الباب الغربي (باب البريد) مقابل نهاية سوق الحميدية الشهير في دمشق، والباب الشرقي المسمى باب جيرون (النوفرة)، فكل منها يحتوي على ثلاث فتحات مستطيلة: الوسطى منها واسعة، يعلوها عقد عاتق حلزوني الشكل، وقد صفحت مصاريعها بالنحاس المزخرف، وكل من البابين يؤدي إلى صحن المسجد عن

شيد مسجد دمشق وفق تصميم جديد يتفق مع شعائر الدين الإسلامي، وأغراض الحياة العامة، فجاء فريدًا في هندسته لم يبن على نسقه في العهود السابقة أي بناء آخر؛ إذ لا توجد كنيسة في الشرق أو الغرب في مثل هذا التصميم تمامًا

طريق بهو فخم. أما الباب الشمالي الذي أطلقت عليه عدة أسماء، أقدمها باب الفراديس، ثم باب الناطفيين (صانعي الناطف) (*)، ثم باب الكلاسة (نسبة إلى حي الكلاسة)، ويتألف من فتحة واحدة واسعة. وهناك باب آخر من الجهة الجنوبية الغربية يفضي إلى المصلى مباشرة. وكان على أبواب المسجد الأربعة ميضآت حسنة التنظيم، كثيرة المياه. وقد أورد المقدسي وصفًا رائعًا للمسجد «الجامع أحسن شيء للمسلمين اليوم، ولا يعلم لهم مال مجتمع أكثر منه، وقد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كبارًا، مؤلفة عليها شرف بهية، وجعلت أساطينها أعمدة سوداء ملساء على ثلاثة صفوف واسعة جدًا، وفي الوسط إزاء المحراب قبه كبيرة، وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراغ فوقها، ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض، وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزع، ثم السقف بالفسيفساء الملونة، في المذهبة صور أشجار وأمصار، وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة، وكل شجرة أو بلد مذكور قد مثل على تلك الحيطان، وطُليت رؤوس الأعمدة بالذهب، وقناطر الأروقة كلها مرصعة بالفسيفساء، وأعمدة الصحن كلها رخام أبيض، وحيطانه بما يدور، والقناطر وفراخها بالفسيفساء ونقوش وطروح، والسطوح كلها ملبسة بشقاق الرصاص والشرافيات من الوجهين بالفسيفساء، وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية أعمدة مرصعة حيطانه بالفسيفساء، وفي المحراب وحوله فصوص عقيقية، وفيروزجية كأكبر ما يكون من الفصوص، وعلى الميسرة محراب آخر دون هذا للسلطان» (٦).

أما ابن جبير فقد عبر عن ذلك بطريقة الرحالة، الذي زار مدنًا، واستمتع بمناظر رائعة فقد قال في الجامع الأموي قولاً فريدًا: « هو من أشهر جوامع



طفل وحمام في ساحة الجامع الأموي

الإسلام حسنًا وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراب الوصف فيه ومن عجيب شأنه أنه لا تسج به العنكبوت ولا تدخله، ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف. انتدب لبنائه الوليد بن عبدالملك رحمه الله.. فشرع في بنائه الغاية في التأنق، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة الأنيقة المعجزة، وصف كل واصف، فجاء يغشي العيون وميضًا وبصيصًا.. إشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه، واتصال شعاع الشمس بها، وانعكاسه إلى كل لون منها حتى ترتمي الأبصار منه أشعة ملونة، يتصل ذلك بجداره القبلي كله» (١٠).

- المشاهد: في الجانبين الشرقي والغربي للمسجد أربع قاعات كبيرة مستطيلة، أطلق عليها اسم المشاهد منذ القديم، وسمي كل منها باسم واحد من الخلفاء الراشدين: فالمشهد الجنوبي الشرقي دعي باسم أبي أبكر ﷺ، والجنوبي الغربي مشهد عمر ﷺ، وهما على طرفي الحرم. أما الشمالي الغربي فدعي مشهد عثمان ﷺ، والشمالي الشرقي مشهد علي كرم الله

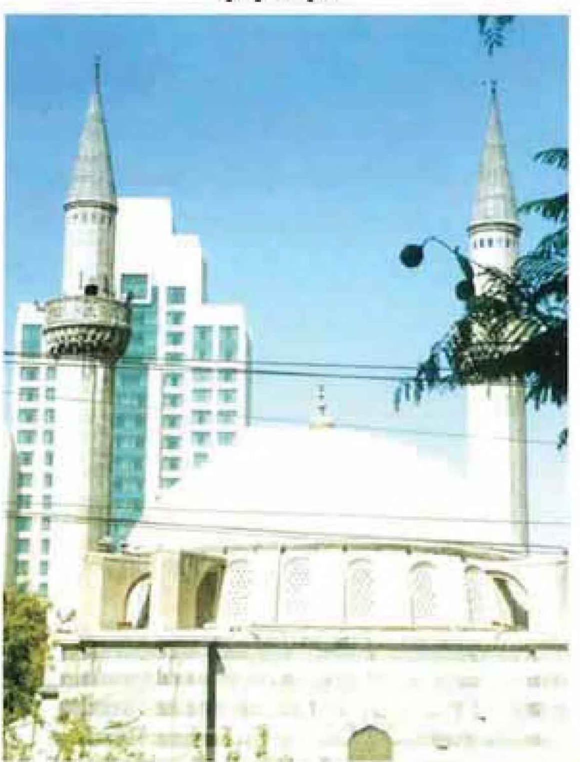
بناء التكية السليمانية كان بإشراف المهندس ملا آغا الإيراني يعاونه عدد من المهندسين الأتراك. وقد انتقد مهندسو الشام أسلوب المهندس الفارسي باهتمامه باتجاه الشرق والغرب، وإهمال الشمال والجنوب. وتمنوا لو أنه راعى ذلك، وبنى مئذنة في وسط الجهة الشمالية

جامع التينبية مقام في التربة المسماة تربة التينبية، وتضم قاعتين، لكل منهما قبة. فالتربة من الجهة الشمالية، وحرم الصلاة في الجنوب، وللمسجد واجهة جميلة مع مدخل ذي مقرنصات، وتناوب ألوان الحجارة، مع التزيينات والشعارات والقبتان تقومان على نظام المحاريب الانسيابية

وجهه، ثم اشتهر باسم زين العابدين.

- المآذن: للمسجد ثلاث مآذن: اثنتان منها أقيمتا على جانبي الحرم فوق برجي المعبد جددت سنة ٨٩٣هـ أيام السلطان المملوكي قايتباي، أما المئذنة الثالثة فتدعى مئذنة العروس، وقد أقيمت في عهد الوليد عند الباب الشمالي، وهي أقدم مآذن الجامع، لكنها صبغت بترميمات وإضافات


التكية السليمانية



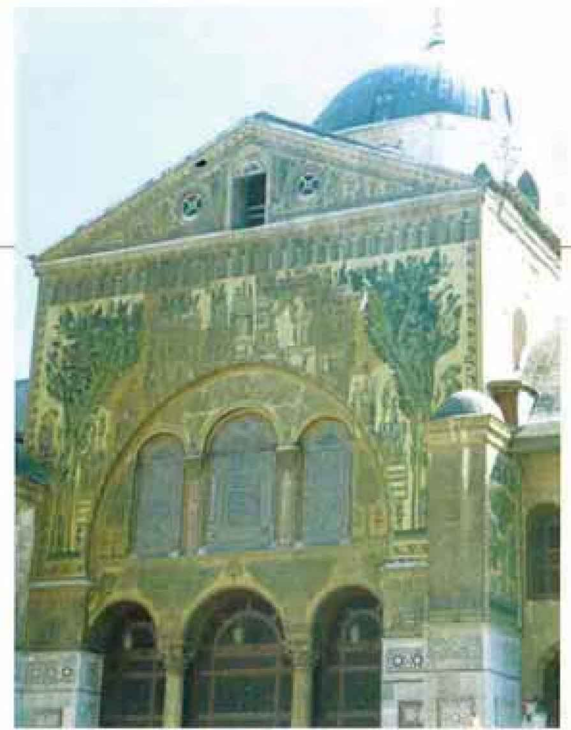
في العهود اللاحقة، فقسمها الأوسط مجدد في العهد الأيوبي، في أثر حريق سنة ٥٧٥هـ، أما قسمها العلوي فقد أضيف في العهد العثماني»(١١).

الأموي بين الصراع السياسي والطبيعي

قام الجامع الأموي بدور كبير على مدار عصر الدولة الإسلامية في العهد الأموي، عندما كانت دمشق عاصمة الدولة. فقد كانت خطب الخلفاء من على منبره والمشاورة في أمور الدولة، وجيوش الفتح الإسلامي في ما بين جدرانه. لذلك بدأ بعض الحاقدين يحيكون المؤمرات ضد هذا المسجد، وأهم ما قاموا به عن عمد هو إحراقه أكثر من مرة.

الحريق الأول: في ليلة النصف من شعبان سنة٤٦١هـ كان حريق جامع دمشق؛ وسببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقيت نار بدار الملك، وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة، فاحترقت وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه، وتناثرت فصوصه المذهبة، وتغيرت معالمه، وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضة وعلى جدرانه، وتبدلت بضدها، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها والجمالونات من فوقها. وجدرانه مذهبة، مصور فيها بلاد الدنيا بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلدة وجده في الجامع مصورًا كهيئته، فلا يسافر إليه، ولا يعنى في طلبه فقد وجده في قرب، الكعبة الشريفة ومكة المكرمة فوق المحراب، والبلاد كلها شرقًا وغربًا كل إقليم في مكان لائق به، ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة، مصور كما في بلدانها وأوطانها.

والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها مستور، وباقي الجدران بالفصوص الملونة.. بحيث إنه لم يكن في الدنيا


جدران المسجد الأموي وقد ازدانت بالفسيفساء

بناء أحسن منه، لا قصور الملوك ولا غيرها، ثم لما وقع الحريق فيه تبدل الحال الكامل بضده، وصارت أرضه طينًا في زمن الشتاء، وغبارًا في زمن الصيف، محفورة مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، بعد الستمئة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب، وغيرها مودعًا في المشاهد الأربعة، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهير، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي، حين ولاه نظره - أي ناظر الجامع الأموي - وكذلك القضاء والأوقاف كلها، ودار الضرب، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا (١٢).

الحريق الثاني: سنة ٧٤٠هـ مما وقع من الحوادث المظيمة الهائلة أن جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم، وجمعوا من بينهم مالاً جزيلاً فدفعوه إلى راهبين قَدِما من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ملاثي، والآخر عازر، فعملا كعكًا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك فوضعا في شقوق دكاكين النجارين في سوق الرجال عند الدهشة (شرق الجامع) في عدة دكاكين من آخر النهار بحيث لا يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، وأحرقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء، وصعدوا المنارة وهي تشتعل نارًا واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق. أما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها، واحترقت السقالات، التي تدل السلالم فهدمت، وأعيد بناؤها بحجارة جدد (١٣).

- الحريق الثالث: عندما اجتاح تيمور لنك مدينة دمشق في سنة ٨٠٣هـ.
- الحريق الأخير: سنة ١٢١١هـ حيث قضى على الحرم بشكل كامل.

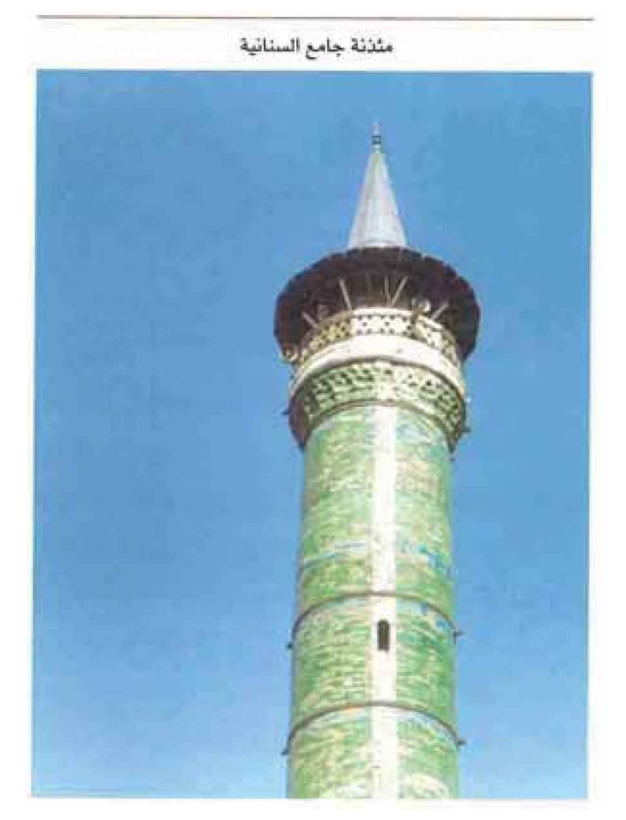
وفي سنة ١٣١٣هـ بوشر بإعادة بناء الجامع الأموي بعد هذا الحريق العظيم فجمع الأهالي مئة ألف ليرة ذهبية، وأمدهم السلطان عبدالحميد بما يلزم، وتطوع الناس في دمشق وخارجها للعمل احتسابًا في بناء الجامع، وكان يعمل فيه خمسمئة عامل في اليوم، وكان من تمام التوفيق أنهم اكتشفوا مقطعًا للحجارة بجبل المزة، يصلح لقطع العمد قطعة واحدة عوضًا عن تلك المتكسرة، وحاروا في طريقة نقلها، فصمم لهم أحد عمال دمشق الأمين، ويدعى عبدالله الحموي، عربة هندسية لنقل الأعمدة، ونقلت عليها بالفعل من دون مشقة، ولا تزال هذه العربة محفوظة في الزاوية الشمالية الشرقية للجامع إلى اليوم (١٤).

أما الزلازل التي ألحقت أضرارًا بالمسجد فأولها زلزال سنة ٢٣٣ هـ، وزلزال سنة ٥٩٧هـ، وزلزال سنة ١١٧٢هـ، وفي هذا الأخير تهدم الرواق الشمالي، ثم جدد على نحو مختلف من دون أعمدة كما يشاهد اليوم.

التكية السليمانية

تقع في الزاوية الجنوبية الغربية للتقاطع بين شارع

رضا سعيد وشارع البارودي، مقابل جامعة دمشق، في منطقة مفتوحة لا تحيط بها أبنية عالية وقد بناها السلطان سليمان الكبير سنة ٩٥٩هـ في مكان قصر الظاهر المعروف بالقصر الأبلق، في شرق المرج الأخضر المسمى بميدان ابن اتابك، بين نهري بردى وبانياس، وقد نُفذ البناء حسب مخطط المهندس العثماني المشهور Si-nan سنان باشا مبدع السليمانية في إستنبول، وقد استمر بناء المدرسة السليمانية ستة أعوام (١٥)، إلا ان العلبي في كتابه «خطط دمشق» يقول: «إن البناء كان بإشراف المهندس ملا آغا الإيراني يعاونه عدد من المهندسين الأتراك» (١٦). لكن الشيء الذي لا يستطيع أحد أن ينكره هو روعة بناء هذا الصرح الذي لم يسبق له مثيل في دمشق. لقد اتى بناء التكية بعد سنة من بناء صغير إلى الشرق منها قام به السلطان سليم بعد دخوله مدينة دمشق، وذلك من أجل استراحة الحجاج الأتراك، وتقديم الطعام والدواء لهم، ففضل أن يكون هذا المكان خارج مدينة دمشق. ثم اتى السلطان سليمان القانوني، وبنى التكية الحالية، وجعلها مكانًا رئيسًا لإيواء الطلبة الغرباء، ومكانًا يقدم استراحة للحجاج الأتراك، وتقام فيه الأسواق بعيدًا عن ازدحام المدينة. أما من ناحية الوصف الخارجي للتكية السليمانية فلها مئذنتان، كأنهما ميلان، كما يقول العلموي.


مئذنة جامع السنانية

وقد انتقد مهندسو الشام اسلوب المهندس الفارسي باهتمامه باتجاه الشرق والغرب، وإهمال الشمال والجنوب، وتمنوا لو أنه راعى ذلك، وبنى مئذنة في وسط الجهة الشمالية.

أما مسجد التكية فهو مغطى بقبة كبيرة على مثلث كروي. والرواق الذي يسبق الحرم مزدوج وفيه قباب وافاريز محمولة على أقواس حدوية تستند إلى أعمدة من الغرانيت. وقد أثر الفن التركي بشكل واضح في تزيينات الواجهة والمحراب. كما تحوي التكية مجموعة من حجرات الدراويش في الجهتين الشرقية والغربية من الساحة والصحن، وأمامها أروقة ذات قباب، وكل حجرة منها مغطاة بقبة صغيرة ومزودة بمدخنة، وفوق الفتحات لوحات من القيشاني، أما الناحية الشمالية من الساحة فإنه فيها المطبخ والمستودعات مع صالتين كبيرتين لإطعام الفقراء، أُوقِفَ على التكية تسع وثلاثون قرية، منها: الزبداني وصيدنايا وعقربا ودوما وغيرها... شكلت الموارد المالية لها كما عُيِّن فيها - حينئذ - ما ينوف على مئة موظف بين مدرس ومقرئ وإمام وطباخ، وقد تعرضت المئذنتان للانهدام، فقام بتجديدهما فتحي



مئذنتا التكية السليمانية

الدفتري في القرن الثاني عشر الهجري (١٧).

تبلغ الساحة الإجمالية للتكية نحو أحد عشر ألف متر مربع فيها بركة ماء واسعة، وحديقة وقبور لشخصيات عثمانية، تقع في الجنوب الغربي من المسجد. وعلى مدار أيام التكية استولت إدارة الجامعة السورية على جزء منها في العهد الفرنسي، وجعلتها مخابر لمدرسة الطب (١٨). أما اليوم فقد اتخذت التكية متحفًا حربيًا، وشغلت غرفها في مصالح المتحف المذكور، وتعد من أجمل الآثار العثمانية الباقية، وزينة دمشق في مدخلها الغربي.

جامع محيي الدين بن عربي

يقع في شارع المدارس قبل سوق الجمعة، أمر ببنائه السلطان سليم خان الأول ابن السلطان بيازيد الثاني، من آل عثمان الأتراك، ولد سنة ٨٧٥هـ، وولي العرش بعد أبيه سنة ٩١٨هـ، وبدأ بإخماد ثورة أخويه محمد وكوركوه، وجه جيوشه بقصد التوسع شرقًا، فدخل في حرب مع الشاه اسماعيل الصفوي، وانتصر عليه، واستولى على مملكته وأمواله، وفتح تبريز سنة ٩٢٠هـ، ثم افتتح بلاد العراق، والتقى السلطان قانصوه الغوري

عند مرج دابق قرب حلب وهزمه، بعد أن قتله وتم تمزيق جيشه يوم السبت ٢٤ رجب سنة ٩٢٢هـ. واستولى على البلاد السورية سنة ٩٢٢هـ، وقابل نائب السلطان طومان باي عند الريدانية، وقضى على الدولة الجركسية المملوكية في الديار المصرية، في أواخر عام ٩٢٢هـ، واستولى على القاهرة. عاد إلى بلاد الروم، بعد أن بنى على ضريح الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي جامعًا (١٩). ولم يكن ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي مميزًا بشيء من غيره من القبور، ولم تكن له أهمية خاصة إلا عندما تعهده السلطان سليم، والولاة العثمانيون من بعده. وصمم المسجد المهندس العثماني شهاب الدين العطار، وساعده على استملاك الأرض، والإشراف على البناء، القاضي ولي الدين بن فرفور، وقد وضعت الخطوط الأساسية للبناء في شهر رمضان سنة ٩٢٣هـ، وبوشر بالبناء في ٢٦ رمضان بعد أن اشتريت الأرض والبيوت المجاورة، وهدمت كما هدمت المقبرة، التي كانت هناك لحفر أساسات القبة.


المدخل الشرقي للجامع الأموي



وفي أواخر شهر ذي القعدة من العام نفسه. ارتفعت أعمدة الجامع التي نقلت من دار السعادة المملوكي، ونصب المنبر في ٢٤ من المحرم سنة ٩٢٤هـ، وصليت في الجامع أول صلاة جمعة وخطب ابن الفرفور يومها. - اي ان البناء لم يستغرق أكثر من اربعة أشهر - وبني مقابل الجامع تكية الفقراء، ثم وسع المسجد من الشمال بعد إزالة - سجد كان هناك. وعين الملا عثمان الحنفي التركي للخطابة، والمؤرخ محمد بن طولون للإمامة. وأحمد الأوعاني لمشيخة التكية، كما عين ثلاثون قارئًا يقرؤون كل يوم ختمة. وهذا الجامع من اجمل مساجد دمشق، كما يقول ابن طولون. وقد نقش عليه بيت من الشعر يذكر اسم بانيه:

سليم بنى لله خيرًا ومسجدًا

وقد تم في تاريخه خير جامع

اما التكية فكانت تشتمل على بيت للفقراء من الرجال، وآخر للنساء، وثلاثة حواصل للمؤن، ومطبخ كبير، وفيه فرن يخبز قنطارين في اليوم، ويطبخ ستين رطلاً من اللحم.

ودفن إلى جانب الشيخ محيي الدين بن عربي عدد من المشاهير، ومنهم الأمير عبدالقادر الجزائري، وفي شرق الجامع تربة صغيرة فيها قبور عدد من رجال الأتراك. أما من الناحية الهندسية للمسجد، فقد نفذ بالأسلوب المعماري السوري، وله منارة من نماذج العصر المملوكي، وتغطي الحرم قبة كبيرة ذات مثلثات كروية مزدانة بالقاشاني.

والجامع اليوم من أشهر جوامع الصالحية في دمشق. وقد نقل منه رفات الأمير عبدالقادر الجزائري إلى الجزائر بعد الاستقلال (٢٠).

سمي المسجد، كما اسلفنا، نسبة إلى ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي، الذي ذكره ابن كثير في البداية والنهاية حيث قال: «توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ بعد أن طاف

بلدانًا كثيرة، منها الأندلس، وقد أقام بمكة المكرمة مدة، وصنّف فيها كتابه المسمى الفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل، وما لا يعقل وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله كتاب العبادلة، وديوان شعر رائق. وله مصنفات أخرى كثيرة جدًا [٢١].

جامع الشيخ عبدالغني النابلسي

يقع على نقطة التقاطع بين شارع عبد الغني النابلسي وشارع عبدالله بن عباس.

ولد عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي، الحنفي، النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي في ٥ ذي الحجة سنة ١٠٥٠هـ، رحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين، ولبنان، وسافر إلى مصر، والحجاز، واستقر بدمشق إلى أن توفي في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣هـ، ودفن في داره. وهو عالم فاضل أديب وناثر، وناظم، صوفي مشارك في أنواع العلوم، له تصانيف كثيرة منها «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الحجاز»، والدواوين الثلاثة: «ديوان الإلهيات»، و«ديوان الغزليات»، و«ديوان المدايح والمراسلات»، وكذلك «جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» لابن عربي، وهو مجموعة فتاوى على الفقه الحنفي، و«تعطير الأنام في تعبير المنام» [٢٢]. أنشأ على ضريحه مسجد يحمل اسمه قريبًا من مسجد الشيخ محيي الدين بن عربي، له فناء جميل واسع في طرفه مئذنة، وله قبة، وهو منخفض عن مستوى الطريق، ويدخل إليه بواسطة عدة درجات، ويعود سبب ذلك إلى أنه على بطاح جبل قاسيون.

مسجد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي

قبل أن تتخلص من سوق الحميدية، وما تزال تتردد في أذنيك أصوات الباعة، وعلى مقربة من الجامع الأموي، تنعطف إلى الجهة اليمنى، وتدخل في سوق الخياطين باتجاه سوق مدحت باشا، في منتصف الطريق تقريبًا. تفاجأ صيفًا بتجمع كبير في الشارع الضيق جدًا، وعندما تقترب تلقى هناك سبيل ماء نور الدين الشهيد، وعلى يمينه مدخل المسجد الصغير نسبيًا، لكن موقعه في منطقة مزدحمة بالباعة المتجولين، والمتاجر، جعل من مكانه أهمية عظيمة لأداء الصلوات الخمس، وما يترتب عليها من سنن، واستراحة لبعض زوار هذه المنطقة. محمود زنكي (عماد الدين) ابن أقسنقر، أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. وكان من المماليك (جده من موالي السلجوقيين).

ولد في حلب سنة ٥١١هـ، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه سنة (٥٤١هـ)، وكان ملحقًا بالسلاجقة فاستقل، وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة. وامتدت سلطنته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية، وقسمًا من سورية الغربية، والموصل، وديار بكر، والجزيرة، ومصر، وبعض بلاد المغرب، وجانبًا من اليمن. كان معتنيًا بمصالح رعيته، مداومًا على الجهاد، يباشر

قام الجامع الأموي بدور كبير على مدار عصر الدولة الإسلامية في العهد الأموي، عندما كانت دمشق عاصمة الدولة، فقد كانت خطب الخلفاء من على منبره والمشاورة في أمور الدولة، وجيوش الفتح الإسلامي في ما بين جدرانه، لذلك بدأ بعض الحاقدين يحيكون المؤمرات ضد هذا المسجد

القتال بنفسه، حصن قلاع الشام، وبنى الأسوار على مدنها، كدمشق، وحمص، وحماه، وشيزر، وبعلبك، وحلب، وبنى مدارس كثيرة منها العادلية أتمها بعده العادل أخوه صلاح الدين الأيوبي، وبنى دار الحديث، وكلتاهما في دمشق، وبنى الجامع النوري بالموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفية، كان متواضعًا مهيبًا وقورًا، مُكْرمًا للعلماء، ينهض للقائهم، ويؤنسهم، ولا يرد لهم قولاً، عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ولا تعصب عنده (٢٣)، توفي في دمشق سنة ٥٦٩هـ. ودفن بتربته عند باب الخواصين، وبني بجوار القبر مسجد باسمه، يقع اليوم في سوق الخياطين(٢٤). للمسجد فناء متوسط تتوسطه بركة صغيرة. أما مصلاه فمتطاول وضيق، وله مئذنة صغيرة على المدخل.

جامع الشيخ رسلان

ينسب إلى الشيخ الزاهد رسلان بن يعقوب الجعبري الدمشقي النجار، وقد صحب الشيخ أبا عامر المؤدب، وهو المدفون تحت القبة، وكان يتعبد في مسجد صغير في باب توما على يمين الداخل، وقد هدم، وأقيم على أنقاضه مسجد جعفر الصادق بجوار منزله، ثم انتقل إلى مسجد درب الحجر قرب الباب الشرقي (البيانية اليوم) وصار يَعِظ في الجناح الشرقي، بينما يَعِظ زميله الشيخ أبو البيان نبأ في القسم الغربي من الجامع المذكور، ثم أقام الشيخ رسلان وأصحابه في مسجد خالد بن الوليد، وقد مات بين سنة ٥٥٠ و٥٦٠هـ، على اختلاف طفيف بين المؤرخين، وقد وَهِمَ فيه صاحب الأعلام (خيرالدين الزركلي) فجعل وفاته سنة ٦٩٩هـ اعتمادًا على ما ذكره صاحب «الشذرات»، وقد وصف بأنه كان ورعًا قانتًا صاحب أحوال ومقامات، وقد قال الذهبي: ما علمته كان له اشتغال بالعلم، ولأهل الشام عمومًا اعتقاد كبير فيه، وينسبون إليه أمورًا غريبة في حياته وبعد مماته، والله أعلم بصحتها.

في المسجد ثلاث قباب: إحداهما دفن تحتها بانيها الأمير جمال الدين الرسيمي سنة ٧٠٩هـ، والثانية دفن فيها الأمير بدر الدين حسن سنة ٨٢٤هـ، وقد ذكرها النعيمي باسم التربة البدرية، أما قبة الشيخ رسلان فإن فيها عددًا من العلماء والصالحين، مثل الشيخ أحمد الحارون، وآخر من دفن فيها في أوائل سنة ١٤٠٧هـ الشيخ محمد صالح الفرفور، رحمه الله، وقد جدد المسجد تجديدًا شاملاً في الفترة الأخيرة، يقصد المسجد في الوقت الحاضر للزيارة والتبرك، ولصيقه من الجنوب الغربي مسجد خالد بن الوليد الذي نقض من أساسه لإعادة بنائه، ويقال: إنه أول مسجد في دمشق، وإلى جانبه من الغرب بني مسجد متواضع بالأسمنت والحجارة البيضاء باسم جاع الشيخ رسلان، وقد كان وجود قبر الشيخ رسلان بركة، إذ لولاه لهدمت تربة باب توما، وتحولت إلى حديقة (٢٥).

دفن إلى جانب الشيخ محيي الدين بن عربي في الجامع المسمى باسمه عدد من المشاهير، ومنهم الأمير عبدالقادر الجزائري. وفي شرق الجامع تربة صغيرة فيها قبور عدد من رجال الأتراك. أما من الناحية الهندسية للمسجد، فقد نفذ بالأسلوب المعماري السوري، وله منارة من نماذج العصر المملوكي

جامع سنان باشا

يدعى جامع السنانية، يقع مقابل شارع باب سريجة



في ساحة الجامع الأموي

خارج باب الجابية، ويبعد قليلاً عن نقطة التقاء سوق مدحت باشا وشارع الدرويشية من جهة اليمين بالنسبة إلى الداخل إلى السوق.

بنى الجامع سنان باشا والي دمشق سنة ٩٩٩هـ. واسمه (يوسف بن عبدالله)، كان وزيرًا عظيمًا، وصاحب خيرات حسان كثيرة في أنحاء الدولة العثمانية التركية كافة، وبنى جامعًا عظيمًا في بولاق بالقاهرة، وبنى مثله باليمن (٢٦)، وآخر بالقسطنطينية، ورابعًا في دمشق، كما كانت له آثار أخرى تربو على الألف، وقد دخل دمشق واليًا عليها سنة ٩٩٤هـ فأقام تسعة عشر شهرًا، ثم تولى منصب الصدارة العظمى، وتوفي سنة ١٠٠٤هـ، وبنى خارج باب الجابية، إضافة إلى الجامع، مجموعة عمرانية تشمل الحمام والسوق والقهوة، والمكتب، وكان في موضع الجامع مسجد يقال له مسجد البصل، فأزاله وباشر العمران الأمير محمد بن منجك حتى تكامل في آخر سنة من القرن العاشر، وخطب فيه الشيخ فخر الدين السيوفي، وقد جاء البناء متناسقًا باستثناء الصحن الذي يشوهه الانحراف، لأن المهندس أراد أن يتجنب الاصطدام بسور المدينة القديم.

والجامع اليوم يكاد يكون مسجدًا للجنائز، وهو في منطقة من أشد مناطق دمشق ازدحامًا (٢٧).

أسلوب العمارة تركي، وثمة لوحات من القاشاني فوق المدخل، وعند الواجهة الغربية، ويتميز بمئذنته المكسوة بالزخارف الزنجارية، وحرمه الجميل الغني بألواح الرخام المجزع والألواح (٢٨).

جامع التوبة

جامع التوبة يقع في محلة العقيبة جنوب غرب تربة مرج الدحداح، كان خانًا يمتلكه أمير القدس فخر الدين الزنجاري، يقع شرق زاوية أبي بكر الآجري، يفصل بينهما طريق عام، وكانت تمارس في هذا الخان المنكرات والفواحش والمعايب، فأمر الملك الأشرف موسى الأيوبي بتحويله مسجدًا سنة ٦٣٢هـ. وسماه جامع التوبة، وهو من حيث التصميم مصغر لبناء الجامع الأموي (٢٩).

وأوقف عليه أربعة عشر دكانًا، فكانت تقع شماله، وأشرف على العمارة ناظره يحيى بن عبدالعزيز.

وقد احترق المسجد سنة ٦٩٩هـ، في فتنة غازان ملك التتار، الذي اجتاح دمشق يومئذٍ فجدد، ثم خربه جنود تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ، فأعيد تجديده على يد شاهين الشجاعي، الذي أوقف فيه حلقة لدراسة القرآن الكريم، عرفت بالمدرسة الشاهينية. وقد زارته لجنة الشيخ عبدالمحسن الأسطواني سنة ١٣٢٨هـ،

قرأت فيه خمسة عشر طالبًا وثماني غرف، معظمها برسم الإيجار. وقد قامت مديرية الأوقاف في عهد الانتداب سنة ١٣٥٠هـ بتجديد أرضه واروقته؛ ثم تعرض لقنابل القوات الفرنسية يوم ٢٩ أيار عام ١٩٤٥م، فأعيد تجديده، وقد أجريت للمسجد عملية تجديد شاملة سنة ١٤٠٨هـ، وتناولت جداره الشمالي الخارجي، وأرض الحرم وأبوابه، وشتى مرافقه. وهو اليوم لا يزال يحتفظ ببعض الآثار القديمة المتمثلة بمنارته المتينة، وواجهته الشرقية، وصحنه وأبوابه والموضأ ذي القبة الجميلة، وجداره الشمالي، وبعض النقوش في الداخل، ويمارس دوره كاملاً في حي العقيبة، شأنه في ذلك شأن الجامع الأموي [٣٠].

جامع السيبائية

يقع بعد جامع الدرويشية مباشرة، ولا يفصل بينهما سوى المدرسة السيبائية أو السيباهية على اليمين، مقابل شارع باب سريجة، بناه سيباي بن بنتجا آخر نواب الشام المماليك سنة ٩٢٠هـ [٣١]، وكان من مماليك الأشرف قايتباي، ثم تدرج في المناصب، وترقى، حتى حصل على رتبة عسكرية عالية. ثم أصبح نائبًا لحلب، وهناك تمرد على السلطان قانصوه الغوري، ثم نقله لنيابة دمشق سنة ٩١١هـ، التي امضى فيها ما ينوف على عشرة أعوام. وفي مرج دابق سنة ٩٢٢هـ، هزم المماليك أمام العثمانيين، وقتل سلطانهم الغوري، وكذلك نائب الشام سيباي، وقد جدد المسجد حسب اللوحة الجدارية التي عليه عام ١٩٨٩م، وهو صغيرالحجم نسبيًا يتوسط فناءه الموضأ، ولعل ذلك الصغير يعود إلى التصاقه بالمدرسة، حيث كل منهما يكمل الآخر.

جامع الدرويشية

يقع غرب حي الحريقة التجاري، وضم إليه زاوية محمد الأمين الأخصاصي (٨١٦ - ٨٥٧هـ). بناه والي دمشق العثماني درويش باشا سنة ٩٨٢هـ، وكان من خيار الولاة في دمشق. وكانت سيرته مع أهلها حسنة، نشر الأمن، وتعقب المجرمين، ثم نقل إلى إستانبول، وتوفي ودفن فيها سنة ٩٨٧هـ، ومن شدة محبة أهل دمشق له، فقد نقلوا جثمانه إلى تربته، التي بناها قبالة جامعه مقابل مدخل حي الحريقة التجاري الرئيس، حيث دفن فيها. ووفاءً وتخليدًا له تسمى باسمه كثيرون من أهل دمشق من المواليد الجديدة، كما أنه بنى بدمشق (حمام القيشاني، وخان الحرير).

أما الجامع فقد كان في موضعه مسجد فوسعه، وجعله جامعًا، وعيّن الشيخ إسماعيل النابلسي مدرسًا فيه، وذكر «مكارل» أن مهندسه لم يتبع فيه الأسلوب الفارسي ولا التركي: مراعاة منه لجو دمشق العام، ومساجدها المملوكية.

ساحة المسجد الأموي

وقد جدد الجامع سنة ١٢٦٥هـ كما جدد السبيل الذي بجواره. والجامع اليوم من الجوامع العثمانية الرائعة في مدينة دمشق، تملأ ألواح القيشاني جنباته، وقد نسخ أسعد باشا العظم نسخًا من هذه الألواح، ووضعها في حمامه ضمن قصوره (٣٢).

جامع التينبية

يقع في الميدان الفوقاني، شرق الطريق السلطاني، بناه نائب دمشق تنبك، أو تنم من مماليك السلطان برقوق، قتل بقلعة دمشق في سنة ٨٠٢هـ، ودفن بتربته (٣٣).

هذا المسجد مقام في التربة المسماة تربة التينبية، وتضم قاعتين، لكل منهما قبة، فالتربة من الجهة الشمالية، وحرم الصلاة في الجنوب، وللمسجد واجهة جميلة مع مدخل ذي مقرنصات، وتناوب ألوان الحجارة، مع التزيينات والشمارات والقبتان تقومان على نظام المحاريب الانسيابية، وفي الحرم نوافذ زجاجية مزخرفة وملونة قديمة مع زخارف هندسية (٣٤).

الجامع المعلّق

يقع بين بابي الفرج والفراديس، في منطقة بين الحواصل غرب العمارة البرانية، ويعرف بالجامع الجديد، وجامع بردبك، وجامع بين الحواصل، وينسب إلى بردبك الأشرفي إينال، الذي بنى بقناطر السباع جامعًا هائلاً. وكذلك بغزة، وبنى هذا الجامع في دمشق سنة ٨٦٢هـ، ورُسِم له التوجه إلى مكة، فتوجه ببنيه وعياله في موسم سنة ست وستين وثمانمئة، فأقام بها على طريقة حسنة، وعمل له مكانًا على جبل أبي قبيس ينفرد به أو يتنزه، إلى أن سمح له بالعودة إلى القاهرة، فسافر بصحبة الحاج، فلما قرب من خليص محل يقال له الديمة ركب بغله، وسبق بمفرده مع السقائين. فخرج عليه جماعة من العربان، فسلبوا السقائين، ثم قتلوه وهم لا يعرفونه بحربة، ولم يستلبوه؛ وذلك في يوم الأحد منتصف ذي الحجة سنة ثمان وستين وثمانمئة، فحمل إلى خليص فغسل بها، وكفن وصُلِّي عليه، ودفن إلى أن نقل إلى مكة المكرمة في السنة التي بعدها (٣٥).

لقد ورد في عدة مراجع أن باني هذا المسجد هو «بردبك» فقط مع أن ثمة ثلاثة عشر أميرًا اسمهم بردبك عاشوا في القرن التاسع، وقد ذكر الأستاذ طلس أن بانيه هو سيف الدين الجكمي المعروف بالعجمي، فلا صحة له؛ لأن - الجكمي- توفي سنة ٨٥٥هـ: أي: قبل سبع سنوات من بناء الجامع، والله أعلم. وعلى الجامع لوحة من المديرية العامة للآثار تشير إلى أن بانيه بردبك الجكمي سنة ٩٢٥هـ. ويبدو أنهم نقلوا هذا الكلام عن سوفاجيه. وسبب تسميته بالجامع المعلق أن هذا الاسم كان يطلق على كل جامع مرتفع على الأرض. ويصعد إليه بدرج، عدا عن أن هذا الجامع كان معلقًا أصلاً على نهر بردى، وكان يقابله خان السيد، وحمام العلائي.

وفي سنة ١٠٥٨هـ، ألحقت صاعقة أضرارًا به فهوى رأس المئذنة، ثم أعيد بناؤها على طريقة بناء مآذن القاهرة. وفي سنة ١٢٢٨هـ كان بالجامع ثماني غرف علوية يقيم فيها طالب واحد، وبقية الغرف برسم الإيجار. جدد الجامع سنة ١٤٠٨هـ، ولكن رواده قليلون، ولا يصلى فيه إلا صلاة الظهر والعصر، وأحيانًا المغرب، والعشاء، والسبب في ذلك وقوعه في منطقة الأسواق (٣٦).

جامع التوريزي

يدعى أيضًا جامع التيروزي، يقع في حي السويقة، بمحلة قبر عاتكة، وهو مسجد وتربة لغرس الدين خليل التوريزي، الحاجب الكبير سنة ٨٢٣هـ، واجهته

على نظام الأحجار ذات اللونين الأسود والأبيض، وهو متأثر ببناء المساجد في القاهرة.

قاعة الضريح قائمة في محور المحراب، مكسوة بمرصعات من القاشاني في القرن الخامس عشر، وهو مصنوع في دمشق بأسلوب محلي، والزينة منفذة بالأزرق في الكوبالتي، والأخضر على أرضية بيضاء، والتأثير الصيني واضح في هذه الزينة. في الحرم كسوة مماثلة لكسوة الجدار الجنوبي، ونوافذ زجاجية قديمة ملونة وبقايا سقف مدهون، وقد بنيت المنارة سنة ٨٣٢هـ، في الطرف الآخر للطريق الذي يساير واجهة الجامع (٣٧).

المراجع والهوامش

١- الريحاوي، عبدالقادر، الموسوعة العربية ـ دمشق: هيئة الموسوعة، ٢٠٠١م ـ مج (٣) ـ ص ٦٥٢.

٢- البهنسي، عفيف، الجامع الأموي الكبير، أول روائع الفن الإسلامي ـ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨م ـ ص ٣٠.

٣- سوفاجيه، جان، الآثار التاريخية في دمشق، ترجمة: أكرم حسن العلبي ـ دمشق: دار الطباع، ١٩٩١م ـ ص ٥٢.

٤- البهنسي، عفيف، مرجع سابق: رقم ٢، ص ٣١.

٥- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، فتوح البلدان، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، وعمرو أحمد عطوة، الإسكندرية: دار ابن خلدون، (د ت) ـ ص ١٤٦.

٦- المرجع السابق ـ ص ١٤٧.

٧- الريحاوي، عبدالقادر، مرجع سابق: رقم (١) ـ ص ٦٥٢.

٨- الربعي، أبو الحسن علي بن محمد المتوفى سنة ٤٤١هـ، فضائل الشام ودمشق/ حققه ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد ـ دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٠م ـ ص ٤٣.

✽- الناطف نوع من أنواع الحلوى الدمشقية.

٩- المقدسي، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: وضع مقدمته، وهوامشه وفهارسه: د. محمد مخزوم ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٧م ـ ص ١٣٨.

١٠- ابن جبير، رحلة ابن جبير ـ بيروت: دار صادر، ١٩٥٩م ـ ص ٢٣٥.

١١- الريحاوي، عبدالقادر، مرجع سابق: رقم (١) ـ ص ٦٥٥.

١٢- ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف الرياض: مكتبة النصر، ج١٢ ـ ص ٩٨.

١٣- ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج١٤ ـ ص ١٨٦.

١٤- العلبي، أكرم حسن، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة من سنة ٤٠٠ - ١٤٠٠هـ دمشق: دار الطباع، ١٩٨٩م ـ ص ٢٩٥.

١٥- سوفاجيه، جان، مرجع سابق رقم (٣) ـ ص ٩٩.

١٦- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق: رقم (١٤) ـ ص ٣١٢.

١٧- المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، بغداد: مكتبة المثنى ـ ج٣ ـ ص ٢٨٠.

١٨- علي، محمد كرد، خطط الشام، دمشق: مكتبة النوري، (د ت) ج٦/ ص ١٣٩.

١٩- الحسني، محمد عزالدين حسني عربي مكاتبي الصيادي الرفاعي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية/ تحقيق صلاح الدين خليل البالي الحسني القادري، دمشق: دار الفارابي، ٢٠٠٠م ـ ص ١١٤.

٢٠- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق: رقم (١٤) ـ ٣٥٠.

٢١- ابن كثير، البداية والنهاية، ـ ج١٣/ ص ١٥٦.

٢٢- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق: الترقي، ١٩٥٨م ـ ج٥/ ص ٣٧١.

٢٣- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م ـ ج٧/ ص ١٧٠.

٢٤- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م ـ ج٢٠/ ص ٥٣٨.

٢٥- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق رقم ١٤ ـ ص ٣٢٨.

٢٦- الحسيني، محمد عز الدين حسين عربي مكاتبي الصيادي الرفاعي، مرجع سابق: رقم١٩ ـ ص ٩٥.

٢٧- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق رقم ١٤ ـ ص ١٠٥.

٢٨- الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٧م ـ ص ٨٨.

٢٩- الحسيني، محمد عز الدين حسين عربي مكاتبي الصيادي الرفاعي، مرجع سابق: رقم١٩ ـ ص ٩٨.

٣٠- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق رقم ١٤ ـ ص ٣١٨.

٣١- الحسيني، محمد عز الدين حسين عربي مكاتبي الصيادي الرفاعي، مرجع سابق: رقم١٩ ـ ص ٩٥.

٣٢- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق رقم ١٤ ـ ص ٣٢٦.

٣٣- الحسيني، محمد عز الدين حسين عربي مكاتبي الصيادي الرفاعي، مرجع سابق: رقم١٩ ـ ص ١٠٣.

٣٤- سوفاجيه، جان، مرجع سابق رقم (٣) ـ ص ٩٢.

٣٥- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات مكتبة الحياة ـ ج٣/ ص ٥.

٣٦- العلبي، أكرم حسن، مرجع سابق رقم ١٤ ـ ص ٣٥٥.

٣٧- سوفاجيه، جان، مرجع سابق رقم (٣) ـ ص ٩٩٤.



موعد في الجنان

نور الدين صمود

قليبية ـ تونس

ليس في العيش أيُّ إقبالِ
إنّ عُمْري غدا كأطلالِ

يا منارًا بنوره سَبَحَتْ
سُفُني في بحار آمالي!

حبُّكِ المالكُ الفؤادَ سرَى
في مجاري دمي وأوْصالي

في «سلا» قد غفوتِ يا سَكَني
وأنا عنكِ لستُ بالسّالي

يومَ فارقتِ فاض بي شَجَني
وطغَى بي نَوْحي وإعوالي

صِحْتُ، إذ غرَّني السرابُ ضُحًى
إن بحر الحياة كالآلِ

فدَعوني أذوبُ من وَلهي
إن حُبّي يُذيب أمثالي

كيف تبقى الحياة مشرقةً
وأنا في ظلام أهوالي؟

أنتِ عندي مقيمةٌ أبدًا
بعدما قد سكنت في بالي

في جنان الخلود موعدنا
أنتِ يا مَنْ خَبِرْتِ أحوالي

ليس لي في الحياة من أملٍ
إن أُأَمِّلْ فأنتِ آمالي

نلتقي في الجنان بعد غدٍ
إنَّ هذا اللقاءَ أحْلَى لي!

(هيِّئي لي لديكِ مُضطَجَعًا
عن قريبٍ يكونُ تَرحالي)

◆ زغوان (مدينة الأندلسيين بتونس) في ٢٤/٣/٢٠٠٥م.

◆ كان الشاعر الأندلسي الوزير لسان الدين الخطيب مغتربًا من الأندلس (الفردوس المفقود) بمدينة سلا المغربية، وعندما توفيت زوجته بها دفنها في فناء منزله، وكتب على ضريحها بيتًا من الشعر، بقي يتيمًا، ولعله من قصيدة ضائعة، فتخيلتُ أن الشاعر قد كتب بقيتها على هذا النحو، الذي أرجو أن يكون معبرًا عن مشاعره في ذلك الموقف، والقصيدة على «ضرب» قليل الاستعمال من الخفيف هذا وزنه:

فاعلاتن مستفعلن فعِلنْ   فاعلاتن مستفعلن فعِلنْ

بجوازاته المألوفة في الخفيف المعروف.

يا صباح

محمد أمين أخرس

إدلب - سورية

عِدْني بشيءٍ يا صباحُ
عِدْني كما وَعَدَ الحمامةَ
أنْ يطيرَ بها...
ويبتعدَ الجناحُ

عِدْني بشمسِكَ
أنْ تسيلَ على جَبيني
وردةً بيضاءَ
أغنيةً على شَفَةِ النّدى
فهوًى يميسُ...
وخافقٌ صدّاحُ

عِدْني بفجرٍ حالمٍ
من مُقلتَيْها...
يُوقظُ الأشجارَ في روحي
ويَفْتَرُّ الأقاحُ.

عِدْني أنا
عِدْني هنا...
طيفًا على سَفْحِ المغاني
نسمةً رَيًّا
تُغازلُني... أُغازلُها
ويَفْتَنُّ السَّماحُ.

عِدْني على أملٍ...
كما وَعَدَتْ مراكِبَنا
وأَغْرَتْها الرِّياحُ
لمّا تَزَلْ
ترنو إلى الأُفُقِ البعيدِ
لَعَلَّ نجمًا يرتمي
في حُضنِها بَرْدًا
وتلْتَئِمُ الجراحُ

عِدْني.. إلى زمنٍ قريبٍ
مِن مواعيدي ومنّي...

شفَّني الوجْدُ
وأشْجاها النُّواحُ
طالتْ بها الآمالُ حتّى...
لم يَعُدْ حُبٌّ مُتاحُ!

عِدْني..
كما وَعَدَتْ مُنًى
ألاّ تغيبَ عن الأصائلِ شَمْسُها
وتعودَ عندَ رجوعِ
أسرابِ الأماني...
وانتظرتُ قُدومَها
لمّا تَعُدْ...!
الكأسُ فارغةٌ هُنا
وهناكَ ظمْأى الرّاحُ
عِدْها بشيءٍ
ثم عِدْني يا صباحُ



سمكة القرش

ليون تولستوي

ترجمة: هاشم حمادي

دمشق ـ سورية

رست سفينتنا عند الشاطئ الإفريقي. كان الجو رائعًا. ومن البحر يهب هواء منعش لطيف. لكن الطقس تغير بحلول المساء، وأصبح الجو خانقًا.

قبيل الغروب خرج القبطان إلى سطح السفينة، وصاح: «إلى السباحة»، وعلى جناح السرعة قفز البحارة إلى الماء. وأنزلوا الشراع، ثم حولوه إلى حوض للسباحة.

كان معنا في السفينة صبيان، كانا أول من نزلا إلى الماء، وقد وجدا المكان ضيقًا داخل الشراع، فقررا أن يتسابقا في السباحة في عرض البحر.

في البداية سبق أحد الصبيين رفيقه، لكنه لم يلبث أن راح يتأخر. كان والد الصبي وهو مدفعي قديم، يقف على متن السفينة، يتأمل ولده بإعجاب، وحين بدأ الصبي يتخلف، صاح به أبوه:

ـ «لا تتخلف، هيا تقدم».

فجأة صاح أحدهم على متن السفينة:

ـ قرش

ورأينا جميعًا ظهرها بارزًا فوق سطح الماء. كانت سمكة القرش تسبح نحو الصبيين مباشرة.

وصرخ المدفعي:

ـ ارجعا، ارجعا، سمكة قرش.

لكن الصبيين لم يسمعا صراخه، وتابعا السباحة، وهما يطلقان الضحكات والصيحات المرحة.

شحب وجه المدفعي، وراح ينظر إلى الصبيين وقد ران عليه الصمت.

اندفع البحارة إلى القارب، وانطلقوا باتجاه الصبيين بكل ما أوتوا من قوة، لكنهم كانوا لا يزالون بعيدين عنهما، بينما كان القرش على مسافة عشرين خطوة منهما.

في البداية لم يسمع الصبيان الصياح، ولم يريا القرش. وفيما بعد التفت أحدهما، وسمعنا جميعًا صرخة قوية. ما إن رأى الصبيان القرش حتى سبحا في اتجاهين مختلفين.

بدا كأن هذه الصرخة أيقظت المدفعي، فقد هرع إلى المدفع، وأدار سبطانته، ثم سدد.

وقفنا جميعًا وقد تسمرنا من الخوف، ورحنا ننظر، وكأن على رؤوسنا الطير. دوت الطلقة، ووقع المدفعجي قرب المدفع، ثم غطى وجهه بيديه. لم نر ما جرى للقرش والصبيين بسبب الدخان، لكن ما إن تلاشى الدخان، حتى ترددت من كل الجوانب صيحة فرح قوية.

فتح المدفعي القديم عينيه، ثم وقف، ونظر إلى البحر، كانت سمكة القرش الميتة تتراقص فوق الأمواج.

بعد عدة دقائق وصل القارب الذي يحمل البحارة إلى الصبيين، وعاد بهما إلى السفينة سالمين.



بكثير من الامتنان

فاطمة عبدالحميد
جدة - السعودية

بعض الزغب تكوم ظلالاً على عجل فوق ذقنه، وبعض العطر ممزوجًا بنكهة الشباب يشي به أينما حلّ.

كنت أغير اتجاه مكيف السيارة، لأضلل طريق الهواء فلا يصيب وجهه مباشرة.

فالتفت مكتظًا بالصراخ:

ـ أكره اللعب في السيارة، ابعدي يدك.

ـ ولكن يا رامي كنت تلعب حتى قبل أن نراك، تركل بطن أمي فتتقافز الأيدي فرحًا: تحرك.. تحرك هنا تحت يدي أنا.

وحين خرجت الممرضة من غرفة الولادة لتزف خبر وصولك؛ ابتسمت حين رأت خمس بنات "He Is Boy".

لم أكن أعرف معنى Boy، ولكن وجه أبي وأختي الكبرى بشرني بك.

قاطعَ لحظة تدفق ولادته بسؤال:

ـ افترضي أن رجلاً يلبس (غترة) بيضاء مكوية (منشاة) وفجأة تَبَرّز عليها طائر عابر في السماء! أيستطيع هذا الرجل الأنيق أن يكمل سيره؟ أم يتوقف في مكان منزوٍ قليلاً، ويخلعها عن رأسه؟ ربما عليه أيضًا أن يدوسها حتى يطبع حذاءه فوق بياضها.

كبرتَ يا آخر العنقود ببطء شديد، وعلت جدتي هذا بكثرة الدلال. خففنا الدلال فتساقطت أسنانك قبل أول يوم لذهابك إلى المدرسة، فأخرنا ذهابك إلى السنة التي تليها.

ـ لمَ لم تسمح لمنال أن تأتي معنا؟ هي الأخرى ضجرت من جلسة البيت.

كان وجهه يعانق الزجاج بهدوء، لم يسمع شيئًا مما قالت!

أذكر أنهم وكلوا مهمة تدريسه إليّ، فشرحت له الجمع مثلاً بأني وهو نكون اثنين، ونحن وهو نكون ستة. ولم أجرؤ على شرح الطرح بالطريقة نفسها فاستعنت بعلبة ألوانه.

الآن أتذكر بعض ما نسيت وأنت تلوح بصراخك:

ـ أترين هذه المراكب يساري، لن يرمش لي جفن لو أبحرت بك أبعد من قدميك وألقيتك هناك.. وأشار إلى مكان لم أنظر إليه جهة البحر. سأقول التفَّ محرك المركب على عباءتها فجرها إلى قاع البحر..

عقد حاجبيه ساخرًا: أي قضاء وقدر، بما أنك لا تجيدين السباحة!

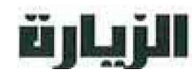
أرأيت لم تخطئ الاتجاهات يا رامي؛ لأني ربطتها بنبض قلبك حين كان بحجم قبضتك.

ثم متى غافلوني إلى عقلك؟ أكان هذا وأنا أعد فطورك صباحًا؟ أم في إحدى الحصص علموك أني لست سوى عار يذيل (غترتك)، وماذا فعلت أيها الذنب لأستحق هذا القصاص؟ ألم تكن تضحك من دعاء عمتي: (اجعله يا رب ذئبًا، واجعلهن غنمًا)؟ لعل هذا الآن أصبح هتافًا بطريك!

انعطف بسيارته يسارًا، وقف بجوار لوحة زرقاء كتب عليها بخط رفيع (إيجار المركب لشخصين مئتا ريال).

قلب محفظة نقوده، عود أسنان سقط خفيفًا من دون أن يشعر به، خيل إليّ أنه أنا وقاع البحر يجذبني!!

عدنا بالطريق ذاته الذي جئنا منه، ولكن بأقل الذكريات، وبكثير من الامتنان لخمسين ريالاً ضلت طريقها إلى جيب أخي.



الزيارة

مصطفى نصر

الإسكندرية ــ مصر

اقترب من المبنى الشامخ في المنشية جنود يقفون أمام المبنى، وضابط يجلس في حجرة نصف جدارها مكشوف، ويطل على الشارع ليتابع منها الداخل والخارج.

اقترب من الضابط، تلعثم قليلاً، ثم قال:

ـ عزمي بك من فضلك.

فحصه الضابط طويلاً في ارتياب، ثم سأله:

ـ هناك موعد سابق؟

ـ لا.

تركه الضابط وتابع الطريق أمامه، تردد قليلاً، ثم قرر أن يعود من حيث جاء، لكنه خجله جعله يقف في مكانه لا يتحرك. وضع أطراف أصابعه فوق المكتب، فصاح الضابط وكأنه يراه أول مرة. ماذا تريد؟

ـ عزمي بك.

ـ لا بد من وجود موعد سابق.

ـ شكرًا. ليس هناك داع لهذا.

لا يدري ما الذي جعل الضابط يغير رأيه فجأة، ربما أشفق عليه، أو أن ملابسه الأنيقة أوحت إلى الضابط بأهميته.

ـ ما اسمك؟

ـ علي سعد.

أدار الضابط قرص الهاتف عدة دورات. وهمس همسًا لم يسمع «علي» ما قاله، ثم أبعد الضابط سماعة الهاتف عن أذنه قليلاً. تابع فيها وجه علي، وعاد إلى السماعة ثانية وهمس، ثم قال لعلي: تفضل.

عزمي كان صديق علي، يزوره في بيته أيام الدراسة كل مساء تقريبًا، يستذكران معًا لوقت متأخر من الليل. وينام عنده إلى الصباح. أم علي تحب عزمي مثل ابنها، تدرك مدى فقره فتساعده، تدق الباب كل ليلة وهما يستذكران دروسهما، فيقف علي، يمسك صينية الطعام من يدها. يتناولان العشاء. لم يدخل علي بيت عزمي ولا مرة واحدة، فمسكنه لا يسمح بزيارة الأصدقاء، فقد كان يشاركه في الشقة التي يسكنها سكان آخرون، فكان علي ينادي عليه وينتظره في الشارع إلى أن يتأهب للخروج.

وتخرّجا، عمل عزمي موظفًا في المحافظة، مكتفيًا بشهادته المتوسطة، وأكمل علي حتى حصل على ليسانس الحقوق. لكن أشياء جدت غيرت كل شيء. شقيق عزمي أصبح مهمًا في الدولة. كان يعرف أن أخاه ضابط في الجيش، لكن لم يصل تفكيره ولا تفكير أي إنسان من معارف عزمي، أن يحدث هذا. وكبر عزمي، صار مهمًا، يمتلك كثيرًا، وكلمة منه تحدث المعجزات، وكرت باسمه يفتح الأبواب المغلقة ويغير أشياء كثيرة.

تابعه علي من بعيد، وتمنى له الخير. فقد قاسى كثيرًا في حياته، والله عوض صبره خيرًا، لكن بعض الأصدقاء وزملاء العمل ألحّوا على «علي».

ـ إنها فرصة يتمناها أي إنسان، لا تدعها تفلت منك.

ـ لكن أنا لا أريد منه شيئًا.

ـ دعك ـ يا رجل ـ من خجلك هذا، لو قابلته سيتغير حالك.

ـ لا. لا.

ظل الإلحـــاح يطارده، وفكر، لماذا لا يذهب إليـــه، يجلسان معًا، يستعيدان أيامهما، فيشرب علي قهوته في مكتبه ويدعوه إلى بيته. أم علي مازالت تذكره وتتمنى رؤيته، وتفرح عندما ترى صوره في واجهة الصحف. سيحدثه علي في هذا، سيتذكران طعامها ودعواتها لهما التي تحققت خاصة بالنسبة إلى عزمي.

جاء عسكري سري نظر إليه من دون قول، ثم سار بجواره. فتح بابًا وأدخله.

أشار مدير المكتب إليه بأن يجلس إلى أن ينتهي عزمي بك من عمله. لم يمكث طويلاً، فسرعان ما خرج أحد الرجال، فقام مدير المكتب بوداعه حتى الباب مبتسمًا، ولم يعد إلى مكتبه، أسرع إلى مكتب عزمي بك. مكث قليلاً ثم جاء. أشار إلى علي بالدخول.

سار علي مرتبكًا. الحجرة كبيرة جدًا، والطريق طويل من الباب حتى المكتب. والمقاعد أمام مكتبه مشغولة ببعض الرجال، كانوا يتحدثون معه - واضح أنهم من مساعديه - سار علي ثلاث خطوات لا أكثر، فجاءه صوت عزمي من بعيد:

- أهلاً علي.

توقف علي فجأة فصوت عزمي صار حادًا وجادًا:

- أهلاً بك يا عزمي بك.

قبل أن يكمل جملته صاح عزمي: هل هناك شيء؟

ارتبك «علي»، تسمرت قدماه فوق أرضية الحجرة الخشبية، ها هو ذا يسأله عما جاء به إليه. ماذا سيقول له، صاح علي:

- جئت لكي أصافحك، أطمئن عليك.

ابتسم عزمي من بعيد وقال:

- أنا بخير. أشكرك يا «علي»، أشكرك.

تعثر علي، كاد يقع، أكمل عزمي حديثه مع الجالسين أمامه. سمع علي كلماته. فدار حول نفسه بصعوبة. أعطى ظهره له وسار المسافة المتبقية حتى باب الحجرة. لا، لم تكن ثلاث خطوات، كانت أكثر. أغلق الباب خلفه وصوت عزمي - الذي أصبح عاليًا - ما زال يأتيه. كان يشرح لمن معه بعض المسائل.





التوثيق العلمي من ظهور الكتب والمخطوطات

محمد خير رمضان يوسف

الرياض - السعودية

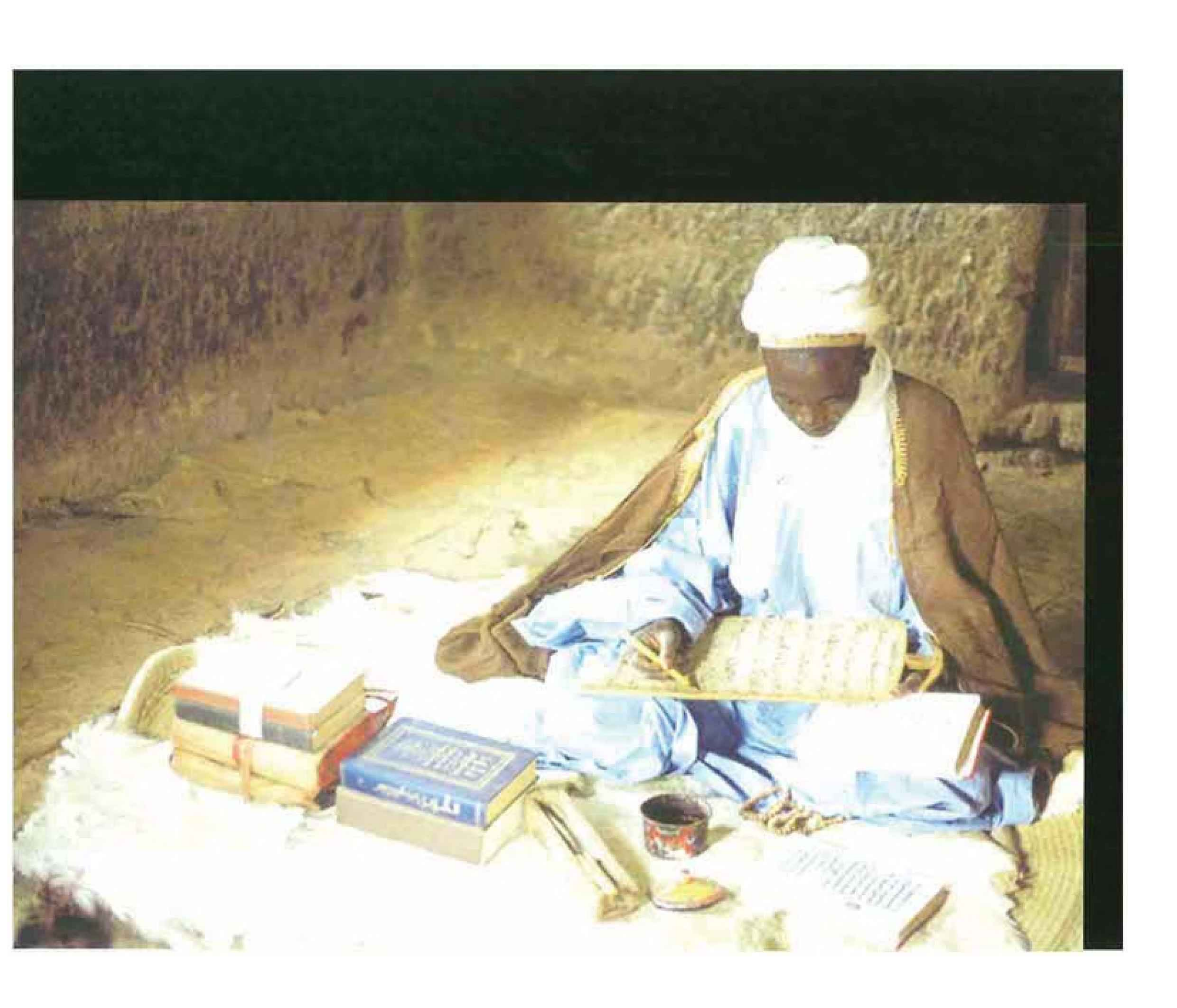
يؤدي المسجد دورًا مهمًا في حياة المسلمين. فما إن وطئت أقدامهم البلاد المفتوحة حتى بدؤوا بإعلاء كلمة التوحيد من أعلى مساجدهم، وأول ما يفكر المسلمون بإنشائه عندما تهبط أقدامهم الأراضي المفتوحة، هو إقامة مسجد يجمعهم في كل صلاة، ويسمعون فيه كلام العلي القدير.

كنت اظنّ اني ساقترح شيئاً جديداً في هذا الموضوع، ثم تبيَّنَ ان السلف قد اخذوا به منذ قرون طويلة، بل عالجوا فناً منه، ووضعوا له قواعد علمية، لكنه انحسر شيئاً فشيئاً إلى ان انعدم في يومنا هذا، او كاد.

فقد كان للسلف عادة جميلة، عندما كانوا يدوّنون معلومات مفيدة على ظهور الكتب التي عندهم، وظهر الكتاب هو صفحة الغلاف منه، أو صفحة العنوان فيه، وتكون الكتابة على طرّته، يعني حوافّه، من أي جانب كان.

وهذه المعلومات لا ضبط لها ولا تقييد، يعني ان مالك الكتاب، أو ناسخه، أو حتى مؤلفه، قد يعجبه شيء، او يتذكر معلومة، أو يملى عليه شيء، فلا يجد أمامه سوى كتاب يدوّن على صفحته ما شاء، وقد يتعمَّد ذلك فتكون المعلومات عن مؤلف الكتاب، او الكتاب نفسه، وهلمَّ جراً.

ومجموع هذه المعلومات سمّاها الباحثون «فوائد» يعني أيَّ شيء فيه فائدة، من شعر، أو اثر، أو حكمة، او خبر، أو ترجمة، او تحديد موضع، او تاريخ حادثة، او



تصحيح خطأ.. وتسمى في عصرنا «معلومات».

وقد تكون هذه الفوائد نقلاً من كتاب، أو رواية عن عالم، أو أديب، أو معلومة جديدة أتى بها من عنده، أو سمعها من آخرين لم تدرج في كتاب، ولا تعرف في باب من أبوابه.

والمقصود في موضوعنا هذا هو الصنف الأخير من الفوائد، يعني ما يمكن الاستفادة منه علمياً مما لا يوجد في الكتب، وما نقله مؤلفون من السلف من ظهور الكتب، وجعلوه في كتبهم.

وهو أمرٌ جليلٌ حقاً، فإنه لا يعرف قيمة هذه الفوائد والمعلومات إلا من اطلع عليها، وعرف كنهها وفائدتها.

وقد افتقدنا هذه العادة الجميلة في هذا العصر، فلم نعد نرى كتاباً عليه فوائد مثل قبل، بل ينظر إلى الكتاب أن أفضله عند مالكه ما رؤي نظيفاً!

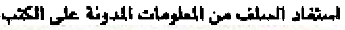
على أننا لا نعدم كتابات متفرقة على كتب نادرة، وهو ما يستشهد بها في هذا المقال أيضاً، بينها ما هو مفيد ومهم.

وقلت: إن السلف عرفوا نوعاً منه، واعتنوا به،

وأعني «الوجادة» التي يأتي الحديث عنها، وهي أحد أنواع الحديث الشريف.

وسيظهر للقارئ الكريم أن كثيراً من الباحثين من السلف استفادوا من هذه المعلومات المدوّنة على ظهور الكتب، منهم مؤرِّخون ومحدِّثون كبار، أمثال ياقوت الحموي، وابن العديم، والذهبي، والمقَّري... وغيرهم، وهذا ما أردتُ أن أبيِّنه في هذه الدراسة، التي تتولى جانب التوثيق والتحرير.

ويبقى المهم هو في كيفية جمعِ هذا الكم الهائل من المعلومات والفوائد التي على ظهور الكتب والمخطوطات، وهو ما سادعه إلى آخر البحث.


استفاد السلف من المعلومات المدونة على الكتب



الاهتمام بما على ظهور الكتب من الفوائد

تاريخ الكتابة على طُرر الكتب قديم، ولا يستبعد أن يكون في القرن الثاني الهجري، على أن الاهتمام بها غدا بعد توافرها، ويُعتقدُ أنه كان في القرن الرابع الهجري.

يذكر القزويني - رحمه الله - أن القاضي أبا القاسم عبدالملك بن أحمد بن المعافى القزويني كان كثير الجمع والكتابة، حسن الخط، يتهاداه الناس فيما بينهم، سافر وخالط فضلاء العصر من مكاتبة ومعاشرة ومشاعرة.

وقال: رأيت بخطه: حضر عندي الشيخ الرئيس أبو الحسن علي بن الحسن البجلي وأنا بأصبهان سنة خمسمئة، وقد خرَّجتُ ما في الصناديق من الكتب، فأخذ يتأمل ما على ظهورها، وقال لي: لو جُمع ما على ظهورِ هذه الكتب لكان رأسَ مالِ عالم! فقلتُ له: روى لنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، عن أبي القاسم الرَّقِّي، أنه كان يُروى عن بعض مشايخ الأدب وقد مرض، أنه قيل له: ما تشتهي؟ فقال: ظهورَ الكتب، وأكبادَ الحُسَّاد، وأعينَ الرقباء [1].

وممن جمع الفوائد من ظهور الكتب الوزير الأكرم علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، في كتابه «نُهزة الخاطر ونزهة الناظر»، لكنه مفقود.

ثم جميل العظم (ت ١٣٥٢هـ) في كتابه «الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات»، وهو صغير، صدر عن دار البشائر الإسلامية ببيروت.

ثم لكاتب هذا المقال «الغُرر على الطُّرر: غُرَر الفوائد على طُرَر المخطوطات والنوادر» جزءان في مجلد، صدر عن الدار السابقة، ولديه جزء ثالث جاهز للطبع.

التراجم

لعل أكثر ما يكتب على ظهور الكتب بعد الشعر،



«فوائد» دونها السلف على ظهور الكتب

هو ما يتعلق بالتراجم، ومعظمها في ذلك عن مؤلف الكتاب نفسه، وهذه أمثلة على ذلك.

في ترجمة علي بن المختار الغزنوي، وهو لغوي فرضي مات سنة ٥٧٢هـ نقل القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٤٢٢ قال: رأيت بخطه على ظهر

المعلومات لا ضبط لها ولا تقييد، يعني أن مالك الكتاب، أو ناسخه، أو حتى مؤلفه، قد يعجبه شيء، أو يتذكر معلومة، أو يملى عليه شيء، فلا يجد أمامه سوى كتاب يدوّن على صفحته ما شاء

كتاب: تركت المسجد الجامع والترك له ريبة، فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبة.

وحديث عن الحافظ الطبراني في رؤيا رآها في رحلته إلى المشايخ لطلب الحديث، رؤي ذلك بخط محمد بن أبي بكر البقال، مكتوباً على ظهر الجزء الأول من كتاب «التفسير»، لأبي محمد بن حيان أبي الشيخ.

ورؤيا أخرى له وجدت على ظهر كتاب «دلائل النبوة» لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي... (٢)

وجاء في آخر «شرح الجزازية» تعريف بمؤلفه أحمد بن محمد الجزاز نقلاً من كتاب "النور اللامع" للعلامة صالح بن الصديق النمازي (ت ٩٧٥هـ). وهذا الكتاب لم يرد له ذكر في كشف الظنون ولا ذيله، ولم يذكر له هذا الكتاب الزركلي في ترجمته.

وترجمة جميلة للإمام الشاطبي كتبه ناسخ «الهبات السنية العلية على أبيات الشاطبية الرائية» للملا علي القاري، نسخة الأزهرية، نقله العرياني والإزميري (٣).

وآراء جديدة في ابن تيمية، في أوراق من مخطوطة «منهاج السنة النبوية» له، نسخة عاشر أفندي، نقلها محققه محمد رشاد سالم في مقدمة التحقيق.

وكذلك كتابة «درء تعارض العقل والنقل» التي نقلها المحقق أيضاً.

وترجمة جديدة لأحمد بن عبدالله البعلي نقلها أحد العلماء من على ظهر كتابه «الذخر الحرير شرح مختصر التحرير» المحفوظة مخطوطته بمكتبة الملك فهد الوطنية.

وجاء في ظهر الجزء الثالث من «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للإمام السيوطي، من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

قال الشيخ يوسف بن عبيدالله الحسيني الشافعي الأرميولي: سمعت حال قراءاتي على مؤلف هذا الكتاب - يعني السيوطي - أنه قال: جمعت ثلاثة وثلاثين ألفاً من الأحاديث.

ورأى تقي الدين الغزي صاحب «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» معلومة تخص خلف بن أيوب في هامش نسخ من «الجواهر المضية» فكتبها ووثقها هكذا في كتابه المذكور المطبوع بتحقيق عبدالفتاح الحلو ٣/٢١١.

ولا شكّ أن مثل هذه المعلومات، التي لا تتوافر - غالباً - في مصادر التراجم، تكون مفيدة للدارسين، وبخاصة الأعلام الذين لا حظّ لهم في ترجمات مسهبة، فيدون عن أحد الأعلام معلومات أحد أقرانه، أو تلامذته، سواء في أحواله، أو معرفة نسبه، أو تأريخ ولادته، أو وفاته، كما يأتي:

كان للسلف عادة جميلة، عندما كانوا يدوِّنون معلومات مفيدة على ظهورِ الكتب التي عندهم، وظهر الكتاب هو صفحة الغلاف منه، أو صفحة العنوان فيه، وتكون الكتابة على طرَّته، يعني حواشيه، من أي جانبٍ كان

توثيق النسب

في نسب ابن حزم روى المراكشي في كتابه «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» ١/ ٤٦ قال: أبو محمد الذي يحدث عنه الحميدي، هو أبو محمد علي بن أحمد... بن حزم... قرئ عليَّ نسبه هذا بخطه على ظهر كتاب من تصانيفه: أصل آبائه الأدنين من قرية من إقليم لبلة من غرب الأندلس، سكن هو وأبوه قرطبة، وكان أبوه من وزراء المنصور...

وتحقيق في نسب ابن حجر الهيتمي ورد في طرة «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» للمذكور، نسخة المتحف العراقي.

تأريخ الولادة والوفاة بدقة

قال الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢/ ١٩٨: «قرئ على ظهر كتاب لأحمد بن سعيد الدمشقي: مات سيبويه سنة ١٩٤هـ».

وقال ياقوت الحموي: «وجدتُ على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبح بكتاب «النبات» من تصنيف أبي حنيفة: توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٢٠٨هـ» (٤).

ويروي المصنف الكبير أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين، أنه وجد مولده بخط أبيه على ظهر كتاب

حدثه بما فيه محمد بن علي بن عبدالله الوراق... وفيه: ولد ابني عمر في صفر سنة ٢٩٧هـ... (٥). ومثله كثير في تاريخ دمشق.

قال أبو محمد عمر بن محمد الكلبي: وجدت على ظهر جزء: مات الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان وقت العتمة ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة ٤٤٥هـ. شيخ العدلية وعالمهم وفقيههم... (٦)

وقال في تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٩٧: «قال عبدالعزيز الكتاني: وجدت على ظهر كتاب تمام بن محمد: توفي أبو الفرج بن سخت الرقي - وهو عبيدالله بن أحمد بن الحسن الجبلي - في سنة ٤٠٠هـ».

وفي تاريخ دمشق أيضاً ٤١/ ٣٢٢: «قال عبدالعزيز الكتاني: وجدت على ظهر كتاب تاريخ أبي زرعة: مات أبو القاسم علي بن الحسين بن رجاء بن طلمان المحتسب ليلة الاثنين لعشر خلون من شوال سنة ٣٧٦هـ».

وفي ٤٣/ ٤٨٥ منه نقل من الكتاني أيضاً: «وجدت على ظهر كتاب تمام بن محمد: توفي عمران الخفاف في سنة ٤٠٠هـ».

وقال السمعاني في الأنساب (٥/ ١٨١): «قرأت على ظهر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: مات أحمد بن ماما خامس شعبان سنة ٤٣٦هـ ببخارى، قال: ومات أبو المسهر قبله بأسبوع».

وتأريخ دقيق لولادة ووفاة محمد بن شريح الرعيني وابن شريح وأبيات وردت في رثائه لم أجدها في جملة من المراجع الأندلسية، كتبت بقلم ناسخ كتاب على ظهر «الكافي في القراءات السبع» للرعيني نفسه، نسخة الأزهرية.

وقال في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٩/ ٤٠٢٥): «قرأت بخط بعض المعربين على ظهر كتاب: ولد الشيخ أبو نصر زيد بن عبدالواحد بن عبدالله بن سلمان سنة ٣٩٨هـ، وتوفي سنة ٤٤٢هـ، فيكون عمره ٤٤سنة».

وقال أيضا: قرأت بخط خليفة (بن سليمان) على ظهر كتاب: «توفي الأستاذ الإمام علاء الدين الكاساني ذو المكارم أبو بكر بن مسعود عاشر رجب بعد الظهر سنة ٥٨٧هـ. وتولى التدريس بعده الأستاذ الإمام افتخار الدين في سابع عشر رجب» (٧).

والحافظ السهيلي أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله وُجد على ظهر كتابه «الفرائض» أنه ولد بإشبيلية سنة ٥٠٨هـ، وتوفي بمراكش في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٥٨١هـ، ولي قضاء الجماعة، وحمدت سيرته (٨).

وجاء تاريخ وفاة علي الإسفندري على ظهر كتاب «المقتبس في توضيح ما التبس» له، نسخة مكتبة جارالله، الملحقة بالمكتبة السليمانية بإستانبول: «توفي الشيخ الأستاذ.. وقت الضحوة الصغرى من يوم الأربعاء التاسع عشر من رجب سنة ٦٩٨هـ، وعاش سبعاً وسبعين سنة».

وروى صاحب «المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور» (١/ ١٠٧) عن صاحب الأصل في ترجمة عمه أبي بكر أحمد بن محمد بن عبدالغافر الفارسي قال: «قرأت بخط أبيهما - يعني المذكور وأخاه أبا الحسين - على ظهر كتاب «مختصر العين»: «ولد ولدي

إن المعلومات التي لا تتوافر - غالباً - في مصادر التراجم، تكون مفيدة للدارسين، وبخاصة الأعلام الذين لا حظّ لهم في ترجمات مسهبة، فيدون عن أحد الأعلام معلومات أحد أقرانه، أو تلامذته، سواء في أحواله، أو معرفة نسبه، أو تأريخ ولادته، أو وفاته

أحمد لثلاث بقين من رجب سنة ٣٥٠هـ، وولد عبدالغافر ليلة الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٣هـ...».

كما يرد بيان بتاريخ وفاة الناسخ، حيث ورد على طرّة «مصابيح السنة» نسخة مركز الملك فيصل، لناسخه إلياس بن عيسى أنه توفي يوم الخميس وقت العصر ٢٧ شعبان سنة ٨١٨هـ.

وورد حواليه تأريخ وفاة ثلاثة من أولاده.

ووفيات أسرية أخرى على طرّة كتاب «جوهرة الفرائض الكاشف لمعاني مفتاح الفائض» للراشدي، نسخة جامعة الإمام بالرياض.

وحديثاً: ورد تأريخ لوفاة الشاعر المصري أحمد نسيم (١٩٣٨م)، وبيان بعض ما قيل فيه، كتب بالقلم على نسخة طبعت سنة ١٣٢٦هـ محفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية.

كما أرخ الشيخ عبدالله الدحيان (ت ١٣٤٩هـ) لوفاة شيخه عبدالله بن عودة القدومي من نابلس بيوم الجمعة وهو في صلاتها سنة ١٣٣٠هـ؛ وذلك على ظهر نسخته من كتاب «الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية» للقدومي.

إنها لا شك معلومات قيمة ودقيقة، قد تكون أكثر توثيقاً ومصداقية من مصادر التراجم؛ وذلك لأنها كتبت بأقلام مهتمين بها، ومقربين من أصحابها، مع تحديد دقيق لا توجد غالباً في مصادر العامة.

الشعر

أبيات الشعر هي أكثر ما ترد على ظهور المخطوطات، لكن المقصود هنا هو ما لا يوجد في الدواوين والموسوعات الأدبية، أو ما نقله المؤرخون والأدباء من ظهور الكتب.

ومن ذلك ما نقله الصفدي في «الوافي بالوفيات» من أبيات وأخبار وجدها أحدهم على طرر المخطوطات، وهي:

قال ابن الشواء الكاتب: رأيت مكتوباً على ظهر كتاب قول بعض الأعراب:

نزلتُ على آل المهلّب شاتياً
غريباً عن الأوطانِ في زمنٍ مَحْلِ
فما زال بي إلطافهم وافتقادهم
وبرّهمُ حتى حسبتُهُمُ أهْلي

وتحتها مكتوب قول الحريري:

جزى الله مولًى قد نزلتُ بداره
كما ينزل الضيفُ الموالي المواليا
فأسرفَ في برّي وأكرمَ جانبي
وقرّبَ آمالي وأرضَى الأمانيا
فلو زاره ضيفُ المهلّب لم يقل
«نزلت على آل المهلّب شاتيا»

فكتبتُ تحتهما من شعري بديهاً:

سقى الله داراً ظلتُ فيها منعّماً
ولا جادها في الدهر صوبُ المكارهِ
جنيتُ ثمار اللهو فيها مجاورًا
لمن لا يطيق الدهر إيلامَ جارهِ

من باب التوثيق العلمي الذي يقيّد به بعد التأكد منه: الإجازات الكثيرة الموجودة على ظهور الكتب، بروايتها أو ببيان سماع مضمونها وروايتها. وقد تدون إجازات طويلة لا يتسع لها ظهر الكتاب، فتسجل في أوراق تسبق العنوان أو تليه



في صقلية تراث إسلامي ضخم

مليكاً ترى صيــــد الملوك ببـــابهِ
وكلُّهمُ يَعـــشـــو إلى ضـــوء نارهِ
يؤجّـــجـــهـــا بالعنبـــر الرطب ليلَه
وبالعنبـــر الهنديِّ طولَ نهـــارهِ
فلو زار مَـــغـناه الحـــريريُّ لم يقلْ
«جزى الله مولىً قد نزلت بدارهِ» (٩)

ومثل هذا كثير (١٠). ومثله في «بغية الطلب في تاريخ حلب» هذا ما عدا قصائد ومنظومات في مدح الكتاب لا تجده في المراجع وبطون الكتب، وهو كثير أيضاً.

مثال ذلك ثناء طويل لابن أبي العز الحنفي على كتاب "مدارج السالكين "لابن القيم على الكتاب نفسه، نسخة المكتبة العثمانية بحلب.

الأخبار والآثار

أما الأخبار والآثار فكثيرة، مثال ذلك قول أحمد بن سلمة النيسابوري: وجدت على ظهر كتاب لي عن

عبدالله بن عبدالله بن زياد القطواني قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول:

انتهى العلم في زماننا هذا إلى أربعة: إلى أحمد بن حنبل، وهو أفقههم فيه، وإلى يحيى بن معين، وهو أكتبهم له، وإلى علي بن المديني، وهو أعلمهم به، وإلى أبي بكر بن شيبة، وهو أحفظهم له (١١).

وقال الإمام الذهبي: وجدت على ظهر كتاب عتيق: سمعت أبا عمرو، سمعت عشرة من أصحاب الجبائي يحكون عنه قال: الحديث لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبي حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة (١٢).

وذكر صاحب «بغية الطلب» ٣/ ١٣١٦: نقلت من خط ابن الحداد صاحب ثعلب على ظهر كتاب ببغداد فيه أخبار الحارث المخزومي: قال أبو هفان: يروى أن الأحنف بن قيس لم يقل غير هذين البيتين:

فلو أن مالي مال كثير
لجدت وكنت له باذلاً
فإن المروءة لا تستطاع
إذا لم يكن مالها فاضلاً

تأريخ أحداث ووقائع

ولن تعدم فوائد أخرى تتعلق بالتاريخ والأحداث والوقائع، مما يراه أو يسمعه ناسخ الكتاب أو مالكه أو مطالعه، فيكتب ما يشاء من ذلك على ظهر الكتاب وأوراق تسبق العنوان منه، وتنقل هذه المعلومات في مصادر تاريخية أيضاً.

قال في «بغية الطلب» (٣/ ١٢٢٥): قرأت بخط القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن، أو بخط غيره على ظهر كتاب «شعر المتنبي» - يعني ديوانه - نسخة القاضي أبي الحسن التي قرأها على محمد بن عبدالله بن سعد وخطه عليها ما صورته: صعد القاضي (أبو الحسن أحمد بن يحيى قاضي حلب) - خلصه الله - إلى القلعة يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٤٤٠هـ، ونزل بحمد الله ومنته يوم الأربعاء الثامن من شعبان سنة ٤٤٢هـ، ولله على ذلك الحمد وخالص الشكر.

وكان والي حلب أبو علوان بن مرداس قد اعتقل أماثل الحلبيين، منهم القاضي المذكور.

وقال في ترجمة أبي محمد المعري القاضي (٥/ ٢٤٥٧): نقلت عن ظهر كتاب «الشروط» لأبي جعفر الطحاوي أظنه بخط أبي صالح محمد بن المهذب المعري: «وصل القاضي أبو محمد الحسن بن عبدالكريم بن جعفر بن المهذب إلى سرمين مستهل شعبان من سنة ٤٦٣هـ وبيده تقليد القضاء بناحية سرمين وأعمالها، والعلامات السلطانية عليه، وهو مؤرخ في النصف من رجب»

يريد بالعلامات السلطانية علامة السلطان ألب ارسلان الملقب بالعادل اهـ».

وقد تدون أحداث ووقائع تمر بالناسخ كما قلنا، من

مجموع المعلومات سمّاها الباحثون "فوائد" يعني أيَّ شيء فيه فائدة، من شعر، أو أثر، أو حكمة، أو خبر، أو ترجمة، أو تحديد موضع، أو تأريخ حادثة، أو تصحيح خطأ.. وتسمى في عصرنا "معلومات". وقد تكون هذه الفوائد نقلاً من كتاب، أو رواية عن عالم، أو أديب، أو معلومة جديدة أتى بها من عنده، أو سمعها من آخرين لم تدرج في كتاب

ذلك ما كتبه محمد بن إبراهيم الحلواني الحصني (ت ١٠٥٢هـ) في آخر «جزء في تفسير الباقيات الصالحات» للعلائي، في ظهور طائفة من الخوارج البغاة يقال لهم السيمانية تعدّى ضررهم إلى سائر البلاد.. وكان ذلك سنة ١٠١٦هـ، وكيف أن العساكر السلطانية غلبهم، وقتل منهم خلائق لا تحصى.. في خبر طويل (١٣).

وقد بحثت عن هذه الطائفة فلم أجدها في المصادر القريبة.

استفادة معلومات

المعلومات الجديدة كثيرة على طرر المخطوطات، وفيها ما لا تجده في الكتب والمراجع.

قرأت على طرة الجزء الثاني من «الإيضاح العضدي» نسخة مكتبة آيا صوفيا عناوين شروح له لم يرد بعضها في «كشف الظنون» ولا ذيله (١٤).

وينقل ابن أبي الوفاء القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٤٤٩) أسامي شراح «الجامع الصغير» لمحمد بن الحسن الشيباني، مما رآه في «ظهر كتاب بخط بعض الفضلاء».

كثير من الباحثين من السلف استفادوا من هذه المعلومات المدوّنة على ظهور الكتب. منهم مؤرِّخون ومحدِّثون كبار، أمثال ياقوت الحموي، وابن العديم، والذهبي، والمقَّري... وغيرهم. تاريخ الكتابة على طُرر الكتب قديم، ولا يستبعد أن يكون في القرن الثاني الهجري، على أن الاهتمام بها غدا بعد توافرها، ويُعتقدُ أنه كان في القرن الرابع الهجري

وذكر حاجي خليفة في تعريفه بكتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار» لابن جهضم (ت ٧١٣هـ) وأول الكتاب ترجمة للشيخ عبدالقادر الجيلاني، قال حاجي خليفة: «قال الشيخ عمر بن عبدالوهاب العرضي الحلبي في ظهر نسخة من نسخ البهجة: ذكر ابن الوردي في تاريخه أن في البهجة أموراً لا تصح ومبالغات في شأن الشيخ عبدالقادر لا تليق إلا بالربوبية» (١٥).

و«مفتاح العلوم» متن مشهور جداً للسكاكي، عليه شروح وتعليقات وحواش كثيرة.

و«مفتاح العلوم» متن مشهور جداً للسكاكي، عليه شروح وتعليقات وحواش كثيرة.

نقل حاجي خليفة من ظهر نسخة من «شرح المفتاح»: «أول من شرحه شمس الدين المعزى المتوفى؟ ثم الشيرازي، ثم ناصر الدين الترمذي.. إلخ» (١٦).

و«المفاتيح في شرح حل المصابيح» لمظهر الدين الحسين بن محمود الزيداني (ت ٧٢٧هـ).

ذكر حاجي خليفة أنه وجد في ظهر نسخة منه، أن أوله مقدمة في اصطلاحات أصحاب الحديث وأنواع علومه.

ومن المعلومات الحديثة ما ورد من ذكر تلامذة لطاهر الجزائري كان لهم شأن، والفائدة منها تكمن في الاتجاه السياسي والنهضوي لدى هذا العلامة المشهور (ت ١٣٣٨هـ) الذي كان غامضاً إلا لدى تلامذته، بل كان يجتمع بهم سراً، ولا يذكر مواقفه وآراءه في الدولة العثمانية إلا لمن يثق به، فكانت أعمالهم تدل على مدرسته.

فقد كتب أحدهم بالقلم الرصاص في آخر ورقة تسبق جدول الخطأ والصواب من كتاب «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر» بقلم تلميذه محمد سعيد الباني (ت ١٣٥١هـ) المطبوع سنة ١٣٣٩هـ، وهذه

النسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية:

«جماعة ومدرسة الشيخ طاهر الجزائري: جمال الدين القاسمي، عبدالقادر بدران، احمد التوبلاتي، عثمان الرتا، رشدي الحكيم، جميل الشطي، عبدالرحمن الشابندر، لطفي الحفار، محمد الحكيم، والد رشدي، عبدالباقي الحسني».

ومعلومة أخرى عن أحد المشهورين في مصر، فقد وجدت على الورقة التي تسبق الغلاف من الكتاب الذي أحدث ضجة، وطُرد مؤلفه من الأزهر بسببه "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبدالرازق، الطبعة الأولى منه، ١٣٤٣هـ، نسخة محفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية، كُتب بخطٍ مغربي: كتب علي عبدالرزاق مقالةً في جريدة «السياسة الأسبوعية» المصرية الصادرة يوم السبت ٤ يونيو ١٩٢٧م قال فيها: «وللمراكشيين دين عنيف، وإيمان كإيمان العجائز، وللدين احياناً بَلَةٌ وجنون إذا أوغلَ فيه صاحبُه بعنفٍ وجمود». ومعلوم أن عليًّا هذا زار المغرب في أثناء تلك السنة، ولم

يتصل بأي أحد، تنفيذاً لتوصية الحكام المستعمرين الذين سمحوا له بهذه الزيارة على أساس توصيات!

تنبيهات

وقد يشكك كاتب في معلومة أو ينبه على خطأ، وينقل ذلك مما وجده على ظهر كتاب. مثاله:

قال الجرجاني في تاريخ جرجان (ص٢٤٣): «رأيت كتاب الأربعين تصنيف أبي نعيم عبدالملك بن محمد مكتوب على ظهر الجزء: لأبي سعد جيان بن عقبة بن محمد، ولا أعلم حدَّث هذا الرجل أو لا».

وكتاب «كشف الغوامض في الفرائض» لشمس الدين محمد بن محمد سبط المارديني، قال حاجي خليفة: «ورأيت في ظهر «كشف الغوامض» أنه لمحيي الدين عبدالحميد بن عبدالسيد بن خطيب المستنصرية» (١٧).

تصحيح معلومة

كما ينقل السمعاني - أيضاً - من ظهور الكتاب في كتابه الأنساب. ففيه (٤/ ٣٩٧) مصححاً معلومة: غير أني رأيت على ظهر كتاب المسند للحماني الذي سمعناه من لفظه «الفلخاري» باللام، وهو أعرف بقريته.

وهو ردٌّ لمن قال: إن اسم القرية «فرخار».

هناك أمور أخرى قد لا توجد في الكتب، كفتاوى سمعها الناسخ، أو دوَّنها من مصدر لا يعرف مطبوعاً، وفوائد شتى يكتبها ناسخ الكتاب أو مالكه، من رأيه في الكتاب، أو تعليقات عليه، أو تعريف بالمؤلف، نقلاً أو تحريراً

وقال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٣٦٥) حول «ودان»: «قرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب «المنضد» من تصنيفه: قال بعضهم: خرجت حاجاً، فلما جزت بودّان أنشدت:

أيا صاحب الخيماتِ من بعد أرثدٍ

إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فقال لي رجل من أهلها: انظر هل ترى نخلاً؟ فقلت: لا، فقال: هذا خطأ، إنما هو النحل، ونحل الوادي جانبه».

ويرد اسم أبي عبيد الهروي أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي المؤدب الهروي الفاشاني، صاحب كتاب الغريبين. قال ابن خلكان: «هذا هو المنقول في نسبه، ورأيت على ظهر كتاب الغريبين أنه أحمد بن محمد بن عبدالرحمن. والله أعلم».

قال الصفدي: وكذا أثبته ياقوت في معجم الأدباء (١٨).

ونُقِلَ من ظهر نسخةٍ من كتاب «إصلاح المنطق»: «قال أبو العلاء المعري: حدثني عبدالسلام البصري - خازن دار العلم ببغداد - وكان لي صديقاً صدوقاً، قال: كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه «إصلاح المنطق» لابن السكيت، فمضى بيت حميد بن ثور:

ومطويةُ الأقرابِ، أما نهارُها

فَسَبْتٌ، وأما ليلُها فذميلُ

فقال أبو سعيد «ومطويةٍ» أصلحه بالخفض، ثم التفت إلينا فقال: هذه واو رُبَّ، فقلت: أطال الله بقاء القاضي، إن قبله ما يدلّ على الرفع، فقال: وما هو؟ فقلت:

أتاك بيَ الله الذي أنزل الهدى

ونورٌ وإسلامٌ عليك دَليلُ

ومطويةُ الأقراب...

فعاد وأصلحه، وكان ابنه أبو محمد حاضراً، فتغير

وجهه لذلك، فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه، وكان سمّاناً، فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية، فعمل «شرح إصلاح المنطق». قال أبو العلاء: «وحدثني مَنْ رآه وبين يديه أربعمئة ديوان، وهو يعمل هذا الكتاب» (١٩).

والحق بالمجلد الأول من «بغية الطلب في تاريخ حلب» فوائد لغوية وتاريخية كثيرة، معظمها بقلم كاتب مجيد، هو جمال الدين محمد بن محمد بن السابق، راوي التاريخ عن المقريزي، وما كتبه على نسخته مما يفيد التصحيح: «رأيت مشايخ الكتابة لا يشكلون الكاف إذا وقعت آخراً، ولا يكتبونها مجلَّسة، أما إذا وقعت أولاً في بعض الكلمة حشواً فإنهم يجلسونها ويشكلونها بردَّة الكاف....».

فائدة أخرى: لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ويبتدأ بالمضاف إليه في السطر الثاني، كعبدالله، وأبي بكر، والمغاربة يفعلون ذلك، وليس بحسن (٢٠).

الوِجادة

الوِجادة مصدر وَجَد، وهي أحد أنواع الحديث، بمعرفة كيفية سماعه وتحمله، ومثاله أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطّه ولم يلقه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجد بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها، فله أن يقول: وجدتُ بخط فلان، أو قرأت بخط فلان، أو في كتاب فلان بخطه: أخبرنا فلان بن فلان... أو يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان عن فلان.

هذا ما ذكره ابن الصلاح في مقدمته لعلوم الحديث (٢١)، ثم قال: وهذا كله إذا وثق بأنه خط المذكور أو كتابه، فإن لم يكن كذلك فليقل: بلغني عن فلان، أو: وجدت عن فلان... وفصل في ذلك.

وذكر البلقيني في حاشيته على المقدمة أن هذا يقع كثيراً في مسند الإمام أحمد، حيث يقول ابنه عبدالله: «وجدت بخط أبي: حدثنا فلان. ويذكر الحديث».

ثم بيَّن ابن الصلاح حكمه بعد إيراد أقوال في ذلك وقال: قطع بعض المحققين من أصحابه (يعني الإمام الشافعي) في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة به... (٢٢).

قلت: وقد يقاس عليه ما إذا وجد حديثاً على ظهر كتاب بالشروط السابقة، إن كان بسند أو بغير سند، وشرط العمل به أن يجده في مصادر الحديث، ويتأكد من صحته، وإلا فلا يعمل به.

وهذه أمثلة فيما وجده المحدثون على ظهور كتب وعالجوه.

في المخطوطات ثروات لا تحصى



معلومات وافرة في الهوامش وظهور الكتب

في ترجمة مالك بن ثعلبة الأنصاري من «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٥/ ٧١٦): قال أبو موسى: «وجدت على ظهر جزء من أمالي ابن منده بسنده إلى مقاتل بن سليمان... ثم ساق حديثاً ذكر ابن حجر أن فيه ضعفاً وانقطاعاً».

وحديث «تُبنى مدينة بين دجلة ودجيل» ذكر ابن عدي أنه منكر لا يروى إلا عن عمار هذا... كما ذكره العقيلي في الضعفاء، وذكر له هذا الحديث، وأسند عن يحيى بن معين قوله: سمعت يحيى بن آدم يقول لنا: إنما أصاب عمار هذا على ظهر كتاب فرواه (٢٣). ويعني عمار بن سيف الضبي.

وقال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن عبدالواحد بن الفرج الأصبهاني:

متهم بوضع الحديث، روى له الجوزقاني حديثاً موضوعاً ركبه على سندٍ، رواتُهُ منه براء، وكتبه على ظهر جزء فأخرجه.. (٢٤).

وهناك أحاديث تكتب للتذكرة لا لتروى، يستفيد منها راويها في مذكراته، فلا يجوز روايتها.

وقد وجد أبو زرعة حديثاً عند أحدهم فقال له: «من أين لك هذا؟ قال: وجدته على ظهر كتاب ليوسف الوراق».

قال أبو زرعة: هذا الحديث من حديثي غير أني لم أحدث به. قيل له: وأنت تحفظ ما حدثت به مما لم تحدث به قال: بلى، ما في بيتي حديث إلا وأنا أفهم موضعه. (٢٥).

وقال أبو يعلى بن الفراء: وجدت على ظهر كتاب: رواه أبو الحسين السوسنجردي عن إسماعيل بن علي... عن أبي زرعة أنه قال: «قال لي أحمد بن حنبل: ابني عبدالله محظوظ من علم الحديث، أو من حفظ الحديث، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ» (٢٦).

قال ابن أبي أويس: وجدت في ظهر كتاب مالك: سألت مخرمة عما يحدث به عن أبيه سمعها من أبيه؟ فحلف لي: ورب هذه البنية - يعني المسجد - سمعت من أبي (٢٧).

والمقصود أبو المسور مخرمة بن بكير القرشي.

ومحاسبة طويلة على رواية حديث في ترجمة جرير بن عبدالحميد من تهذيب الكمال للحافظ المزي ٤/ ٥٤٨.

الإجازات

ومن باب التوثيق العلمي الذي يقيِّد به بعد التأكد منه: الإجازات الكثيرة الموجودة على ظهور الكتب، بروايتها أو ببيان سماع مضمونها وروايتها. وقد تدون إجازات طويلة لا يتسع لها ظهر الكتاب، فتسجل في أوراق تسبق العنوان أو تليه.

ومن ذلك: إجازة للغوري من شيخه محمد بن حسن القتلفكندي في خاتمة "الخلاصة في أصول الحديث" للطيبي، نسخة مكتبة أيا صوفيا.

قام بجمع كتابات "الدحيان" من على ظهور الكتب وليد المنيس، وأصدره في كتاب بعنوان "علامة الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان". وهناك رسائل وتوصيات فريدة على ظهور مخطوطات شتى، وأسماء نباتات، وتجارب طبية...

وذكر عن مغربي شهير يدرِّس كتاب «مغني اللبيب»، فقصده الفناري، وأجازه بخطه على ظهر كتابه (٢٨).

ووجد على ظهر كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي بخطه إجازة للصاحب بن عباد (٢٩).

تحديد مواقع جغرافية

ومن استفاد تحديد مواقع جغرافية من ظهور الكتب العلامة ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان»، من ذلك قوله:

«بئر ميمون»: منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، كذا وجدته بخط الحافظ أبي الفضل بن ناصر على ظهر كتاب. وقال في «صقلية»: قرأت بخط ابن القطاع اللغوي على ظهر كتاب "تاريخ صقلية": وجدت في بعض النسخ سيرة صقلية تعليقاً عن حاشية: «أن



بصقلية ثلاثاً وعشرين مدينة، وثلاثة عشر حصناً، ومن الضياع ما لا يعرف» (٣٠).

توجيهات مفيدة

وهناك توجيهات علمية مفيدة تأتي عن علم أو خبرة لا تكاد تجدها في بطون الكتب، أو أنها موجودة ولكن لا يعرف مصدرها، وهي مفيدة على كل حال...

مثاله ما وجد في أوراق بقلم ابن السابق على «بغية الطلب في تاريخ حلب»:

فائدة ينبغي للمؤرخ حفظها والعمل بها: ينبغي للمؤرخ أن يقدم اللقب على الكنية، والكنية على العَلَم، ثم النسبة إلى البلد، ثم إلى الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العلم، أو الصناعة، والخلافة أو السلطنة، أو الوزارة، أو القضاء، أو الإمرة، أو المشيخة، أو الحج، أو الحرفة، كلها تقدم على الجميع، فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أبو العباس السامُرّي، إن كان وُلد بسر من رأى، البغدادي، فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الحنفي الماتريدي، إن كان يتمذهب في الفروع بفقه أبي حنيفة، ويميل في الاعتقاد إلى أبي منصور الماتريدي، ثم يقول: القرشي الهاشمي.

ويقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي - نسبة إلى أستاذه الملك الصالح - التركي، الحنفي، البندقدار، أو السلاح دار (٣١).

الباحثون ذوو الشأن في تاريخنا الإسلامي، من أدباء ومحدِّثين ومؤرخين وجغرافيين، قد نقلوا معلومات وافرة مما وجدوه منها على ظهور الكتب والمخطوطات، بينها معلومات دقيقة تتعلق بالتراجم وتأريخ ميلادهم ووفاتهم، وأنسابهم وبعض أحوالهم.

فوائد شتى

وهناك أمور أخرى قد لا توجد في الكتب، كفتاوى سمعها الناسخ، أو دوَّنها من مصدر لا يعرف مطبوعاً، وينظر مثل هذا ما كتب في أوراق من «حاشية القاضي إبراهيم السحولي على الأزهار» المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية رقم ٤٥١، وكذا «زبدة الأفكار» للنوشبادي» (٣٢).

وفوائد شتى يكتبها ناسخ الكتاب أو مالكه، من رأيه في الكتاب، أو تعليقات عليه، أو تعريف بالمؤلف، نقلاً أو تحريراً.

وقد رأى حسن العطار اسم محمد مرتضى الحسيني، وأنه قرأ وانتفع بكتاب «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري نسخة دار الكتب بمصر، فذكر رأيه فيه، وأن أكثر ما يكتبه فيه إبهام كما يشاء... الخ.

وفائدة كبيرة لعلها بقلم شيخ شافعي كبير، هو ابن العماد الأقفهسي، حيث ورد في ظهر كتابه «القول التمام في آداب دخول الحمام» مصورتها بجامعة الكويت:

القاعدة أن ابن حجر وابن الرملي: إذا تعارضا فالمقدم قول ابن الرملي في بلاد مصر، وابن حجر في بلاد الشام، والمعتمد قول ابن الرملي، وإن كان ابن حجر أكثر علماً؛ لأن الرملي الكبير كان شيخ علماء مصر، وكان يحضره في درسه نحو مئة عالم، فلما توفي أجلسوا ولده مكانه، ولازموا درس ولده، وأما ابن حجر فكان لا يحضر درسه إلا القليل من الناس.

هناك توجيهات علمية مفيدة تأتي عن علم أو خبرة لا تكاد تجدها في بطون الكتب، أو أنها موجودة ولكن لا يعرف مصدرها، وهي مفيدة على كل حال... مثاله ما وجد في أوراق بقلم ابن السابق على "بغية الطلب في تاريخ حلب"

وأخبار وأحوال، منها قول علامة الكويت الشيخ عبدالله الدحيان (ت ١٣٤٩هـ) أن الشيخ عبدالقادر بن أحمد بدران (ت ١٣٤٦هـ) عمل حاشية على الروض المربع، وأن الأخير أخبره بأنه عازم على إتمامها ولعل المنية حالت دونه... كتب ذلك على نسخة خطية من الروض المربع المنسوخة سنة ١١١١هـ.

واستنتاجات رائعة للشيخ عبدالله الدحيان على «منتهى الإرادات» على نسخة محفوظة بمكتبة الموسوعة الفقهية بالكويت، منها قوله: اعلم أن الإمام أحمد لم يؤلف كتاباً مُستقلاً في الفقه، وإنما أُخذ مذهبه من أجوبته وتآليفه في غير الفقه، ومن أقواله وأفعاله والمقيس على كلامه...

وقام بجمع كتابات «الدحيان» من على ظهور الكتب وليد المنيس، وأصدره في كتاب بعنوان «علامة الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان».

وهناك رسائل وتوصيات فريدة على ظهور مخطوطات شتى، وأسماء نباتات، وتجارب طبية... وغيرها، يستفاد منها في أعمال أدبية وعلمية.

أمور أخرى:

وأمور أخرى، فيها نقد وبيان، تبعث على التفكير والتحقيق، من ذلك ما قاله ياقوت الحموي، أنه وجد على ظهر جزء من كتاب «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري:

ابنُ دريد بقرَهْ
وفيه عُجْبٌ وشرَهْ
ويدَّعي بجهله
وضْعَ كتابِ الجمهرَهْ
وهو كتابُ العين إلـ
لا أنه قد غيَّرَهْ
الأزهريُّ وزَغَهْ
وحمقهُ حُمقٌ دَغَهْ
ويدَّعي بجهله
كتابَ تهذيب اللغَهْ
وهو كتابُ العين إلـ
لا أنه قد صبغَهْ
في الخارزنجيِّ بلَهْ
وفيه حمقٌ ووَلَهْ (٣٢)
ويدَّعي بجهله
وضعَ كتاب التكملهْ
وهو كتابُ العين
إلـ لا أنه قد بدَّله (٣١)

النتيجة

نصل إلى نتيجة أن عددًا كبيرًا من الباحثين ذوي الشأن في تاريخنا الإسلامي، من أدباء ومحدِّثين ومؤرخين وجغرافيين، قد نقلوا معلومات وافرة مما وجدوه منها على ظهور الكتب والمخطوطات، بينها معلومات دقيقة تتعلق بالتراجم وتاريخ ميلادهم ووفاتهم، وأنسابهم وبعض أحوالهم، وأخبار وآثار وأحداث، ووقائع تاريخية، مع تنبيهات وتصحيحات

وتوجهات مفيدة، وكتابة إجازات حديثية أو عامة أو خاصة بكتب معينة، وتحديد مواقع جغرافية لمدن وقرى وأماكن أخرى، وفوائد شتى.

ثم معرفة نوع من هذا التوثيق عُرِف بالوجادة، وهو أحد المصطلحات الحديثة القديمة، بحث فيه نقاد الحديث، ووضعوا له قواعد مفصّلة.

توصية

إذا تبيَّن للقارئ الكريم من خلال الدراسة السابقة أن الفوائد المدوَّنة على ظهور الكتب والمخطوطات فيها إثراء للمعلومات، ومجال للتوثيق العلمي، وإمكانية الاستشهاد ببعضها وبخاصة فيما يتعلق بالتراجم والتاريخ والنقد، وأنه تمت الاستفادة منها فعلاً بما نقله باحثون مختلفون منها، وأن منها ما لا يوجد في بطون الكتب، فإنه يتأكد تكملة أعمالهم الإبداعية والتوثيقية هذه، بأن يجرد ما على هذه المخطوطات من فوائد ثم تصنف موضوعياً وتقدم للقارئ الباحث، فإنه يكون في ذلك خير كثير، وفائدة مؤكدة، وهو عمل ليس بالمستحيل، وبخاصة أن معظم المخطوطات صارت في مخازن محكمة يهتم بها حفظاً وفهرسة، وأنه يمكن لكل مكتبة، أو مركز أن ينفر لهذا العمل باحثين وكتّاباً ماهرين عارفين بالخط وأخبار التراث، كل يجرِّد ما عنده من مخطوطات، ويقدمها في أعمال جميلة رائعة، تزيد من الثقافة والعلم، وترسّخ أخبار حضارة عالمية غاب عنها إشراقها.

المراجع والهوامش

١- التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٣٦٧

٢- ينظر هذا في «جزء فيه ذكر الطبراني» بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ١/ ٢٣٧، ٢٤٠.

٣- تنظر في «الغرر على الطرر» لمحمد خير يوسف ٢/ ٢٥٤.

٤- معجم الأدباء لياقوت ١/ ٣٥٢.

٥- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٣/ ٥٣٤.

٦- بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/ ١٧١٤.

٧- المصدر السابق ١٠/ ٤٣٥٣.

٨- تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٣٤٩.

٩- الوافي بالوفيات ٤/ ٧١.

١٠- ينظر أيضاً ٤/ ٢٥٨، ١١/ ٣٤، والغرر على الطرر ١/ ١٠١.

١١- تاريخ مدينة دمشق ٦٥/ ١٨.

١٢- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ١٨٩.

١٣- ينظر في «الغرر على الطرر» ١/ ٧٨-٨٦.

١٤- تنظر في المصدر السابق ١/ ٣٦.

١٥- كشف الظنون ١/ ٧٥٦.

١٦- ينظر المصدر السابق ٢/ ١٧٦٣.

١٧- كشف الظنون ٢/ ١٤٩٣.

١٨- الوافي بالوفيات ٨/ ٧٦.

١٩- وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٧٣.

٢٠- تراجم في مقدمة الكتاب المحقق.

٢١- ص ٢٩٢ - ٢٩٣ بتحقيق عائشة عبدالرحمن.

٢٢- المصدر السابق ص٢٩٢ -٢٩٤.

٢٣- تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٣٥٢.

٢٤- لسان الميزان ٥/ ٢٦٩.

٢٥- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣.

٢٦- تهذيب الكمال ١١/ ٢٨٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٠.

٢٧- تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٢٢.

٢٨- الشقائق النعمانية ١/ ١١٤، شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٣٢٤.

٢٩- نوابغ الرواة ١/ ٦٢.

٣٠- معجم البلدان ١/ ٢٠٢، ٣/ ٤١٧.

٣١- هذه الفائدة موجودة في الوافي بالوفيات ١/ ٤٧، وتنظر مع غيرها من الفوائد في الغرر على الطرر ١/ ٥٠ فما بعد.

٣٢- تنظر في الغرر على الطرر ١/ ١٢٥.

٣٣- هو أحمد بن محمد البُشتي الخارزنجي (نسبه إلى خارزنج قرية بنواحي نيسابور). (ت. سنة ٣٤٨هـ). له: تكملة كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد.

٣٤- الوافي بالوفيات ١٣/ ٣٩١.



حــوار

الكاتب التركي.. الفائز بجائزة نوبل: أورهان باموق

العالمية زادت احساسي بتركيتي

ترجمة: حسين عيد

القاهرة - مصر

ولد أورهان باموق في عام ١٩٥٢م في مدينة إستانبول، ومازال يعيش فيها. وقد صنعت أسرته ثروة من بناء السكك الحديدية، خلال الأيام الأولى للجمهورية التركية. التحق باموق بكلية روبرت، حيث يُوفر لأبناء نخبة المدينة المميزة أسلوب تعليم مدني وغربي. أبدى باموق منذ حياته المبكرة هوى متزايدًا بالفنون المرئية. لكن بعد الالتحاق بالجامعة لدراسة الهندسة المعمارية، قرر أن يكتب. وهو الآن أعظم مؤلف تركي مقروء بشكل واسع الانتشار.

نُشرت روايته الأولى: «جودت بيه وأبناؤه» عام ١٩٨٢م، وتبعتها رواية: «المنزل الصامت» عام ١٩٨٣م، و«القلعة البيضاء» عام ١٩٨٥م والترجمة الإنجليزية في عام ١٩٩١م، و«الكتاب الأسود» بين عامي ١٩٩٠م و١٩٩٤م، و«الحياة الجديدة» بين عامي ١٩٩٤م و١٩٩٧م. حصل باموق في عام ٢٠٠٣م على جائزة أمباك الأدبية الدولية بدبلن، عن رواية «اسمي أحمر» عام ١٩٨٣م/٢٠٠١م، وهي تحكي بأصوات متعددة قصة جريمة غامضة وقعت في القرن السادس عشر في إستانبول. وتكشف الرواية عن تيمات مركزية في فن باموق القصصي: تعقيدات الهوية في قطر يباعد بين الشرق والغرب، منافسة الأنساب، وجود الازدواج، القيمة الجمالية والأصالة، والقلق من التأثير الثقافي. تركز رواية «ثلج» (٢٠٠٢م/٢٠٠٤م) في راديكالية الدين والسياسة، وهي أول رواية من بين رواياته تواجه التطرّف السياسي في تركيا المعاصرة، وتؤكد موقفه الخارجي، وإن انقسم الرأي في اللحظة نفسها في الوطن. أحدث كتب باموق هو: «إستانبول: ذكريات ومدينة» ٢٠٠٣م/٢٠٠٥م، وهو صورة مزدوجة



لنفسه - في طفولته وشبابه - والمكان الذي جاء منه.

أدير هذا الحـــوار مع أورهان بامـــوق من خـــلال جلستين مستمرتين في لندن، وبالمراسلة. جرت الجلسة الأولى في شهر عام مايو ٢٠٠٤م في أثناء نشر الترجمة الإنجليزية لرواية «ثلج». حجزت غرفة خاصة للقاء، وأضيئت أنوار الفلوريسنت، وشارك جهاز تكييف في إزعاج فضاء قبو الفندق. وصل باموق مرتديًا جاكيت من قماش أسود قطني متين، فوق قميص أزرق فاتح اللون، وسروال فضفاض، وأبدى ملاحظة: «قد نموت هنا من دون أن يجدنا أحد». تراجعنا إلى ركن هادئ مترف في مدخل الفندق، حيث تحدثنا لمدة ثلاث ساعات، وكنّا نتوقف فقط لتناول القهوة، أو ساندويتشات الدجاج.

عاد باموق ثانية إلى لندن في إبريل عام ٢٠٠٥م: من أجل نشر كتاب «إستانبول». فاستقر بنا المقام في ركن مدخل الفندق نفسه، حيث تحدثنا لمدة ساعتين. في البداية بدا متوترًا تمامًا، وكان ذلك بسبب أنه منذ شهرين مضيا، أجرى حوارًا مع صحيفة «دير تاجس - آنزيجر» السويسرية، قال فيه عن تركيا: «لقد قُتل ثلاثون ألف

كردي، ومليون أرميني في هذه الأراضي، ولم يجرؤ أحد على الحديث سواي». فجرت هذه الملاحظة حملة قاسية ضد باموق في الصحف التركية القومية، ومع ذلك، أصرت الحكومة التركية على نفي وقوع مجزرة الإبادة الجماعية للشعب الأرميني عام ١٩١٥م في تركيا، وسنّت قوانين صارمة تمنع مناقشة الصراع الكردي المتنامي. رفض باموق أن يشارك في الجدل بشكل عام، على أمل أن تهدأ الأمور. ومع ذلك، نشر في شهر أغسطس في صحيفة سويسرية أن ملاحظة باموق قد ترتب عليها توجيه الاتهام إليه طبقاً للمادة ١/٣٠١ من مجموعة القوانين الجزائية التركية، بتهمة «تشويه سمعة» الهوية التركية، وهي جريمة يعاقب عليها بحكم قد يصل إلى الحبس ثلاث سنوات في السجن. وعلى الرغم من انتهاك القانون. فقد قامت الصحافة العالمية بتغطية القضية، تماماً مثلما نشط احتجاج قوي ضد الحكومة التركية بواسطة أعضاء البرلمان الأوربي، وأعضاء نادي القلم الدولي، وحين مضت هذه المجلة للطبع في منتصف نوفمبر، كان باموق قد استدعي للمثول أمام المحكمة في ١٦ ديسمبر عام ٢٠٠٥م (وقد أسقطت الحكومة التركية هذه التهمة في ٢١ يناير عام ٢٠٠٦م) : (ملاحظة المترجم).

◆ ما شعورك بالنسبة إلى إجراء الحوارات؟

- أشعر بعصبية - أحياناً -؛ لأنني أعطيت أجوبة حمقاء لأسئلة معينة لا معنى لها. حدث هذا في تركيا، مثلما حدث في لندن. أتحدّث اللغة التركية بشكل سيّئ، وأتلفظ بجمل حمقاء. وقد هوجمت في تركيا بسبب حواراتي أكثر منها بسبب كتبي. لا يقرأ المجادلون السياسيون، وكتّاب الأعمدة الروايات هناك.

◆ كانت الاستجابة لكتبك في أوربا والولايات المتحدة إيجابية بشكل عام. ماذا كان موقف النقد منك في تركيا؟

- لقد انتهت السنوات الطيبة الآن. حين نشرت كتبي الأولى، كان مؤلفو الجيل السابق ينزوون إلى الظلّ، لذلك تمّ الترحيب بي؛ لأني كنت مؤلفاً جديداً.

◆ حين تذكر الجيل الماضي، من تستعيده في ذهنك؟

- المؤلفون الذين شعروا بالمسؤولية الاجتماعية، المؤلفون الذين شعروا أن الأدب يخدم الأخلاق والسياسة، وكانوا واقعيين تماماً، وليسوا تجريبيين، مثل مؤلفين في كثير من البلدان الفقيرة، الذين بددوا موهبتهم في محاولة خدمة أمّتهم. لم أرد أن أكون مثلهم؛ لأني حتى في شبابي، استمتعت بفوكنر، وفرجينيا وولف، وبروست، ولم أتق أبداً إلى نموذج الواقعية الاجتماعية لشتاينبك، أو جوركي. كما كان الإنتاج الأدبي في الستينيات والسبعينيات، قد أصبح عتيق الطراز، لذلك تمّ الترحيب بي كمؤلف من الجيل الجديد.

بعد منتصف التسعينيات - حين بدأت كتبي تباع بأعداد لم يحلم بها أحد أبداً من قبل في تركيا - انتهت سنوات العسل مع الصحافة التركية والمثقفين. وبدءاً من تلك اللحظة وصاعداً، كان الاستقبال النقدي - غالباً - رد فعل على الدعاية والمبيعات، بدلاً من محتوى كتبي. الآن، لسوء الحظ، أصبحت سيّئ السمعة؛ بسبب ملاحظاتي السياسية، التي جرى اجتزاء معظمها من حوارات دولية، إضافة إلى أن هناك هيمنة - على نحو مخز - لبعض الصحفيين القوميين الأتراك في صحفهم، لجعلي أبدو أكثر

> تقسيم الكتاب إلى فصول أمر شديد الأهمية لأسلوبي في التفكير. حين أكتب رواية، إذا كنت أعرف خط كل القصة مقدماً - وغالباً ما يكون الأمر كذلك - فإنّي أقسمها إلى فصول، وأعمل فكري في التفاصيل التي أحبّ أن تحدث في كل فصل

تحررًا، وسياسيًا أحمق، على غير ما أنا عليه في الحقيقة.

◆ إذًا، هناك رد فعل عدائي على شعبيتك؟

- يتلخص رأيي القوي في أن ذلك نوع من العقاب على أرقام مبيعاتي، وملاحظاتي السياسية. لكني لا أودّ أن استمر في ترديد ذلك؛ لأن ذلك يبدو موقفًا دفاعيًا، إذ ربّما أكون قد حرّفت مجمل أبعاد الصورة.

◆ أين تكتب؟

- لقد اعتقدت - دائمًا - أن المكان الذي تنام فيه، أو تتشارك فيه مع شريكك، ينبغي أن يكون منفصلاً عن المكان الذي تكتب فيه؛ لأن الطقوس المحلية والتفاصيل، تقتل الخيال بشكل ما. إنها تقتل روحي الحارسة. إنّ العمل اليومي المتكرر الأليف والمحلي، يجعل التوق إلى العالم الآخر، الذي يحتاج إليه الخيال ليعمل، يزوي. لذلك كان لديّ - دائمًا - ولسنوات طويلة مكتب أو مكان صغير بعيد عن المنزل، للعمل فيه، كما كان لديّ - دائمًا - شقق مختلفة.

لكنني قضيت ذات مرة نصف فصل دراسي في الولايات المتحدة، حين كانت زوجتي السابقة تعدّ رسالة الدكتوراه بجامعة كولومبيا. كنّا نعيش في شقة للطلاب المتزوجين، ولم يكن هناك أي فراغ فيها، ولذلك كان على أن أنام وأكتب في المكان نفسه، حيث كانت تحيط بي كل الوسائل التي تذكرني بحياتي العائلية في تركيا، وهذا ما

أشعر بعصبية عند إجراء الحوارات لأنني أعطي أجوبة حمقاء لأسئلة معينة لا معنى لها. أتحدث اللغة التركية بشكل سيّئ، وأتلفظ بجمل حمقاء، وقد هوجمت في تركيا بسبب حواراتي أكثر منها بسبب كتبي

ازعجني. وقد اعتدت هناك أن أودع زوجتي كل صباح، كما لو كنت ذاهبًا إلى العمل. ثم اغادر المنزل، واتجوّل حول عدّة بنايات، ثم ارجع كشخص يعود من مكتبه.

وقد وجدت منذ عشر سنوات شقة تطلّ على مضيق البوسفور مع منظر للمدينة القديمة، وربّما تطلّ هذه الشقة على واحد من أجمل المشاهد في إستانبول. إنّها على بعد خمس وعشرين دقيقة مشيًا على الأقدام من مكان إقامتي. وهي ممتلئة بالكتب، ومكتبي يطلّ مباشرة على المنظر. وهناك أقضي في المتوسط عشر ساعات يوميًا.

◆ عشر ساعات يوميًا؟

- نعم، أنا عامل صعب المراس. إني أستمتع بذلك. يقول الناس: إنني طموح، وربّما كان ذلك صادقًا أيضًا. لكنني واقع في حبّ ما أفعل. إنني أتمتع بالجلوس إلى مكتبي، مثل طفل يلعب بلعبه. إنه عمل أساسي، لكنه ممتع ولعبيّ أيضًا.

◆ أورهان، المسمى على اسم غيره، وهو الراوي - أيضًا - في رواية «ثلج»، يصف نفسه كاتبًا في محل تجاري، يجلس أمام مكتبه في الوقت نفسه كل يوم. هل لديك النظام نفسه مع الكتابة؟

- أؤكد الطبيعة الكهنوتية للروائي مقارنة بما يواجه الشاعر، الذي يمتلك تراثًا شهيرًا ماثلاً في تركيا. أن تكون شاعرًا، فهذا يعني أن تكون محبوبًا ومحترمًا. كان معظم السلاطنة والعثمانيين ورجال الدولة شعراء. لكن ليس بالشكل الذي نفهم به الشعر حاليًا. كان ذلك أسلوبًا لتأسيس نفسك كمثقف على مدار مئات السنين. وقد اعتاد معظم هؤلاء الناس أن يجمعوا قصائدهم في مخطوطات تسمى دواوين. وفي الحقيقة، أن اجتماعات الشعر العثمانية الرسمية تسمى ديوانًا شعريًا. وقد أنتج نصف رجال الدولة العثمانية دواوين. إنه أسلوب متكلف ومعلّم لكتابة أشياء، لها قواعد وطقوس، شديدة التقليدية والتكرار أيضًا. لكن بعد أن غزت الأفكار الغربية تركيا،



دستويفسكي

اختلطت في العصر الفكرة الرومانسية والحديثة للشاعر، الذي يحترق من أجل الحقيقة، ممّا أضاف ثقلاً إضافيًا إلى شهرة الشاعر. ومن ناحية أخرى، فإن الروائي هو أساسًا شخص يجتاز مسافة عبر صبره، ببطء مثل نملة. لا يبهرنا الروائي برؤيته الرومانسية والشيطانية: بل يبهرنا بصبره.

❖ ألم تكتب شعرًا على الإطلاق؟

- غالبًا ما أسأل عن ذلك، وقد فعلت ذلك حين كنت في الثامنة عشرة من عمري، ونشرت فعلاً بعض القصائد في تركيا، ثم اعتزلت.

❖ هل تعني أن كتابة النثر أصبحت أسهل بالنسبة إليك بمضي الوقت؟

- لسوء الحظ، لا. أشعر أحيانًا أن شخصية ينبغي أن تدخل مجالاً، وما زلت لا أعرف كيف أدعها تدخل. ربّما أتمتع بثقة ذاتية زائدة، قد تكون غير مفيدة أحيانًا؛ لأنك عندئذ لن تجرب، بل ستكتب فقط ما سيرد إلى ذهنك. لقد كنت أكتب القصة للثلاثين عامًا الماضية، وهو ما يجعلني أعتقد أنني قد تحسنت قليلاً. لكني حتى الآن ما أزال أصل إلى نهاية قاحلة. إذ أعتقد إنه لن يبقى هناك أحد؛ وذلك حين لا تستطيع أن تدخل شخصية إلى مجال معين، ولا أدري ماذا أفعل. وما زلت كذلك! حتى بعد ثلاثين عامًا.

إنّ تقسيم الكتاب إلى فصول هو أمر شديد الأهمية لأسلوبي في التفكير. حين أكتب رواية، إذا كنت أعرف خط كل القصة مقدّمًا - وغالبًا ما يكون الأمر كذلك - فإنّي أقسّمها إلى فصول، وأعمل فكري في التفاصيل، التي أحبّ

أن تحدث في كل فصل. ليس من الضروري أن أبدأ بالفصل الأول، وأكتب الفصول الأخرى بالترتيب. وحين يحدث لي توقف، وهو ما لا يعد شيئًا مهلكًا بالنسبة إلي، فإنني أستمرّ مع ما يجتذب خيالي. ربّما أكتب من الفصل الأول إلى الفصل الخامس، ثم إذا لم أكن أستمتع بالأمر، فإنني أقفز متخطيًا الفصول إلى الفصل الخامس عشر، وأكمل من هناك.

◆ هل تعني أنك ترسم بالتفصيل الكتاب كله مقدمًا؟

- كلّ شيء. وللمثال، فإن لرواية «اسمي أحمر» فصول كثيرة، وقد خصصت لكل شخصية عددًا محددًا من الفصول. حين أكتب، أرغب - أحيانًا - في الاستمرار «متلبسًا» إحدى الشخصيات، لذلك حين أنهيت أحد فصول شخصية «شكورة»، ربّما الفصل السابع، فإنني سرعان ما انتقلت إلى الفصل الحادي عشر، الذي كان يخصها أيضًا. أحبّ أن أكون «شكورة». إن الانتقال من شخصية إلى أخرى قد يكون أمرًا محزنًا أحيانًا.

لكني؛ دائمًا أكتب الفصل الأخير في النهاية. ذلك نهائي، أحبّ أن أعتصر نفسي، سائلاً إيّاها عمّا ينبغي أن تكونه الخاتمة. يمكنني أن أنفذ الخاتمة مرة واحدة فقط. قرب الانتهاء وباتجاه الخاتمة، أتوقف، وأعيد كتابة الفصول الأولى.

◆ هل كان لك أي قارئ في أثناء عملك؟

- أقرأ - دائمًا - عملي مع شخص أشاركه حياتي، وأكون شديد الامتنان عادة للشخص، الذي يقول لي: أرني أكثر، أو أرني ما أنجزته اليوم. إن ذلك لا يمدّني - فقط - بقليل من الضغط الضروري، لكنه يشبه - أيضًا - أن تكون كأم، أو أب يربت ظهرك، قائلاً: أحسنت. أحيانًا، قد يقول شخص، آسف، أنا لا أحب ذلك، وهذا ما يكون جيدًا أيضًا. إنني أحب ذلك الطقس.

دائمًا، أتذكر توماس مان، أحد نماذجي الحاكمة، لقد اعتاد أن يحضر كلّ أفراد الأسرة معًا، أطفاله الستة وزوجته. اعتاد أن يقرأ لكل أسرته مجتمعة معًا. أحبّ ذلك. أب يحكي قصة.

◆ حين كنت شابًا أردت أن تكون رسامًا، متى تحوّل حبك للرسم إلى الكتابة؟

- كان ذلك في الثانية والعشرين من عمري. حين كنت في السابعة أردت أن أكون رسامًا، وتقبلت أسرتي هذا الأمر، واعتقدوا جميعًا أنني سأكون رسامًا مشهورًا. لكن شيئًا ما طرأ على تفكيري، حين تيقنت أن البرغي كان غير محكم، فأوقفت الرسم فورًا وبدأت كتابة روايتي الأولى.

◆ كان البرغي غير محكم؟

- لا يمكني أن أقول: ما الأسباب التي دعتني إلى فعل ذلك. نشرت - حديثًا - كتابًا يدعى «إستانبول». نصفه سيرتي الذاتية حتى تلك اللحظة، والنصف الآخر عبارة عن مقال حول إستانبول، أو بتحديد أكثر رؤية طفل لإستانبول. إنه مركب من تفكير حول صور، ومشاهد، وعمليات، وظواهر مدينة، والإدراك الحسي لطفل في تلك المدينة، وسيرة ذلك الطفل الذاتية. كان نص الجملة الأخيرة من الكتاب، هو: «لا أريد أن أكون فنانًا»، قلت: «بل سأكون كاتبًا». وهذه الجملة لم تفسّر، مع أن قراءة الكتاب كله قد تفسّر شيئًا.

◆ هل كانت أسرتك سعيدة بهذا القرار؟

- كانت أمّي مستاءة. وكان أبي أكثر تفهّمًا؛ لأنه أراد في شبابه أن يكون شاعرًا، وترجم فاليري إلى اللغة التركية،

أنا لا أناقش القصة أبدًا، وحين يسألني الناس في مناسبات رسمية عمّا أكتب، تكون لدي جملة واحدة كإجابة جاهزة: إنها رواية تجري أحداثها في تركيا المعاصرة. إنني أنفتح على عدد محدود جدًا من البشر، وفقط حين أعرف أنهم لن يؤذوني

لكنه استسلم حين سخرت منه دائرة الطبقة العليا، التي ينتمي إليها.

❖ إذاً، تقبلت أسرتك أن تكون رسامًا، لا أن تكون روائيًا؟

- نعم، فقد ظنوا أنني لن أكون رسامًا بدوام كامل. كان تقليد الأسرة يكمن في الهندسة المدنية. كان جدّي مهندسًا مدنيًا كوّن ثروة من بناء السكك الحديدية. خسر أعمامي وأبي المال، لكنهم ذهبوا جميعًا إلى كلية الهندسة نفسها، بجامعة إستانبول الفنية. كنت أتوقع أن ألتحق بها، وقلت حسنًا، سألتحق بها. ولكن مادام أنني كنت فنانًا في الأسرة، كانت الفكرة أنني ينبغي أن أصبح مهندسًا معماريًا. بدا أن ذلك كان حلاً مرضيًا للجميع. وهكذا ذهبت إلى تلك الجامعة، لكن فجأة في منتصف كلية الهندسة المعمارية هجرت الرسم، وبدأت كتابة الروايات.

❖ هل كانت روايتك الأولى حاضرة في ذهنك حين قررت أن تهجر الرسم؟ وكانت هي السبب في اتخاذ ذلك القرار؟

- بقدر ما أتذكر، فإنني أردت أن أكون روائيًا قبل أن أعرف ما سأكتب. في الحقيقة، إنني حين اتخذت قرار الكتابة، كانت لدي بدايتان، أو ثلاث بدايات زائفة، ولا تزال لديّ دفاترها. لكن بعد ما يقرب من ستة أشهر، بدأ مشروع روايتي الرئيس، الذي نشر فيما بعد بعنوان «جودت بيه وأبناؤه».

❖ ألم تترجم تلك الرواية إلى اللغة الإنجليزية؟

- إنها - أساسًا - قصة مملوءة بأعمال بطولية عائلية، مثل رواية: «آل فورسايت»، أو رواية: «آل بودنبروك» لتوماس مان. لم يمض وقت طويل بعد كتابتها، إلاّ وبدأت أندم؛ لأنني كتبت شيئًا عتيق الطراز، من نوع رواية القرن التاسع عشر. أسفت لكتابتها؛ لأنني عندما قارب عمري الخامسة والعشرين، أو السادسة والعشرين، بدأت أفرض على نفسي فكرة أنني ينبغي أن أكون مؤلفًا حداثيًا. بمضي الوقت، كانت الرواية قد نشرت أخيرًا، وأنا في الثلاثين من عمري، لكن كتابتي قد أصبحت أكثر تجريبية.

❖ حين قلت: إنك تريد أن تكون أكثر حداثة، وتجريبية، هل كان لديك نموذج معيّن في ذهنك؟

- في ذلك الوقت، لم يعد الكتاب العظماء تولستوي، وديستويفسكي، وستاندال، وتوماس أبطالاً لي، بل أصبح أبطالي هم فرجينيا وولف، وفوكنر. ويمكنني أن أضيف الآن بروست، ونابوكوف إلى تلك القائمة.

❖ كان السطر الافتتاحي في رواية: «الحياة الجديدة»: «قرأت ذات يوم كتابًا، فتغيّرت حياتي كلها». هل كان لأي كتاب هذا التأثير فيك؟

- كانت رواية: «الصخب والعنف» لفوكنر شديدة الأهمية بالنسبة إلي، حين كنت في الحادية والعشرين، أو الثانية والعشرين، اشتريت نسخة من طبعة بنجوين. كان من الصعب أن أفهم، خصوصًا مع لغتي الإنجليزية الفقيرة. لكن كانت هناك ترجمة رائعة للرواية إلى اللغة التركية، لذلك كنت أضع الترجمة التركية والنسخة الإنجليزية معًا على المائدة، وأقرأ نصف مقطع من إحداهما، ثم أعود إلى الأخرى. لقد أثّر فيّ ذلك الكتاب كثيرًا. وكان بقية التأثير هو الصوت الذي طوّرته، إذ سرعان ما بدأت أكتب بالضمير الأول منفردًا. أشعر بشكل أفضل معظم الوقت حين أكون متقمصًا شخصية فرد آخر منه عندما أكتب بالضمير الثالث.

كان كتابي الثاني سياسيًا، وليس ذلك دعاية. لقد كنت فعلاً أكتبه في أثناء انتظار ظهور الكتاب الأول. وقد استغرق هذا الكتاب ما يقرب من سنتين ونصف السنة. وفجأة وقع انقلاب عسكري ذات ليلة. حدث ذلك عام ١٩٨٠م. وفي اليوم التالي، قال الناشر: إنه لن ينشره

◆ تقول إن الأمر استغرق سنوات، حتى تنشر روايتك الأولى؟

- لم تكن لدي أي صداقات أدبية في العشرينيات من عمري، فلم أكن أنتمي إلى أيّ جماعة أدبية في إستانبول . وكان الأسلوب الوحيد لنشر كتابي هو ان أتقدم إلى مسابقة أدبية للمخطوطات غير المنشورة في تركيا . فعلت ذلك وكسبت الجائزة، التي كانت أن تنشر الرواية بواسطة ناشر كبير جيد، في الوقت الذي كان فيه الاقتصاد التركي في حالة سيئة، فوافقوا على أن يعطوني عقدًا. لكنهم أخّروا طباعة الرواية.

◆ هل نشرت روايتك الثانية بشكل أكثر سهولة، وبسرعة أكبر؟

- كان كتابي الثاني سياسيًا، وليس ذلك دعاية. لقد كنت فعلاً أكتبه في أثناء انتظار ظهور الكتاب الأول. وقد استغرق هذا الكتاب ما يقرب من سنتين ونصف السنة. وفجأة وقع انقلاب عسكري ذات ليلة. حدث ذلك عام ١٩٨٠م. وفي اليوم التالي، قال الناشر المتوقع للكتاب الأول «جودت بيه وأبناؤه»: إنه لن ينشره، مع أنّ لدينا عقدًا. أدركت في ذلك اليوم أنني حتى لو أنهيت كتابي الثاني - الكتاب السياسي - فإنني لن أكون قادرًا على نشره لمدة خمس سنوات أو ست؛ لأن النظام العسكري لن يسمح به. فتوالت الأفكار على ذهني كما يلي: في الثانية والعشرين من عمري قلت: إنني سأكون روائيًا، وكتبت لمدة سبع سنوات على أمل أن ينشر لي شيء في تركيا. فلم ينشر أي شيء، والآن بعد أن قاربت الثلاثين، ليست هناك إمكانية لنشر أي شيء، ولا تزال لديّ مئتان وخمسون صفحة من تلك الرواية غير مكتملة في أحد أدراجي.

وفورًا بعد الانقلاب العسكري، حتى لا أصاب بالإحباط، بدأت كتابًا ثالثًا. الكتاب الذي أشرت إليه بعنوان: «المنزل الصامت». ذلك هو ما كنت أعمل عليه عام ١٩٨٢م، حين نشر أخيرًا كتابي الأول. وقد استقبلت رواية: «جودت بيه وأبناؤه» بشكل طيب، وهو ما يعني إمكانية نشر الكتاب، الذي كنت أكتبه حينئذ. وهكذا، كان الكتاب الثالث الذي كتبته، هو الكتاب الثاني من ناحية النشر.

◆ ما الذي جعل رواياتك لا تنشر تحت حكم العهد العسكري؟

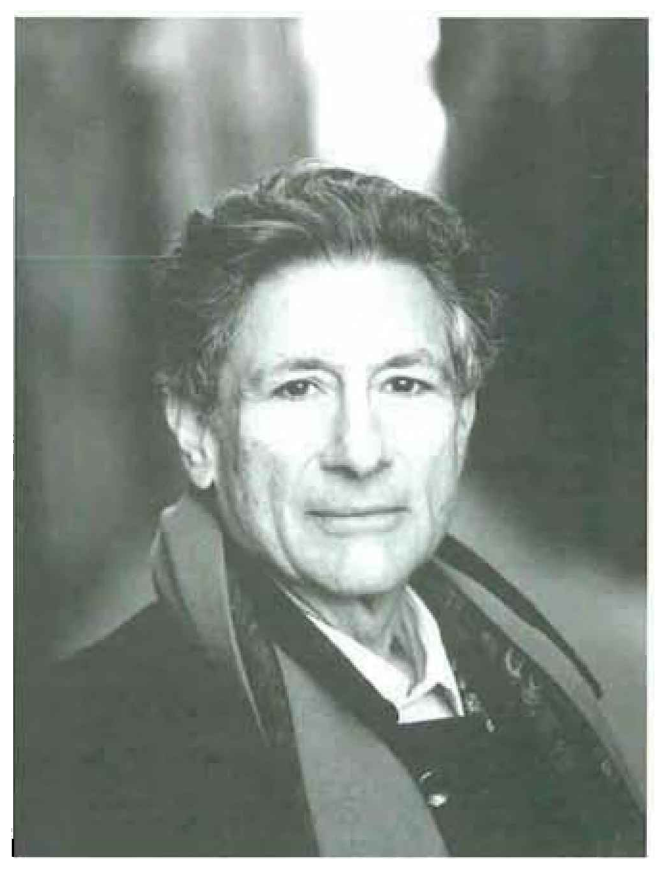
- كانت شخصياتها من شباب الطبقة العليا الماركسيين. كانت تتقاتل، وتتنابها الغيرة كل من الأخرى، وتتآمر؛ لتفجّر موكب رئيس الوزراء.

◆ جماعات ثورية خادعة؟

- كانوا من شباب الطبقة العليا مع عادات أغنياء يتظاهرون أنهم أكثر تحررًا. لكنني لم أكن أصدر حكمًا أخلاقيًا على ذلك، بل بالأحرى كنت أحاول أن أجعل شبابي رومانسيًا بشكل ما. وكانت فكرة إلقاء قنبلة على رئيس الوزراء كافية لمصادرة الكتاب، لذلك لم أنهه. يتغيّر الفرد، بينما هو يكتب كتبًا. لا يمكن أن تفترض أنه الشخص نفسه ثانية. لا يمكن أن تستمر أبدًا كالسابق. يمثل كل كتاب يكتبه الكاتب مرحلة من مراحل تطوره. يمكن النظر إلى روايات الكاتب كمعلم لتطوره الروحي. لذلك لا يمكنك التراجع، إذ بمجرد أن تموت مرونة النص، لن يمكنك أن تحركها ثانية.

◆ كيف تختار شكل رواياتك، وأنت تجرّب مع الأفكار؟ وهل تبدأ من صورة، أو من جملة افتتاحية؟

إن جعل تركيا رومانسية لم يكن - أبدًا - مشكلة للأتراك. فلم يذلّ الرجل الغربي الأتراك بالأسلوب نفسه الذي أذلّ به العرب، أو الهنود. تمّ غزو إستانبول فقط لمدة سنتين، ورحلت سفن العدو كما جاءت. لذلك لم تترك ندبًا على روح الأمة



إدوارد سعيد

- ليست هناك صيغة ثابتة، لكنني أجتهد ألاّ أكتب روايتين في الحالة نفسها، بل أحاول أن أغيّر كل شيء؛ وذلك هو السبب في أن كثيرًا من قرائي أخبروني بأنهم أحبوا تلك الرواية، لكن من المؤسف أنك لم تكتب روايات أخرى مثلها، أو لم أستمتع بأي من رواياتك، حتى قرأت تلك الرواية، وقد سمعت ذلك بشكل خاص عن رواية «الكتاب الأسود». وأنا أكره في الحقيقة أن أسمع ذلك. إنه أمر ممتع، وتحدّ، أن تجرب مع الشكل والأسلوب واللغة والحالة والشخصية، وأن تفكر في كل كتاب بشكل مختلف.

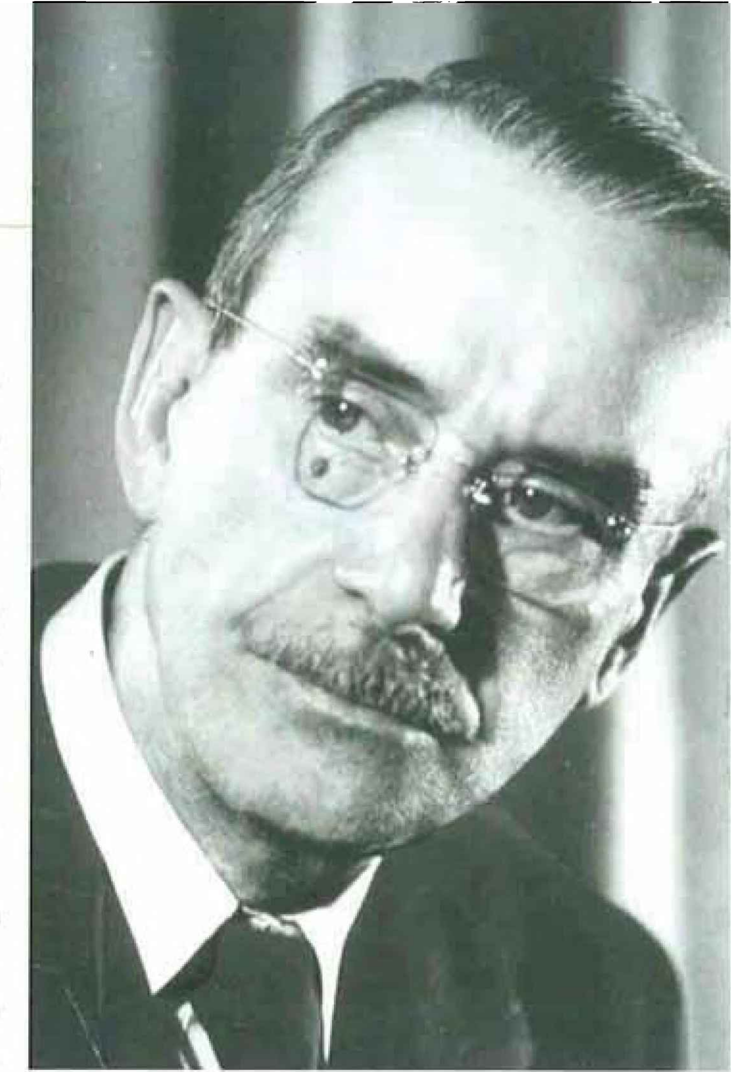
قد يأتي الأمر المهمّ بالنسبة إلى كتاب من منابع مختلفة. لقد أردت في رواية: «اسمي أحمر» أن أكتب عن طموحي لأصبح رسامًا. كانت تلك بداية خاطئة، حين بدأت أكتب دراسة مركزًا فيها في رسّام. ثم حولت الرسام إلى مجموعة رسامين مختلفين يعملون معًا في مرسم، فتغيّرت بذلك وجهة النظر، بعد أن أصبح هناك الآن رسامون آخرون يتكلمون. في البداية فكرت أن أكتب عن رسام معاصر، ثم فكرت أن ذلك الرسام التركي ربما يكون متولدًا من الغرب، شديد التأثر به؛ لذلك رجعت إلى الوراء في الزمن، كي أكتب عن رسامي الصور المنمنمة. ذلك هو كيف وجدت موضوعي.

بعض الموضوعات تتطلب - أيضًا - تجديدات في شكل معين، أو في خطط السرد. أحيانًا للمثال، تكون قد شاهدت شيئًا، أو قرأت شيئًا، أو كنت في السينما، أو قرأت مقالاً في جريدة، ثم تفكر، سأجعل البطاطا، أو الشجرة تتكلم. بمجرد أن تأتيك الفكرة، تبدأ في التفكير، في تناسق الرواية واستمراريتها، وتشعر بشعور جميل، فلم يفعل أحد هذا من قبل.

أخيرًا، قد أفكر في أشياء معينة سنين طويلة. وقد تكون هناك أفكار أقولها لأصدقائي المقربين، كما أحتفظ بكثير من دفاتر المذكرات لروايات محتملة، قد أكتبها. أحيانًا لا أكتبها، لكن إذا فتحت دفتر مذكرات، وبدأت أسجّل ملاحظات فهو ما يبدو وكأنني سأكتب تلك الرواية. كما أنني حين أنهي إحدى الروايات، فربّما يستقر قلبي على واحد من بين تلك المشروعات، وبعد الانتهاء من رواية بشهرين، أبدأ كتابة رواية أخرى.

◆ لا يناقش كثير من الروائيين أبدًا أعمالهم قيد الإنجاز. هل تحتفظ أنت أيضًا بها سرًّا؟

- أنا لا أناقش القصة أبدًا. وحين يسألني الناس في مناسبات رسمية عمّا أكتب، تكون لدي جملة واحدة كإجابة جاهزة: إنها رواية تجري أحداثها في تركيا المعاصرة. إنني أنفتح على عدد محدود جدًا من البشر، وفقط حين أعرف أنهم لن يؤذوني. ما يحدث هو التحدث عن وسائل تحايل،


توماس مان

- بدأ ذلك في رواية «الكتاب الأسود»، مع أنني قرأت بورخيس وكالفينو مبكرًا. ذهبت مع زوجتي إلى الولايات المتحدة عام ١٩٨٥م، وهناك واجهت شهرة الثقافة الأمريكية الضخمة وثراءها. وكتركي قادم من الشرق الأوسط، يحاول أن يؤسس نفسه كمؤلف شعرت بالرعب؛ لذلك تراجعت عائدًا إلى الوراء، إلى «جذوري». وتأكد لي أن على جيلي أن يبتكر أدبًا عالميًا حديثًا.

لقد حررني بورخيس وكالفينو. كان مدلول التراث الأدبي الإسلامي شديد الرجعية، سياسيًا جدًا، واستخدم بواسطة محافظين بمثل تلك الأشكال القديمة والأساليب السخيفة، التي لم أفكر - أبدًا - بإمكانية الاستفادة منها. ولكن بمجرد أن كنت في الولايات المتحدة، تأكد لي إمكانية الرجوع إلى تلك المادة بشكل ذهني كالفيني أو بورخيسي. وتوجّب على أن أبدأ بوضع تمييز قوي بين المفاهيم الدينية والأدبية للأدب الإسلامي، حتى يمكنني ان أستفيد بسهولة من ثروتها، ومن الألعاب، وأساليب التحايل، والحكايات الرمزية. كان لتركيا تراث أدبي زخرفي متكلف مصقول بدرجة عالية. ثم أفرغ الكتّاب المتورطون - اجتماعيًا - أدبنا من محتواه التجديدي.

هناك رموز تكرر نفسها في تراث حكي القصص الشفهي، للهند والصين وفارس. قررت أن أستخدمها وأضعها في (إستانبول) معاصرة. إنّها تجربة: ضع كل شيء معًا، مثل كولاج الدادئيين. ويمتلك كتاب «الكتاب الأسود» تلك الخاصية. أحيانًا تنصهر كل تلك المصادر معًا، وينبثق شيء جديد. وهكذا وضعت في (إستانبول) القصص المعاد كتابتها، مضيفًا حبكة بوليسية، فنتج «الكتاب الأسود». لكن كانت في منبعه كل الثقافة الأمريكية بكل عنفوانها، ورغبتي في أن أكون كاتبًا تجريبيًا جادًا. لم أستطع أن أكتب تسجيلاً اجتماعيًا عن مشكلات تركيا، التي كنت مرعوبًا منها. لذا كان على أن أحاول أن أفعل شيئًا آخر.

للمثال: سأجعل سحابة تتكلم. أحب أن أرى رد فعل الناس عن ذلك. إنه أمر طفولي. فعلت هذا كثيرًا في أثناء كتابة «إستانبول». إنّ عقلي مثل عقل طفل صغير لعوب، يحاول أن يظهر لأبيه كم هو بارع.

❖ إنّ تعبير «أسلوب تحايل» له مدلول سلبي.

- قد تبدأ بأسلوب تحايل، لكن إذا آمنت بجديته الأدبية والأخلاقية، فإنه يتحول في النهاية إلى ابتكار أدبي جاد. إنه يصبح تعبيرًا أدبيًا.

❖ يصنف النقاد - غالبًا - رواياتك بأنها بعد حداثية، ومع ذلك يبدو لي، أنك أخذت حيلك السردية من منابع تراثية. لقد استشهدت، للمثال: بألف ليلة وليلة، ونصوص كلاسيكية أخرى من التراث الشرقي.



جوته

❖ ألم يثر اهتمامك أبدًا أن تقدم تسجيلاً اجتماعيًا من خلال الأدب؟

– لا. كنت أنتمي إلى الجيل الأكبر من الروائيين. خصوصًا في الثمانينيات. أقول هذا بكل الاحترام الواجب، لكن ما كان يعنيهم كان ضيّقًا ومحدودًا.

❖ دعنا نعود إلى ما قبل «الكتاب الأسود». ما الذي ألهمك لتكتب رواية «القلعة البيضاء». إنه أول كتاب تستخدم فيه

بعد منتصف التسعينيات – حين بدأت كتبي تباع بأعداد لم يحلم بها أحد أبدًا من قبل في تركيا – انتهت سنوات العسل مع الصحافة التركية والمثقفين. وبدءًا من تلك اللحظة وصاعدًا، كان الاستقبال النقدي رد فعل على الدعاية والمبيعات

تيمة تكررت بعد ذلك على امتداد أعمالك، وهي تقمص شخصية أخرى. لماذا تعتقد أن فكرة أن تصبح شخصًا آخر، بزغت على نحو غير متوقع في عالمك القصصي؟

- إنه أمر شديد الخصوصية. لديّ أخ منافس شديد، يكبرني فقط بثمانية عشر شهرًا. على أيّة حال، كان أبي، الأب الفرويدي - كما يقال - كان هو من أصبح ذاتي البديلة، ممثل السلطة. من ناحية أخرى، كانت بيننا منافسة ورفقة الإخوة. إنّها علاقة شديدة التعقيد. وقد كتبت بشكل مكثف عن ذلك في كتاب «إستانبول». كنت مثالاً للولد التركي، جيّد في كرة القدم، ومتحمس لكل أنواع الألعاب والمنافسات، وكان ناجحًا جدًا في المدرسة، بشكل أفضل مني. شعرت بالغيرة تجاهه، وكان هو يشعر بالغيرة تجاهي أيضًا. كان هو الشخص العاقل والمسؤول، الشخص الذي يتوجه إليه متفوقونا. وبينما كنت أتابع المباريات، كان هو قد تابع قواعد اللعب. كنّا نتنافس طوال الوقت، وتخيّلت أن أكون هو. ذلك النوع من الأمور، وهو ما أرسى نموذجًا بعد ذلك. كانت التيمات الصادقة بالنسبة إلي هي الحسد والغيرة. كنت قلقًا - دائمًا - حول مدى قوّة أخي، أو أن نجاحه ربّما أثر فيّ. هذا جزء أساسي من روحي. كنت معنيًا بذلك، ولذلك وضعت مسافة بين نفسي وهذه المشاعر. كنت أعرف أنها سيئة، وكشخص متحضر قررت أن أحاربها. لن أقول: إنني ضحية الغيرة، لكن تلك هي مجرد النقاط العصبية، التي كنت أحاول أن أتعامل معها طوال الوقت. وبطبيعة الحال، أصبحت في نهاية المطاف، هي الموضوع الرئيس في كل قصصي. وفي رواية «القلعة البيضاء»، للمثال، العلاقة الماشوسية السادية (التي تتلذذ بالتعذيب) بين الشخصيتين الرئيستين، كانت مؤسسة على علاقتي مع أخي.

على الجانب الآخر، فإن تيمة تقمص شخصية أخرى انعكست على هشاشة المشاعر التركية، حين واجهت الثقافة الغربية. بعد كتابة «القلعة البيضاء» تأكد لي أن هذه الغيرة - القلق حول التأثر بشخص آخر - تشبه موقع تركيا حين تنظر غربيًا. وكما تعلم، فإنّ التوق إلى أن تصبح متغربًا، ومن ثم تصبح متهمًا بأنك غير موثوق به بما فيه الكفاية، فأنت تحاول أن تمسك بالروح الأوروبية، ثم تشعر بالذنب من الانسياق إلى التقليد. إن ارتفاعات وانخفاضات هذه الحالة حافلة بذكريات العلاقة بين أخوين متنافسين.

لقد ولدت تركيًا، وأنا سعيد بذلك. دوليًا، أدرك كم أكون تركيًا أكثر مما أرى نفسي فعلاً. أنا مشهور بأني مؤلف تركي، حين كتب بروست عن الحب، تنظر إليه على أنه شخص يتحدث عن حب عالمي، لكن حين كتبت في البداية عن الحب، قال الناس إنني أكتب عن الحب التركي، وحين بدأ عملي يترجم، افتخر الأتراك به، وعدّوني خاصتهم. كنت تركيًا أكثر من أجلهم

◆ هل تعتقد أن المواجهة الثابتة بين تركيا الشرقية والنبضات الغربية ستحلّ دائمًا بشكل سلمي؟

- أنا متفائل. لا ينبغي أن تقلق تركيا من أن لديها روحين، بالانتماء إلى ثقافتين مختلفتين، وأنها تمتلك جوهرين. يجعل انفصام الشخصية الشخص ذكيًا. قد تفقد علاقتك مع الواقع - أنا كاتب قصصي، لذلك لا أعتقد أن انفصام الشخصية أمر سيئ - لكن لا ينبغي أن تقلق منه. إذا قلقت كثيرًا جدًا، فقد يقتل جزء منك الآخر، وتترك بروح وحيدة، وذلك أسوأ من أن تكون مريضًا. تلك هي نظريتي، وأنا أحاول أن أنشرها في السياسة التركية، بين السياسيين الأتراك، الذين يطالبون بأن يكون القطر روحًا واحدة متسقة، تلك التي ينبغي أن تنتمي إمّا إلى الشرق، وإما إلى الغرب، أو أن تكون قومية. إنني أنتقد وجهة النظر الأحادية تلك.

> تزداد الحياة قصرًا، وأنت تسأل نفسك: لمن تكتب؟ لقد كتبت سبع روايات. وقد أحب أن أكتب سبعًا أخرى قبل أن أموت. لكنني أعرف أنّ الحياة قصيرة. ماذا عن التمتع بها أكثر؟ أحيانًا يكون على أن أجبر نفسي حقيقة. لكن لماذا أفعل ذلك؟

◆ كيف يبلغ ذلك في تركيا؟

- كلما زادت فكرة الديمقراطية، التي تأسست عليها تركيا الليبرالية، ازداد قبول تفكيري. يمكن لتركيا أن تلتحق بالاتحاد الأوربي فقط مع هذه الرؤية. إنه أسلوب نضال ضد الأممية، نضال بلاغتنا ضدهم.

◆ لكن في كتاب «إستانبول»، وبالأسلوب جعلت به المدينة رومانسية، بدا وكأنك تنعى خسارة الإمبراطورية العثمانية؟

- أنا لا أنعى الإمبراطورية العثمانية. إنني متغرّب. وأنا سعيد أن عملية التغريب تجري. إنني أنتقد - فقط - الأسلوب المحدود، الذي تفهم به النخبة الحاكمة - وأنا أعني كلا البيروقراطيين والأثرياء الجدد - التغريب. إنهم يفتقرون إلى الثقة الضرورية لخلق ثقافة قومية غنية برموزها وشعائرها الخاصة. إنهم لا يتشوّقون إلى خلق ثقافة إستانبولية، تكون مركبًا عضويًا من شرق وغرب؛ لأنهم يضعون فقط أشياء شرقية وغربية معًا. كانت هناك بطبيعة الحال، ثقافة محليّة عثمانية قوية، لكنها تذوي بالتدريج. ما ينبغي عليهم أن يفعلوه، ولا يمكنهم أن يقوموا به بشكل كاف، هو خلق ثقافة محلية قوية، تكون مركبًا - ليس تقليدًا - من ماضي الشرق وحاضر الغرب. إنني أحاول أن أقوم بالأمر نفسه في كتبي. ربّما ستقوم به أجيال جديدة. كما أن دخول الاتحاد الأوربي لن يدمّر الهوية التركية، بل سيجعلها تزدهر، وتمنحنا مزيدًا من الحرية، ومزيدًا من الثقة الذاتية؛ لخلق ثقافة تركية جديدة. ليس الحلّ في التقليد الأعمى للغرب، أو التقليد الأعمى للثقافة العثمانية الخامدة. ينبغي أن نفعل شيئًا بهذه الأشياء، من دون أن نقلق كثيرًا من الاعتماد على واحدة منهما.

◆ ومع ذلك فقد بدا في كتاب «إستانبول» أنك تتماثل مع الأجنبي، من خلال نظرة غربية فوق مدينتك الخاصة.

- لكنني أفسّر - أيضًا - السبب في أن فكر التغريب التركي يمكن أن يتماثل مع نظرة غربية. إنّ تقدّم (إستانبول) هو عملية تماثل مع الغرب. هناك - دائمًا - انقسام ثنائي، ويمكنك أن تتماثل بسهولة مع الغضب الشرقي أيضًا. أحيانًا يكون أيّ فرد مستغربًا، وأحيانًا يكون شرقيًا، بينما هو في الحقيقة مركب ثابت من الاثنين. أحبّ فكرة إدوارد سعيد عن التكيّف، لكن ما دام أن تركيا لم تكن أبدًا مستعمرة، فإن جعل تركيا رومانسية لم يكن - أبدًا - مشكلة للأتراك، فلم يذلّ الرجل الغربي الأتراك بالأسلوب نفسه الذي أذلّ به العرب، أو الهنود. تمّ غزو إستانبول فقط لمدة سنتين، ورحلت سفن العدو كما جاءت، لذلك لم تترك ندبًا على روح الأمة. ما ترك ندبًا عميقًا هو فقدان الإمبراطورية العثمانية، لذلك ليس لديّ ذلك القلق بالشعور بأنّ الغربيين ينظرون إلينا نظرة دونية. مع أنه بعد إنشاء الجمهورية كان هناك نوع من الرعب؛ لأن الأتراك أرادوا أن يستغربوا، لكنهم لم يقطعوا شوطًا كافيًا، ممّا خلف شعورًا بدونية ثقافية، ينبغي علينا أن نواجهها، وهو ما أفعله أحيانًا.

من ناحية أخرى، ليست الندوب عميقة بعمق الأمم الأخرى، التي كانت محتلة فترة مئتي سنة، ومستعمرة. لم يقهر الأتراك - أبدًا - بواسطة القوى الغربية. كان القهر الذي عاناه الأتراك هو الصراع الذاتي، بعد أن أزلنا تاريخنا الخاص؛ لأننا عمليون، يوجد في القهر حسّ بالضعف. لكن مواجهة التغريب الذاتية تلك جلبت العزلة أيضًا. رأى الهنود

قاهروهم وجهًا لوجه. كان الأتراك معزولين بغرابة عن العالم الغربي، الذي يحاكونه. وفي حقبة الخمسينيات؛ بل والستينيات أيضًا، حين جاء الأجنبي ليستقر في فندق هيلتون إستانبول ، اشارت إليه كل الصحف.

❖ تعد الرواية شكلا ثقافيًا غربيًا. هل لها أي مكان في التراث الشرقي؟

- انفصلت الرواية الحديثة عن الشكل الملحمي، الذي هو - أساسًا - غير شفهي؛ لأنّ الروائي هو الشخص الذي لا ينتمي إلى تجمع، ولا يشارك في المقدرات الأساسية للمجتمع، وهو الذي يفكر، ويحكم بثقافة أخرى أكثر مما يجرّب. وما إن يختلف وعيه عن التجمع الذي ينتمي إليه، يصبح لا منتميًا، متوحّدًا، ويأتي غنى نصّه من رؤية اللامنتمي الذي يختلس النظر من ثقب الباب.

بمجرد أن تطوّر عادة النظر إلى العالم بذلك الأسلوب، وتكتب عنها بهذا الشكل، فسرعان ما تتولد لديك الرغبة في الانفصال عن التجمع. ذلك هو النموذج الذي فكرت به في رواية «ثلج».

❖ تعد رواية «ثلج»، التي نشرت - حديثًا - هي الأعظم سياسيًا. كيف حملت بها؟

- حين بدأت اشتهر - في تركيا - في منتصف التسعينيات، في وقت كانت فيه الحرب ضد المقاومة

كان متوسط قارئي كتابيّ الأخيرين أكثر من نصف مليون قارئ على امتداد العالم. لا أستطيع أن أنكر أنني معنيّ بوجودهم. لكن من ناحية أخرى، لم أشعر قط أنني أفعل أشياء لإرضائهم. كما أومن - أيضًا - أن قرائي سيشعرون بذلك، إذا فعلت

الكردية قوية، أراد مؤلفو جناح اليسار القديم، وليبراليو الحداثة الجديدة أن أساعدهم على التوقيع على عرائض، وكانوا قد بدؤوا يطلبون مني أن أقوم بأعمال سياسية، ليس لها علاقة بكتبي.

وسرعان ما بدأت مؤسسة الهجوم المضاد بمعسكر اغتيالات شخصية، وبدؤوا يهينونني. كنت غاضبًا جدًا، وبعد وهلة فكرت ماذا لو كتبت رواية سياسية أستكشف فيها مأزقي الروحية الخاصة، كقادم من أسرة من الطبقة العليا المتوسطة، ويشعر بمسؤولية عن أولئك الذين ليس لديهم تمثيل سياسي. لقد آمنت بفنّ الرواية، وذلك أمر غريب، إذ كيف جعلني ذلك لا منتميًا، فقلت لنفسي عندئذ: سأكتب رواية سياسية. وبدأت أكتبها بمجرد أن أنهيت رواية «اسمي أحمر».

❖ لماذا جعلت أحداثها تجري في مدينة «قارص» الصغيرة؟

- مشهور عن «قارص» أنها واحدة من أكثر المدن برودة في تركيا، وأكثرها فقرًا. في بداية الثمانينيات، كتب في الصفحات الأولى من الصحف الرئيسة عن الفقر في قارص. وقد قدّر شخص انك يمكن ان تشتري كل مدينة «قارص» بما يقرب من مليون دولار. كان المناخ السياسي صعبًا، حين أردت أن أذهب إلى هناك. كان الأكراد يسكنون منطقة مجاورة لها، لكن مركزها خليط من الأكراد وآخرين من آذربيجان، وأتراك، وجنسيات أخرى. كما تم الاعتياد أن يكون فيها روس، وألمان أيضًا، وهناك ملل دينية بالمثل، من الشيعة والسنة. وكانت الحرب، التي شنتها الحكومة التركية ضد المقاومة الكردية شديدة الضراوة، لدرجة أنه كان من المستحيل الذهاب إلى هناك سائحًا. عرفت أنني يمكنني الذهاب إلى هناك كروائي بسهولة، لذا طلبت من محرر صحيفة، كنت على صلة به، أن يمدّني بتصريح صحفي لزيارة تلك المنطقة. كان ذا سلطة. فتحدث شخصيًا مع العمدة ورئيس الشرطة لعلمهما بحضوري.



أورهان باموق

وحالما وصلت «قارص» قمت بزيارة العمدة، وهززنا الأيدي مع رئيس الشرطة، حتى لا توقفني الشرطة في الطريق، وفعليًا قام بعض أفراد الشرطة، الذين لم يعلموا بوجودي هناك بتوقيفي، وحملوني بعيدًا، ربّما بنية تعذيبي، وسرعان ما أخبرتهم بالأسماء التي أعرفها، فقد كنت أعرف العمدة ورئيس الشرطة.. لكنني كنت شخصًا مشكوكًا في أمره، إذ على الرغم من أن تركيا بلد حرّ، فإنه جرى التعود أن يكون أيّ غريب محلّ شك إلى ما يقرب من عام ١٩٩٩م، وأتمنى أن يكون الأمر قد أصبح أكثر يسرًا الآن.

تأسس معظم الشخصيات والأماكن في كتاب «ثلج» على نظائر حقيقية. وللمثال: تلك الصحيفة المحلية التي تبيع مئتين وخمسين نسخة، هي حقيقية. لقد ذهبت إلى «قارص» مع كاميرا ومسجل فيديو. كنت أصوّر كل شيء، وحين رجعت إلى إستانبول، عرضتها على أصدقائي، الذين ظنّوا أنني قد جننت قليلاً. كانت هناك أشياء أخرى حدثت فعلاً، مثل الحوار الذي وصفته بين محرر الصحيفة الصغيرة، الذي أخبر «كا» بما قام به في اليوم السابق، فسأله «كا» كيف عرفت؟، فكشف النقاب عن أنه كان

يتنصت على جهاز إرسال الشرطي، الذي كان يقتفي أثري طوال الوقت. ذلك حقيقي، وكانوا يقتفون أثري فعلاً.

عـرّف منسق الأخبـار المحلي في العـرض التلفـازي بشخصي، قائلاً: «يكتب ضيفنا المشهور مقالاً في صحيفة قومية»، وهو أمر كان شديد الأهمية. كانت الانتخابات المحلية ستجرى في القريب، لذلك فتح سكان المدينة أبوابهم لي. كانوا جميعًا يريدون أن يقولوا أشياء للصحيفة القومية، حتى تعرف الحكومة كم هم فقراء. لم يكونوا يعرفون أنني سأضعهم في رواية. كانوا يعتقدون أنني سأضعهم في مقال. وينبغي أن أعترف أن تلك كانت قسوة ساخرة مني، على الرغم من أنني كنت أفكر فعلاً في كتابة مقال عن قارص أيضًا.

وكان هناك مقهى صغير اعتدت - أحيانًا - أن أكتب فيه، وأسجل ملاحظاتي. وكنت قد دعوت صديقًا مصورًا للمجيء؛ لأن قارص مكان جميل حين ينتشر الثلج فيها. فسمعت - مصادفة - حوارًا في المقهى الصغير. كان الناس يتحدث بعضهم مع بعض في أثناء كتابتي بعض الملاحظات، متسائلين عن نوعية المقالات التي سأكتبها؟

كانت قد مضت ثلاث سنوات، وهو وقت كاف لكتابة الرواية. لقد أوقعوا بي.

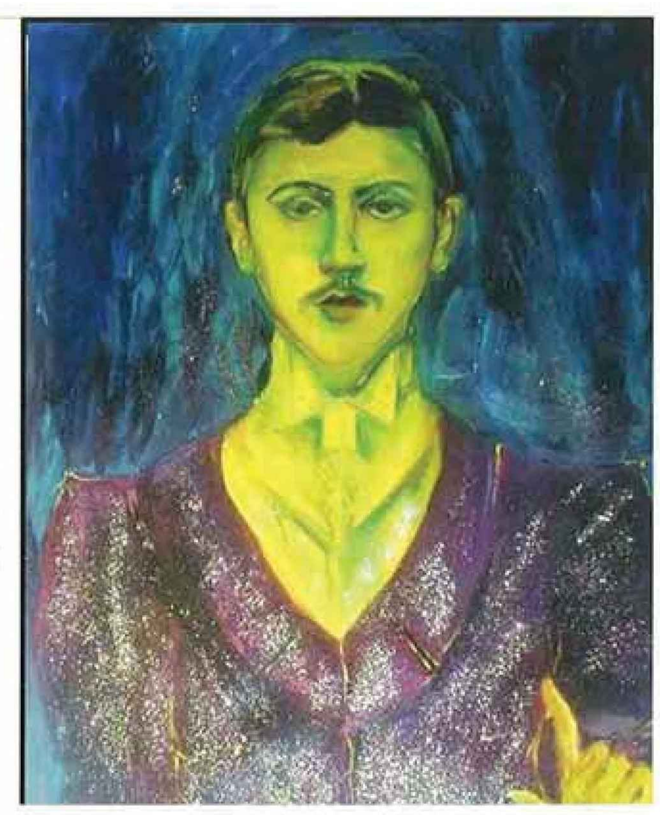
❖ كيف كان رد فعل الكتاب؟

- في تركيا، كان كل من المحافظين الإسلاميين السياسيين، والعلمانيين مستائين. ليس لدرجة مصادرة الكتاب، أو إيذائي، لكنهم كانوا مستائين، وكتبوا عنه في الصحف القومية اليومية. كان العلمانيون مستائين؛ لأنني كتبت أن تكلفة أن تكون راديكاليًا علمانيًا في تركيا، هي أن تنسى أنك ينبغي أن تكون ديمقراطيًا أيضًا. يستمد العلمانيون قوتهم في تركيا من الجيش، وهو ما يدمّر ديمقراطية تركيا، وثقافة التسامح، إذ بمجرد أن يكون لديك مثل هذا الجيش الكبير متورطًا في ثقافة سياسية، فإن الناس سرعان ما تفقد ثقتها الذاتية، ويعتمدون على الجيش في حلّ كل مشكلاتهم. يقول الناس عادة: إن البلد والاقتصاد في حالة فوضى، دعنا نستدعي الجيش حتى يطهرها، لكنهم عندما يطهرونها بهذا الشكل، فإنهم يدمرون في الوقت ذاته التسامح. لقد عذّب كثير من المشكوك في أمرهم، وسجن مئة ألف من أبناء الشعب، وهو ما مهّد الطريق لانقلابات عسكرية تالية. كان هناك انقلاب جديد كل عشر سنوات، وهو ما انتقدني العلمانيون بسببه. كما أنه لم يعجبهم - أيضًا - أنني صورت الإسلاميين ككائنات بشرية.

وكان الإسلاميون السياسيون مستائين؛ لأنني كتبت عن إسلاميّ استمتع بالجنس قبل الزواج. كان الأمر من ذلك النوع من التبسيط. كان الإسلاميون يشكون - دائمًا - في أمري؛ لأنني لم آت من ثقافتهم، ولأنّ لديّ لغة ومزاجًا، بل حتى إيماءات شخص أكثر تغرّبًا وتميّزًا. وكانت لديهم

إنني أنتقد - فقط - الأسلوب المحدود الذي تفهم به النخبة الحاكمة - وأنا أعني كلا البيروقراطيين والأثرياء الجدد - التغريب. إنهم يفتقرون إلى الثقة الضرورية لخلق ثقافة قومية غنية برموزها وشعائرها الخاصة

حاولت في كتاب "إستانبول" أن أصنع كتابًا أصيلاً. ولا أدري إذا كان ذلك قد نجح. كان "الكتاب الأسود" - كذلك أيضًا - مركبًا من حنين إلى عالم بروستي مع رموز إسلامية، وقصص، وحيل. ثم وضعها جميعًا في إستانبول، وانظر إلى ما حدث



بروست

مشكلات تمثيلهم، فتساءلوا كيف يكتب على أية حال؟ إنه لا يفهم. وهذه - أيضًا - متضمنة في أجزاء من الرواية.

لكنني لا أريد أن أبالغ. مازلت أحيا. لقد قرؤوا - جميعًا - الكتاب، وربّما أصبحوا غاضبين، لكن تلك علامة على نضج الأمزجة الليبرالية، التي قبلتني، وقبلت كتابي، كما هو. أما رد فعل سكان قارص، فكان - أيضًا - منقسمًا. قال بعضهم: نعم، ذلك هو ما يجري هنا. وآخرون، عادة من القوميين الأتراك: كانوا عصبيين حول ذكرى للأرمينيين. منسق الأخبار التلفازي، للمثال: وضع كتابي في حقيبة رمزية سوداء، وأرسله بالبريد إليّ. قائلاً في مؤتمر صحفي: إنني قمت بدعاية أرمينية، وهو أمر بطبيعة الحال مناف للعقل. إنّ لدينا مثل هذه الثقافة القومية محدودة النظر.

❖ هل أصبح الكتاب قضية مشهورة على نسق رشدي؟

- لا، إطلاقًا.

❖ إنه كتاب كئيب متشائم بشكل مرير. كان الشخص الوحيد في كل الرواية، الذي كان قادرًا على الإنصات لكل الأطراف، هو «كا»، الذي احتقره الجميع في النهاية.

- ربّما عبرت عن وضعي كروائي في تركيا بطريقة مسرحية. على الرغم من أن «كا» كان يعرف أنه محتقر، إلاّ أنه كان يستمتع بأنه قادر على أن يحافظ على التحاور مع أي فرد. لديه أيضًا قدرة قوية جدًا على البقاء. كان «كا» محتقرًا؛ لأنهم يرونه جاسوسًا غربيًا، وهو ما قيل عنّي في مرات كثيرة.

بالنسبة إلى الكآبة، فإنني أوافق. لكن الفكاهة تعد طريقًا للخروج. حين يقول لي الناس إنها كئيبة، أسألهم، ألم تكن ممتعة؟ أعتقد أن هناك قدرًا من الفكاهة، على الأقل كان هذا ما نويته.

❖ سبّب تعقيبك على الرواية مزيدًا من القلق، حتى بدا أنه أقلقك أكثر، وهو ما عنى تمزقًا في الأواصر العاطفية. إنه ثمن باهظ تتكبده.

- نعم، لكنه شيء رائع. حين أسافر، ولا أعود وحيدًا في مكتبي، يصيبني الحزن بعد فترة. لكنني أكون سعيدًا، حين أكون وحيدًا في حجرتي، وأبتكر. هناك أكثر من تعقيب على الفن أو الحرفة، التي أنا مسخر لها، إنه تعقيب؛ لكوني وحيدًا في حجرتي، إنني أستمر في ممارسة هذا الطقس، مؤمنًا أن ما أفعله الآن سيطبع ذات يوم، فيضفي الشرعية على أحلام يقظتي. إنني أحتاج إلى ساعات العزلة على مكتبي مع ورق جيد وقلم، مثلما يحتاج بعض الناس إلى حبّة دواء لصحتهم. إنني متورّط بهذه الطقوس.

❖ إذًا، لمن تكتب؟

- تزداد الحياة قصرًا، وأنت تسأل نفسك هذا السؤال مرارًا. لقد كتبت سبع روايات، وقد أحب أن أكتب سبعًا أخرى قبل أن أموت. لكنني أعرف أنّ الحياة قصيرة. ماذا

عن التمتع بها أكثر؟ أحيانًا يكون على أن أجبر نفسي حقيقة. لكن لماذا أفعل ذلك؟ أولاً: كما قلت، إنها قدرة خاصة أن تكون وحيدًا في حجرة. ثانيًا: هناك جانب تنافسي طفولي في شخصي، يرغب في محاولة كتابة كتاب جميل مرّة أخرى. لكن اقتناعي بخلود الكتاب يتناقص باستمرار. نحن نقرأ عددًا قليلاً من الكتب، التي كتبت منذ مئتي سنة. فالأشياء تتغيّر بسرعة شديدة، لدرجة أن كتب اليوم من المحتمل أن تنسى خلال مئة عام. سيقرأ الناس قليلاً منها فقط. سيبقى ربّما خمسة كتب فقط، ممّا كتب في الحاضر، خلال مئتي سنة. هل أنا متأكد أنني أكتب واحدًا من تلك الخمسة؟ وهل هذا هو معنى الكتابة؟ ولماذا يقلقني إذا ما كنت سأقرأ بعد مئتي سنة مقبلة؟ ألا ينبغي أن أقلق حول أن أعيش أكثر؟ هل احتاج إلى عزاء، بأنني سأقرأ في المستقبل؟ أفكر في كلّ هذه الأسئلة، وأستمرّ في الكتابة. أنا لا أعرف لماذا. لكنني

نعم، أنا عامل صعب المراس. إني أستمتع بذلك. يقول الناس: إنني طموح. وربّما كان ذلك صادقًا أيضًا. لكنني واقع في حبّ ما أفعل. إنني أمتع بالجلوس إلى مكتبي، مثل طفل يلعب بلعبه

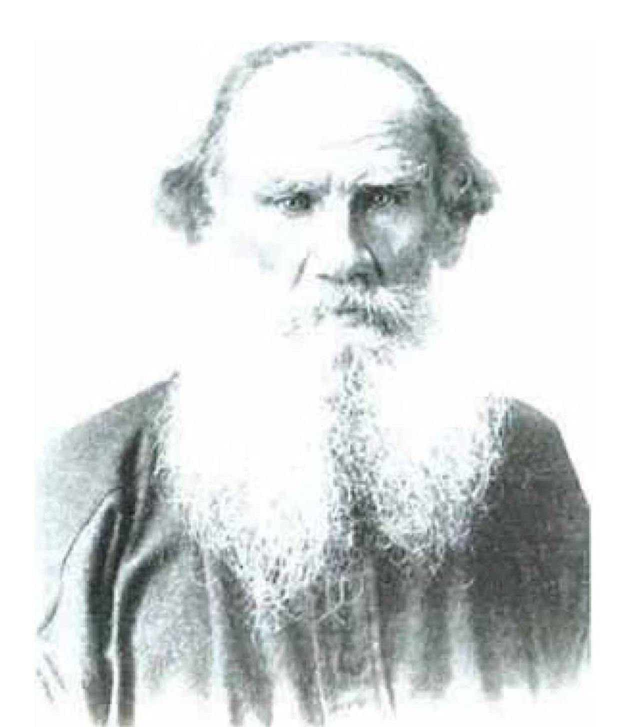
لا استسلم أبدًا. هذا الاعتقاد بأنّ كتبك سيكون لها تأثير في المستقبل، هو العزاء الوحيد الذي لديك: ليمنحك سرورًا في هذه الحياة.

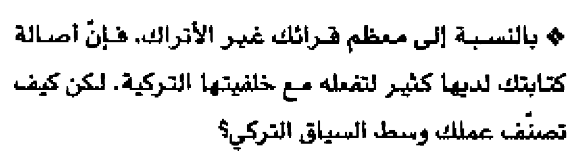
❖ أنت كاتب أفضل المبيعات في تركيا، لكن الكتب التي تبيعها في وطنك، فاقها عددًا مبيعاتك في الخارج. وقد ترجمت إلى أربعين لغة. هل تفكر الآن في قاعدة قرائك العالمية الواسعة، حين تكتب؟ وهل تكتب الآن لجمهور مختلف؟

- إنّ ما يعنيني من ذلك الجمهور لم يعد بشكل حصري الجمهور الدولي. لكن حتى حينما بدأت الكتابة، ربّما وصلت إلى مجموعة أوسع من القرّاء. اعتاد والدي أن يقول - من وراء ظهور بعض أصدقائه من الكتاب الأتراك -: إنهم كانوا «موجهين فقط إلى جمهور قومي».

هناك مشكلة في أن أكون معنيا بقرائي، سواء أكانوا قوميين أم عالميين. لا أستطيع أن أتفادى هذه المشكلة الآن. كان متوسط قارئي كتابيّ الأخيرين أكثر من نصف مليون قارئ على امتداد العالم. لا أستطيع أن أنكر أنني معني بوجودهم. لكن من ناحية أخرى، لم أشعر قطّ أنني أفعل أشياء لإرضائهم. كما أؤمن - أيضًا - أن قرائي سيشعرون بذلك، إذا فعلت. لقد جعلت ذلك عملي منذ البداية الأولى، وفي اللحظة التي أستشعر فيها توقعات القارئ، أهرب بعيدًا. حتى في أثناء كتابة جملي، أعدّ فيها القارئ لشيء ثم أفاجئه. ربّما كان ذلك هو السبب في أنني أحبّ الجمل الطويلة.

تولستوي





◆ بالنسبة إلى معظم قرائك غير الأتراك، فإنّ أصالة كتابتك لديها كثير لتفعله مع خلفيتها التركية. لكن كيف تصنّف عملك وسط السياق التركي؟

- هذه هي المشكلة، التي سمّاها هارولد بلوم «قلق التأثير». كانت لديّ تلك المشكلة كمعظم الكتاب، الذين كانوا لديّ حين كنت شابًا. في بداية الثلاثينيات من عمري، داومت على التفكير في أنني ربّما أكون قد تأثرت كثيرًا بتولستوي، أو توماس مان. ما أقصده هو ذلك النوع اللطيف الأرستقراطي من النثر في روايتي الأولى. لكن فيما على الرغم من أنني اشتققت تقنياتي، فالحقيقة أنني عملت في هذا الجزء من العالم، بعيدًا جدًا عن أوربا - أو هذا على الأقل ما بدا لي في ذلك الوقت - محاولاً أن أجتذب مثل ذلك الجمهور المختلف من مناخ ثقافي وتاريخي مختلف، وهو ما يضمن أصالتي، حتى لو كنت قد اكتسبتها بثمن زهيد. لكنها أيضًا مهنة صعبة، ما دام أن تلك التقنيات لا تنقل، أو تجتاز بسهولة.

تعد الأصالة صيغة شديدة البساطة: ضع شيئين معًا، لم يكونا معًا من قبل. انظر إلى كتاب «إستانبول»، مقال حول مدينة، وحول كيف رأى مؤلفون أجانب معينون - فلوبير، ونرفال، وجوته - تلك المدينة، وكيف أثرت رؤاهم في مجموعة معينة من الكتّاب الأتراك. ركب هذا المقال مع اختراع مشهد إستانبول الرومانتيكي كسيرة ذاتية. لم يفعل هذا أحد من قبل. خاطر، وستخرج بشيء جديد. حاولت في كتاب «إستانبول» أن أصنع كتابًا أصيلاً، ولا أدري إذا كان ذلك قد نجح. كان «الكتاب الأسود» - كذلك أيضًا - مركبًا من حنين إلى عالم بروستي مع رموز إسلامية، وقصص، وحيل، تم وضعها جميعًا في إستانبول، وانظر إلى ما حدث.

◆ يوصل كتاب «إستانبول» شعورًا، انك كنت - دائمًا - شخصًا وحيدًا، وانت فعلاً وحيد بالتأكيد ككاتب في تركيا الحديثة في الزمن الحاضر. وقد نشأت واستمررت في الحياة في عالم سرعان ما انفصلت عنه.

- على الرغم من أنني نشأت في أسرة كبيرة الحجم، وتعلمت مع تجمع مدلل، لكنني سرعان ما أيقنت



جوركي

انفصلت الرواية الحديثة عن الشكل الملحمي، الذي هو - أساسًا - غير شفهي؛ لأنّ الروائي هو الشخص الذي لا ينتمي إلى تجمع، ولا يشارك في المقدرات الأساسية للمجتمع، وهو الذي يفكر ويحكم بثقافة أخرى أكثر مما يجرّب

> لقد اعتقدت - دائمًا - أن المكان الذي تنام فيه، أو تتشارك فيه مع شريكك، ينبغي أن يكون منفصلاً عن المكان الذي تكتب فيه؛ لأن الطقوس المحلية والتفاصيل تقتل الخيال بشكل ما. إنها تقتل روحي الحارسة

ضرورة الانفصال عنه. هناك جانب تدمير في ذاتي، يبدو في نوبات غضبي، ولحظات الهياج، حين أفعل أشياء تفصلني عن صحبة التجمع السارة. وقد تيقنت في وقت مبكر من حياتي أن التجمّع يقتل خيالي، وأحتاج إلى ألم الوحدة التي تجعل خيالي يعمل، ومن ثم أكون سعيدًا، لكن كوني تركيًا، فإنني أحتاج بعد وهلة إلى عزاء رقيق من التجمع، الذي ربّما أكون قد دمّرته. لقد دمّر كتاب «إستانبول» علاقتي مع أمي، ولم يعد أي منّا يرى الآخر بعد ذلك. وبطبيعة الحال، فإنني أرى أخي بصعوبة شديدة. أمّا علاقتي مع الجمهور التركي، فهي - أيضًا - صعبة بسبب تعليقاتي الحديثة.

❖ ما مدى إحساسك بتركيتك، إذًا؟

- أولاً: لقد ولدت تركيًا، وأنا سعيد بذلك. دوليًا، أدرك كم أكون تركيًا أكثر ممّا أرى نفسي فعلاً. أنا مشهور بأني مؤلف تركي، حين كتب بروست عن الحب، نظر إليه على أنه شخص يتحدث عن حب عالمي. لكن حين كتبت في البداية عن الحب، قال الناس إنني أكتب عن الحب التركي، وحين بدأ عملي يترجم، افتخر الأتراك به، وعدّوني خاصتهم. كنت تركيًا أكثر من أجلهم. وبمجرد أن تشتهر عالميًا، فإنّ تركيتك تتأكد عالميًا، ومن ثم تتأكد تركيتك بواسطة الأتراك أنفسهم، الذين يطالبون بك، ويصبح حسّك بالهوية القومية شيئًا يتحكم به الآخرون. إنها مفروضة بواسطة آخرين. إنهم قلقون - الآن أكثر - حول التمثيل الدولي لتركيا مقارنة بفني، وهو ما يسبب مشكلات أكثر وأكثر في وطني. بدا كثير من الناس، الذين لا يعرفون كتبي، يقلقون حول ما أقول للعالم الخارجي عن تركيا، عبر ما يقرؤونه في الصحافة الشعبية. الأدب مصنوع من جيد وردي، من شياطين وملائكة، وهم قلقون أكثر وأكثر، فقط من شياطيني.

❖ هذا الحوار منشور في مجلة «باريس ريفيو» العدد رقم ١٧٥- خريف / شتاء ٢٠٠٥م، تحت عنوان: «فن الرواية»، وقد أجرت الحوار أنجل جيريا - كونتانا.







الآن بالأسواق



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٦٢) شعبان ١٤٢٧هـ

الفائز الأول: محمد إسماعيل إسماعيل . القاهرة . مصر.
الفائز الثاني: طيف صالح السليم . عنيزة . السعودية.
الفائز الثالث: نورا العربي هاشم . حانوت . مصر.
الفائز الرابع: مريم محمد شقير . درعا . سورية.
الفائز الخامس: محمد أحمد رجب . سيئون . اليمن.
الفائز السادس: عائشة اليعقوبي . تمارة . المغرب.
الفائز السابع: فاطمة محمد حماد . البلاد القديم . البحرين.
الفائز الثامن: ساسي غريميل . مدنين . تونس.

حل مسابقة العدد (٣٦٢)

١- أنشئ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٣هـ.

٢- جنيزة كلمة عبرية تعني الجمع والدفن، وكان من عادة اليهود الاحتفاظ بوثائقهم وأوراق من التوراة مهما بلغت من البلى والقدم في حجرات تحتفظ فيها أو تدفن في الأرض بجوار المقابر.

٣- فتيات الجيشا أو (الغيشا) هن مضيفات تقليديات محترفات باليابان، وكلمة «غيشا» باليابانية معناها من كانت مكتملة المواهب الفنية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦٥)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) «كل شيء هادئ في الجبهة الغربية» رواية شهيرة.. اذكر اسم مؤلفها؟

(٢) من قائل هذا البيت:

لأن حِلْمَك حِلْمٌ لا تَكَلُّفُهُ
ليس التَّكَحُّلُ في العينينِ كالكَحَلِ

(٣) ما هو الصفر المطلق؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

تفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



●● خاتمة المطاف: ضمير الكاتب والناس



المؤتمر الدولي للسياحة والحرف اليدوية يبحث الأبعاد الاقتصادية

برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - وزير الداخلية - في مساء ١٦ شوال الماضي بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالرياض المؤتمر الدولي الأول للسياحة والحرف اليدوية بالدول الإسلامية، الذي نظمته الهيئة العليا للسياحة، بالتعاون مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول «أرسيكا» التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بحضور عدد كبير من المختصين والمهتمين، واستقبل سموه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز - الأمين العام للهيئة العليا للسياحة - والأستاذ إياد مدني - وزير الثقافة والإعلام - والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ورؤساء الوفود.

وقام الأمير نايف بن عبدالعزيز بجولة على معرض الروائع، ومعرض المطبوعات، وعروض الحرفيين، والبازار التجاري المقامة على هامش المؤتمر، وقدم الأمير سلطان بن سلمان شرحاً عن العروض والدول المشاركة في المؤتمر.

وألقى سمو الأمين العام للهيئة العليا للسياحة كلمة عبر فيها عن شكره وعظيم امتنانه لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على تفضله - حفظه الله - برعاية هذا المؤتمر الدولي، كما قدم شكره إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - على اهتمام سموه بإقامة هذا المؤتمر، كما شكر لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - وزير الداخلية، رئيس مجلس إدارة الهيئة العليا للسياحة - تفضله بافتتاح هذا المؤتمر.

وقال سموه: إن الدول الصناعية أدركت مبكراً أن الحرف والصناعات اليدوية من القطاعات، التي توفر فرص عمل لمواطنيها، وتساهم في زيادة دخلهم؛ وذلك لأسباب كثيرة أهمها انخفاض رأس المال، الذي يحتاج إليه الحرفيون، وانخفاض تكلفة الخدمات اللازمة للتصنيع، فسارعت تلك الدول إلى إحداث أجهزة حكومية تتولى مسؤولية التنظيم، والإشراف على تطوير قطاع الحرف اليدوية، وتقديم الدعم اللازم له، وأشار إلى ما جاء في تقرير منظمة اليونسكو الذي يوضح أن ٢٠٪ من النشاط الريفي في الدول السائرة في طريق النمو يتم في قطاع الحرف والصناعات اليدوية، وأن الحرف والصناعات اليدوية تسهم على الأقل بنسبة ٣٪ من الناتج الوطني لتلك الدول.

وأكد الأمير سلطان بن سلمان أن الحرف والصناعات اليدوية تتميز بكونها تعبيراً حقيقياً عن التقاليد الحية للإنسان، فهي تعتمد على الأسس الثلاثة للتنمية المستديمة (التكيف والتجديد والإبداع)، إلا أن الحرفيين يفتقدون الإمكانات، التي تمكنهم من تطوير أساليب إنتاجهم وترويجها.

وأكد سموه أن العالم الإسلامي يضم تراثاً حضارياً من الفنون والحرف التقليدية في شتى الميادين الحياتية، ولكن هذا التراث الفني لم يأخذ حتى الآن حقه من التعريف به، مؤكداً أن الحاجة ملحة الآن إلى تنظيم نشاط عالمي، يتناسب مع المستوى الراقي لهذا الكم النوعي من التراث.



الأمير نايف بن عبدالعزيز يفتتح المؤتمر (تصوير عبدالرشيد شمس الدين)



وأضاف: توافقاً مع أهمية إبراز هذا التراث، جاءت فكرة إقامة هذا المؤتمر الذي تنظمه الهيئة العليا للسياحة في المملكة، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول (ارسيكا)، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، في مدينة الرياض، مؤكداً حرص المنظمين على توسيع نطاق هذا المؤتمر ليشمل: معرضاً لروائع القطع والمنتجات الحرفية من العالم الإسلامي، ومعرضاً عن المطبوعات الخاصة بالحرف والصناعات اليدوية، وسوق بازار للحرف والصناعات التقليدية تتخلله عروض حية لحرفيي الدول والجاليات الإسلامية، كما هم في مواقع العمل، وجائزة دولية حول الابتكار في الصناعات التقليدية للمبدعين من حرفيي العالم الإسلامي، إضافة إلى أوراق عمل تغطي الجوانب المرتبطة بالحرف اليدوية وعلاقتها بالسياحة.

وأكد الأمير سلطان بن سلمان ان الهيئة العليا للسياحة بادرت بعد تأسيسها إلى الدعوة إلى وضع تصور لتطوير الحرف والصناعات اليدوية، وتنميتها، في المملكة العربية السعودية، وأعدت مع الجهات ذات العلاقة إستراتيجية وطنية لتنمية الحرف والصناعات اليدوية، وخطة تنفيذية خمسية أقرها مجلس إدارة الهيئة، وهي الآن تحت الإجراء لإقرارها.

وقال: إن المؤتمر يركز في بحث الجوانب السياحية والثقافية والتراثية المرتبطة بالحرف، والوسائل الكفيلة بالتوظيف الجيد لقطاع الحرف التقليدية، في المجال السياحي، والكشف عن العوائد التي يمكن للقطاع السياحي الحصول عليها من خلال ربطه بالتراث والحرف، والمحافظة على الأصالة التقليدية، التي تتميز بها الحرف، والتعريف بها، وترويجها ضمن القنوات المتاحة.

ووجه سموه شكره الجزيل إلى الدول المشاركة في هذا المؤتمر، وإلى مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية بإستانبول (ارسيكا) على مساهمته الفاعلة في تنظيم هذا المؤتمر.

وألقى البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي - الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي - كلمة أشاد من خلالها بالرعاية الكريمة من خادم الحرمين الشريفين للمؤتمر الدولي المهم، الذي يعزز روابط التضامن الإسلامي. وقال: إن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول (ارسيكا) يعد أحد أهم الأجهزة الفاعلة في منظمة المؤتمر الإسلامي في ميدان الثقافة والتراث الحضاري والإسلامي، مؤكدًا أنه الجهاز الوحيد في المنظمة، الذي يعمل على تطوير ميدان الحرف اليدوية في العالم الإسلامي.

وأوضح أن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي استفادت من نمو قطاع السياحة، إذ حققت مجتمعة إيرادات سياحية إجمالية ناهزت ٣٤ مليار دولار، وقدر العدد الإجمالي للسيّاح الوافدين بـ ٤٠ مليون سائح، أي ما نسبته ٥٪ تقريبًا من السوق العالمية للسياحة. وأضاف: أما فيما يتعلق بالسياحة الداخلية بين بلدان منظمة المؤتمر الإسلامي، فتقدر بنحو ١٨مليون سائح، أي: بما نسبته ٤٥٪ من إجمالي السيّاح الوافدين، وهذا الأمر يتم على مستوًى جيد من الانسجام فيما بين هذه البلدان.

وقال: هذه الخاصية هي التي تميز الفنون والحرف والصناعات التقليدية الإسلامية من نظيراتها في الحضارات الأخرى، اذ تنطلق من القيم الجمالية المشتركة، وليس من الجانب التشكيلي وحده.

وقال الدكتور خالد آرن - المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (آرسيكا) -: سرني أن أبلغكم عن عظيم سرورنا لاستقبال مثل هذا الحدث الذي عملنا على إنجازه، بالتعاون مع الهيئة العليا للسياحة على مدار عام ونصف العام.. وأوضح أنه تم إنشاء مركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية عام ١٩٨٠م، وكانت أول مؤسسة ثقافية تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وفقًا للقرار الصادر من المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية، الذي عقد في إستانبول. وقد حرص المركز منذ إنشائه على التخصص في مجال الأبحاث والدراسات، التي لم يتم التطرق إليها من قبل، وأضاف أن المركز يقوم بإعداد البحوث ونشرها وتوثيقها، وتتناول هذه البحوث تاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها، ونسعى من خلالها إلى تعريف العالم بالثقافة والحضارة الإسلاميتين.



الأمير عبدالعزيز بن عبدالله يدشن مشروع الفهرس العربي الموحد

قال سمو الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز - مستشار خادم الحرمين الشريفين - : إن مشروع الفهرس العربي الموحد يمثل أحد أهم الجهود المبذولة لنشر الثقافة العربية، وخدمة المكتبات العربية، وغير العربية، التي تحتوي كتباً عربية، وكذلك خدمة الباحثين والمهتمين بالتراث العربي على مستوى العالم.

جاء ذلك خلال افتتاحه اللقاء الأول لأعضاء الفهرس العربي الموحد أخيراً، بحضور عدد كبير من الأكاديميين والإعلاميين، ومديري المكتبات العامة والوطنية وأمنائها في عدد من بلدان العالم العربي.

وبدأ اللقاء بكلمة فيصل بن معمر - المشرف العام على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة - الذي دعا فيها جميع المكتبات العربية إلى أن تسهم مع مكتبة الملك عبدالعزيز في بناء مشروع الفهرس الموحد، ودعمه؛ ليحقق الأهداف المرجوة منه، كما دعا إلى استثمار العوامل الإيجابية، التي تساعد على تحقيق فكرة التكامل بينها.

وأضاف أن المشكلات والصعوبات كانت البداية للمبادرة إلى السعي نحو تحقيق مشروع علمي وثقافي عربي يخدم المكتبة العربية، كما ذكر أن هذه المبادرة توجت بموافقة خادم الحرمين الشريفين حين أسند لمكتبة الملك عبدالعزيز مهمة الإشراف على تنفيذ هذه المهمة.

وقال الأمير عبدالعزيز بن عبدالله - راعي الحفل - بعد ذلك: إن مشروع الفهرس العربي الموحد يعدّ إحدى البنى

أيام سعودية في مصر

اقيمت - أخيراً - أيام الثقافة السعودية بمصر، التي اشتملت على فعاليات ثقافية وفنية، وقد انطلقت بافتتاح الأستاذ إياد مدني - وزير الثقافة والإعلام - معرض الفن التشكيلي السعودي بدار الأوبرا المصرية، بحضور وزير الثقافة المصري الأستاذ فاروق حسني.

وشهدت قاعة المؤتمرات، بالمجلس الأعلى المصري للثقافة بالقاهرة، تقديم تجارب سعودية في مجال الطفولة، كما تم تقديم العرض المسرحي (طرفة على الجسر).

وقال إياد مدني - وزير الثقافة والإعلام -: «لقد جئنا من أرض الحرمين إلى مصر النيل، مصر



التحتية المتطورة لأعمال المكتبات والمعلومات، وحصراً شاملاً للإنتاج الفكري العربي المنشور، وإن تنفيذه جاء تلبية للمطالب الملحة، التي وردت في أغلب الندوات لأمناء واختصاصيي المكتبات في العالم العربي.

بعد ذلك دشن الأمير عبدالعزيز الموقع الإلكتروني للفهرس العربي الموحد على شبكة الإنترنت.

الأثريون العرب يفضحون اعتداءات إسرائيل على التراث الإنساني

طالب الاتحاد العام للأثريين العرب بالقيام بحملة دولية لفضح الاعتداءات الإسرائيلية والغربية التي تطال عمداً التراث الإنساني، والآثار في كل من فلسطين، ولبنان، والعراق.

ودعا البيان الختامي للدورة التاسعة للاتحاد كل الدول العربية لتعديل قوانين حماية الآثار، وتشديدها بما يتناسب مع الأهمية الكبرى للإرث البشري، الذي لا يقدر بثمن، وعدم إقامة أي من المشروعات على أراضيها، إلا بعد التأكد من عدم وجود آثار بها.

وكانت فعاليات المؤتمر قد استمرت على مدار يومين برعاية جامعة الدول العربية، وحضرها نخبة من كبار العلماء والأثريين العرب، وعدد كبير من المسؤولين والشخصيات المهمة.

من جهة أخرى، قال يوسف زيدان - مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية -: إن مؤسسات علمية إسرائيلية تعرض حاليًا على الإنترنت نسخًا من مخطوطات القدس للبيع.

وأعلن زيدان، في بحث عنوانه «المخطوطات المقدسية المفهرسة»، قدّمه في مؤتمر (تراث القدس.. ذاكرة المكان والإنسان) في القاهرة، أن بعض مجموعات من المخطوطات العربية لا تزال بأيدي اليهود، منها مجموعة بالجامعة العبرية في القدس، لا نكاد - نحن العرب - نعرف عن محتوياتها إلا أقل القليل، إضافة إلى مخطوطات أخرى محفوظة في المكتبة القومية اليهودية، والمكتبة الجامعية بالقدس.

وأشار إلى أن باحثين إسرائيليين قاموا بفهرسة مخطوطات عربية، منها مجموعة المستشرق إبراهام شالوم يهودا، الذي جمع ١٠٥٥ مخطوطة من المخطوطات حصل على أغلبها من مصر، وتم صنع نسخ منها على الميكروفيش لبيعها للمهتمين من الأفراد والمؤسسات.

وقال زيدان: إن بيع نسخ المخطوطات العربية يتخذ شكلاً مؤسسيًا وسط صمت عربي على المستويين الرسمي والعلمي، مشيرًا إلى أن الإعلان على الإنترنت يعرض بيع النسخة المصورة لكل مخطوطة بمبلغ ٣٢ ألف يورو، ويعرض حتى نهاية شهر ديسمبر ٢٠٠٦م خصمًا تشجيعيًا بسعر ١٩ ألف يورو فقط.

أكد محمود المصري - الباحث في المخطوطات العربية - أن الاحتلالين البريطاني والإسرائيلي استوليا على أغلبية المخطوطات الفلسطينية، وقال: إن عدد المخطوطات العربية في فلسطين كان يتجاوز ٥٠ ألف مخطوطة قبل الاحتلال البريطاني والإسرائيلي لأرض فلسطين، وتقلص بفعل استيلاء الاحتلال البريطاني على كثير منها، وتبعتها النكبة الثانية على أيدي الإسرائيليين، ولم يتبق من المخطوطات العربية في المدينة المقدسة أكثر من ثمانية آلاف مخطوطة فقط.

الشيخ رفاعة الطهطاوي، والمازني، وطه حسين، مصر التاريخ، ومصر الحضارة، دعماً للتواصل والتآلف بين مثقفي البلدين».

وقد بدأ حفل الافتتاح بتقديم ١٢ لوحة فنية فلكلورية سعودية، وعدة رقصات شعبية، كما تم افتتاح معرض الكتاب السعودي، وقدمت صفية بنت زقر لوحتين تذكاريتين للأطفال السعوديين هدية لوزير الثقافة المصري، كما أهداه إياد مدني - وزير الثقافة - درعًا تذكارياً.

ويشارك في معرض الفن التشكيلي حشد من التشكيليين السعوديين من مختلف المدارس الفنية.

معرض تراثي صيني في المغرب

افتتح محمد الأشعري مؤخرًا - وزير الثقافة المغربي - وسفير الصين لدى المغرب معرضًا تراثيًا صينيًا؛ إحياء للذكرى الـ ٦٠٠ لرحلات البحار الصيني «تشنغ خو .. رسول السلام» في متحف الأوداية التاريخي.

وقال وانغ باو آي - المستشار الفني بالسفارة الصينية لدى المغرب، المسؤول عن المعرض: إن هذه المبادرة الفنية تهدف إلى تقديم التراث الصيني القديم للجمهور المغربي، وتقوية العلاقات الثقافية بين البلدين.

وأضاف أن المعرض يعكس جانبًا مضيئًا من حضارة بلاده، التي تشكل جزءًا من الهوية الثقافية والتراثية التي تفتخر بها الأمة.

ويقدم المعرض لوحات كثيرة تجسد حقبة تاريخية عريقة للصين القديمة، وسمتها مغامرات البحار الصيني بالتميز والفرادة، كما يقدم المعرض كثيرًا من الأواني الخزفية الأصلية التي عاصرت البحار.

يذكر أن معرض الرحالة الصيني الذي عاش في أواسط القرن الـ ١٥ الميلادي في عهد إمبراطورية أسرة مينغ عرض في المملكة العربية السعودية، وسيحط الرحال بعد المغرب في الكويت.



معرض بنيويورك يستكشف دور الذهب في الحضارة

استضاف المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك في أواخر شهر شوال الماضي معرضًا يسلط الضوء على دور الذهب، وتأثيره في الحضارة.

ويشتمل المعرض على ٧٠٠ قطعة جيولوجية وحضارية من مختلف أنحاء العالم تبين الدور المحوري، الذي أداه الذهب في تطور الحضارة، والرغبة الشديدة في البحث عن المعدن النفيس.

ويضم أيضًا أدوات وأشياء ذهبية تستخدم منذ قرون، منها أكواب كانت تستخدم في بيرو قبل ٩٠٠عام من ميلاد المسيح، وأقراط ذهبية يونانية، وعملات بيزنطية، وأكواب كانت تستخدم في حضارة الأنكا في بيرو.

وحتى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد تقريبًا كان الإنسان يعتقد أن الذهب مجرد صخرة، وإن كانت نادرة، قبل أن يبدأ باستخدامها مخزنًا للقيمة.



دانماركية تترجم معاني القرآن الكريم

نظمت جامعة كوبنهاغن، بالتعاون مع دار النشر فولايت فاند كوسنستن، حفلة تدشين لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الدانماركية، التي قامت بها دانماركية غير مسلمة تحمل الدكتوراه في اللغة العربية؛ وذلك بإحدى قاعات الجامعة.

وضم الحفل، الذي افتتح بتلاوة من القرآن الكريم، تلاها رئيس المجلس الإسلامي الدانماركي، عددًا من الشخصيات الإسلامية، وممثلين عن المؤسسات الإسلامية، إلى جانب كثير من الأكاديميين والمفكرين الدانماركيين المهتمين بالشؤون الإسلامية، وعدد من المستشرقين.

وقامت بترجمة القرآن إلى اللغة الدانماركية التي جاءت بلغة أكاديمية عالية، الباحثة إلين وولف. وتقع الترجمة في ٥٤٤ صفحة.

وبعكس ترجمات القرآن في بلدان أخرى، تقتصر



الترجمة على اللغة الدانماركية من دون جمعها بالنص العربي؛ وذلك إمعانًا من المترجمة الدانماركية في أن الاقتصار على الدانماركية سيزيد القارئ تركيزًا في المعنى، وحرصًا منها على عدم إضاعة القارئ بين اللغتين، ولو لم تكن إحداهما معروفة لديه.

وأوضحت المترجمة إلين وولف أن عملها في ترجمة القرآن لم يكن سهلاً، بل كان صعبًا وشاقًا، واستغرق أكثر من ثلاث سنوات، وقالت: إن الفكرة تبادرت إلى ذهنها قبل ٢٥ عامًا عندما حفزها أحد أساتذتها بالجامعة إلى ذلك.

وأضافت: أنها لم تكن لتنتهي بتلك السرعة من ترجمة القرآن، ما لم يتم دعمها ماليًا في السنة الأخيرة من أحد رجال الأعمال الدانماركيين، وأنها حاولت أن تترجم المعاني بأفضل طريقة، مؤكدة أن الترجمة قد يجانبها الكمال، كما ترى أنه لا يضر ترجمة القرآن من شخص غير مسلم.

ورأت أن ترجمة القرآن فرصة مواتية للدانماركيين كي يتعرفوا إلى الدين الإسلامي بلغة سهلة وراقية، خاصة بعد الهوة الكبيرة التي أحدثها عرض الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وقال تشارلز سبنسر - المسؤول عن العرض بالمتحف -: إن البشر كانوا يتقاتلون على أشياء كثيرة، ولكن عندما دخل الذهب الساحة زاد كم العنف.

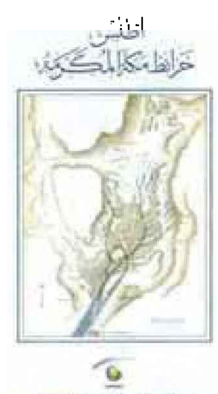
وأضاف أن تصنيف الناس إلى طبقات اجتماعية هو ما أعطى للذهب قيمة، بيد أنه، ولفترة طويلة من الوقت، لم يعد مفيدًا في شيء أكثر من مجرد إثارة الإعجاب باستخدامه في صنع أشياء لامعة وجميلة.

وعندما بدأ الاهتمام بقدرة الذهب على إثارة الإعجاب، ومع ندرة المعدن، أصبح الذهب اختيار الملوك والنبلاء والأغنياء. واكتشفت أقدم مشغولات ذهبية بموقع في فارنا ببلغاريا، ويرجع تاريخها إلى ستة آلاف عام.



اصـــدارات





مرزا، معراج بن نواب/ أطلس خرائط مكة المكرمة ـ مكة المكرمة: هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٢٦٣ ص.

يجمع هذا الأطلس بين دفتيه عددًا من الخرائط والرسوم لمكة المكرمة، خرجت في فترات زمنية مختلفة، ويشتمل على خرائط قديمة، منها ما يعود إلى القرن الثاني الميلادي. وقد جاء في هذه الخرائط رسوم لمكة المكرمة، والمسجد الحرام من مواقع مختلفة، وبأشكال متعددة، ومنها الخرائط الورقية المألوفة المتداولة، ومنها الخرائط الرقمية، التي أنتجت باستخدام أحدث الأساليب والتقنيات الحديثة.

ولطول الفترة الزمنية التي تغطيها الخرائط والرسوم الواردة في هذا الأطلس، وتباين غزارة الإصدارات من فترة إلى أخرى، واختلاف الأشكال والمحتوى؛ فقد وزعت على مرحلتين أساسيتين: كانت الأولى منها للخرائط والرسوم الموضوعة لمكة المكرمة قبل العهد السعودي. أما الثانية فخصصت للخرائط والرسوم خلال العهد السعودي.

وقد جمعت الخرائط والرسوم الواردة في هذا الأطلس من مصادر متباينة، وهذا ما استلزم التصرف بمقياس الرسم الأصلي، وتجزئة بعض الإصدارات التي تحتوي على أكثر من عنصر في الرسم، أو أكثر من وجه واحد مطبوع. كما حولت الإصدارات الرقمية إلى ورقية، مع مراعاة الحرص التام على عدم الإخلال بالمضمون أو مساسه، ثم وصفت الخرائط والرسوم المختلفة من حيث مصدرها، وتاريخها ومحتواها.

ونوهت الهيئة بأن الهدف من العرض، والتحليل، والمراجعة النقدية لهذه الخرائط والرسوم، ورصد الجوانب الإيجابية والسلبية فيها، هو تقديم رؤية واضحة للدراسين والمهتمين بهذا المجال، وإسهام في تحسين ما يمكن أن يصدر منها، أو مماثلاً لها مستقبلاً، ولا يعني هذا التقليل من أهميتها، أو من الجهد المبذول في إخراجها.

كما أكدّت الهيئة - أيضًا - أن هذه الرسوم والخرائط، تمثل جزءًا من التراث العلمي والتاريخي، والحضاري لمكة المكرمة، وإدراجها ضمن هذا الأطلس لا يشكل إعادة طباعة لها، بل تظل ملكًا لناشريها، ووضعها بين دفتي هذا الأطلس مجرد توثيق مرجعي علمي لها، ويجب أخذ هذا في الحسبان عند الاستفادة منها من قبل الآخرين.

وجاء الأطلس في بابين: كان الباب الأول بعنوان: «خرائط مكة المكرمة ورسومها قبل العهد السعودي»، وقد احتوى على ثلاثة فصول، هي: خرائط مكة المكرمة ورسومها قبل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وخرائط مكة المكرمة ورسومها في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وخرائط مكة



المكرمة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي).

وجاء الباب الثاني بعنوان: «خرائط مكة المكرمة ورسومها في العهد السعودي»، واحتوى على ثلاثة فصول أيضًا، هي: مرحلة ما قبل التصوير الجوي، ومرحلة التصوير الجوي، ومرحلة الخرائط الرقمية لمكة المكرمة.

ونوه المؤلف بأنه ليس من الضرورة أن ما عرض في هذا الأطلس يمثل حصرًا شاملاً لجميع خرائط مكة المكرمة ورسومها، بل يمثل ما استطاعوا الحصول عليه خلال سنوات من البحث العلمي والتقصي، كما أوضح أنهم لا يدّعون الكمال في هذا العمل، بل يوجهون الدعوة إلى كل من لديه تصويب أو ملاحظة.



الشمري، هزاع بن عيد/ غريب لغة قبيلة شمر، حائل وما حولها.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ، ٣٣٦ص.

جاء هذا الكتاب «غريب لغة قبيلة شمر حائل وما حولها»، مؤلفًا على حروف المعجم، وأخذ المؤلف هذا من غريب لغتهم البحتة، التي لا يشاركهم فيها أحد إلا قليل من الناس، فالتاء المفتوحة في نهاية الكلمات المؤنثة مثل: الحيانية (الحيانيت)، وموحة (موحت)، والتربة (التربت).. إلى آخره.. فهذه لغات خاصة بقبيلة شمر وحدها، من دون سائر القبائل الأخرى، وهذه لغة عربية فصحى من لغات العرب، وربما جاءت أصواتها: (الحيانيَ - يْه)، (موحيّ - ه)، (الترِيّ - هْ)، ومثل: الهاء الممدودة المقصورة في ضمائر المؤنث: بها (بَهْ)، لها (لَهْ)، يمها (يَمّهْ)، ومثل: ماء (ماء)، (مامن)، هي كذلك.

وقال المؤلف: «إن مفردات لغة قبيلة شمر تسكّن نهاياتها جميعها، وتُسكّن بدايات المفردات، خاصة في حالة التصغير، وهذا غريب غير مألوف، وربما كان مرد ذلك راجع إلى تحريف، أو أصل من أصول اللغة العربية القديمة، التي لا تستخدم اليوم إلا على هذا النحو، وأن كثيرًا من هذه المفردات ومعانيها لم تدّون في المعجمات العربية، على الرغم من عربيتها القحة، وهذا ما يلمسه القارئ في صفحات الكتاب، وإلا فقبيلة شمر قبيلة عربية، في وسط بلاد العرب، تنحدر من قبيلة طيء المشهورة، التي هاجرت من اليمن إلى منطقة الجبلين، واستوطنت فيها، قبل ألف وسبعمئة سنة بالتقريب، فمن أين لها لغة غير لغة العرب الجنوبية، وفي تقديري أن مفردة مثل (قوه) نذهب، في لغة القبيلة، وقد وردت في الفرنسية بالمعنى نفسه، أحسبها مفردة عربية مأخوذة من هنا».

وأورد المؤلف عددًا من المفردات الغريبة في لغة قبيلة شمر، يرى أنها خاصة بهم، وربما

صارت في قليل من لغات القبائل الأخرى مثل: أسماء الرجال: (شمّقل)، (فرتاج)، (ضرباح)، (شطيط)، (هتّاش)، (ملاعب)، (جعيري)، (مطيلة)، (جلباخ)، وأوضح أن مفردات هذه اللغة تطغى عليها الفخامة، وثقل الوزن، وهذا ما يدل على أصالتها العربية المتقدمة الموغلة.

واستقصى المؤلف هذه المفردات والمعاني ممن يثق بهم، من كبار السن من القبيلة نفسها، وأخذ من صميم لغتها، وترك كثيرًا، وقد قام بمقارنة ذلك مع لسان العرب لابن منظور. يذكر أن كثيرًا من مفردات هذه اللغة، قد اندثر بتأثير الانفراج والانسياح، وغير ذلك، إذ إن هذه المفردات كانت لغة لعصر مضى عليه أكثر من سبعين عامًا.

وجاءت مواد الكتاب مرتبة حسب الحروف الهجائية.

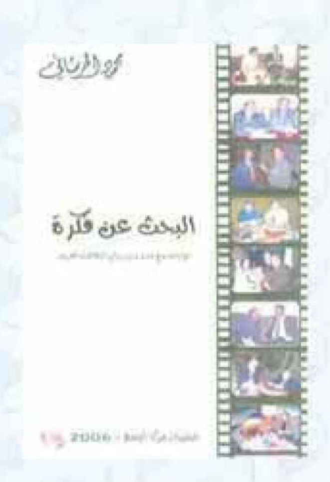
أبو الهيجاء، محمد إبراهيم/ عقود التجارة الإلكترونية «العقود الإلكترونية - المنازعات العقدية وغير العقدية - القانون الواجب التطبيق».- عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ١٧٠ص.

شهدت الحقبة الزمنية القليلة الماضية نموًا سريعًا لشبكة الإنترنت، فكثيرًا ما نسمع أو نشاهد أو نقرأ إشارة إلى الطريق السريع للمعلومات، والراجع إلى الإمكانات الهائلة، التي وفرتها شبكة الإنترنت في مجالات متنوعة، كالتعليم، والتسويق، والاتصالات، والإعلانات، والعلاقات العامة، والعقود، وغيرها.

إلا أن البيئة الرقمية، لا يزال الغموض يعتريها من عدة نواح، أبرزها الناحية القانونية، والفراغ التشريعي، الذي أوجدته لترابطها الفوري بين مختلف بقاع العالم دون حواجز تذكر، وخروجها من نطاق المحلية إلى العالمية، لتمثل بذلك سوقًا اعتبارية لها قواعدها وأسسها الخاصة، التي تخالف في كثير من الأحيان أسس الاقتصاد التقليدي وقواعده.

وقد رافق هذا الذيوع والانتشار لشبكة الإنترنت والمجال الإلكتروني، الذي قدمته، تفرع في أشكال الانتهاكات والجرائم المرتكبة خلالها دونما رقابة أو قانون يوقفها؛ وهذا الأمر يستلزم إيجاد الحلول لسد الفجوات التشريعية الحالية في سن قواعد وقوانين لتنظيم الشبكة.

تناول المؤلف في هذا الكتاب عددًا من هذه المسائل من خلال إيجاد الرابط المشترك بينها، وبحث موضوع القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الإلكترونية، وتنبع أهمية هذا البحث من توفير غطاء قانوني لسائر ما قد ينجم عن شبكة الإنترنت من منازعات - عقدية وغير عقدية - عجز القضاء عن



مواجهتها لما تقوم عليه من أساليب غير مألوفة في استحقاق الحقوق وانتهاكها.

ويقع الكتاب في بابين، تعرض من خلالهما لآلية إبرام العقود الإلكترونية، وموقف التشريعات الحالية منها، وكيفية إثبات هذه العقود في خطوة صوب حفظ حقوق المتعاقدين وصيانتها، بالإضافة إلى تناول أبرز الانتهاكات التي تقع عبر شبكة الإنترنت، وبحث مدى جدوى القوانين في حكم هذه المنازعات التي تمت بطرق غير ملموسة، مع محاولة إيجاد سبل بديلة تحقق من خلالها الأمن القومي عبر شبكة الإنترنت.

ودعا المؤلف في الخاتمة إلى عمل دولي صوب وقف هذا السيل من الاعتداءات على الحقوق الفكرية، من خلال تفعيل دور المنظمات العالمية العاملة في هذا المجال، ومنحها سلطة الفصل في المنازعات الإلكترونية، مع إضفاء القوة لأحكامها وتنفيذها على أقاليمها، ليحقق بذلك مفهوم «القرية الكونية» القائم، إلى جانب الانفتاح العالمي في التبادل التجاري.

الحرشاني، محمود/ البحث عن فكرة: مجموعة حوارات مع نخبة من كبار المثقفين العرب. القيروان: مجلة مرآة الوسط، ٢٠٠٦م، ١٠٩ص (سلسلة كتاب مرآة الوسط ٢٠٠٦).

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الحوارات الصحفية مع عدد من المثقفين والأدباء والفنانين العرب، من تونس وبقية دول العالم العربي، أجريت معهم في عدد من العواصم العربية، ونشرت في حينه في مجلات وصحف عربية، مثل: العربي الكويتية، والرافد الإماراتية، والزمان الجديد الدولية، والزمان، وعالم الفن، والكويت الكويتية، ومرآة الوسط التونسية.

وقد كان لأغلب هذه الحوارات صداها الكبير لدى المثقفين، وفي وسائل الإعلام العربية التي تناقلت فحوى بعض هذه الحوارات، وذلك للمكانة السياسية والثقافية والأدبية والفنية للمحاورين مثل: الأستاذ الشاذلي القليبي، والدكتور محمد جابر الأنصاري، والأديب السوداني الطيب صالح، والشاعرة الفلسطينية الراحلة فدوى طوقان، والمستعربة الإيطالية إيزابيلا دافليتو التي ترجمت إلى الإيطالية عددًا من الروايات العربية، والناقد المصري مصطفى ناصف، والفنان نور الشريف، والفنان الراحل أحمد زكي، والفنانة إلهام شاهين، والسيدة آمال زكي الدرة، والدة الشهيد محمد الدرة، وغيرهم من الأعلام.





دوريـــات



الدارة (س ع٣، ٣٤، ١٤٢٧هـ)

مجلة فصلية محكّمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز.

صدر العدد الجديد من المجلة، وهو يشتمل على موضوعات تاريخية، وجغرافية، وأثرية، واجتماعية، تتعلق بأوضاع الجزيرة العربية، والمملكة العربية السعودية وأحوالهما، التي هي ضمن اهتمامات الدارة.

ففي باب البحوث قدم الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن علي المسنيدي بحثًا في (أمن حركة الحج من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة، خلال العصور العباسية المتأخرة سنة «٤٨٥ - ٦٥٦هـ») تناول فيه الناحية الأمنية المضطربة المحيطة بحركة الحج من المشرق الإسلامي، وما تعرضت له من تهديدات، ومعوقات، ومخاوف أمنية، خلال هذه الفترة، نتيجة الصراعات والمشاحنات السياسية بين الزعماء، وبين الدول القديمة والحديثة في العالم الإسلامي آنذاك، وظهور المغول في شرق آسيا كقوة طاغية، فضلاً عن وهن الدولة العباسية المعنية الأولى باستقبال الحجاج ووفادتهم من تلك الأقاليم، وتسيير قوافلهم المجهزة من العراق إلى مكة المكرمة.

وفي موضوع مقابل قدم الباحث الدكتور سعد بن ناصر الحسين دراسة وصفية جغرافية لطرق الحج البرية الحديثة، الاثني عشر الموصلة إلى مكة المكرمة، وتطور خدماتها المطرد مع تزايد أعداد الحجاج من الداخل والخارج، منذ توحيد المملكة العربية السعودية، مشيرًا إلى أن أول طريق تم تعبيده وسفلتته في المملكة كان طريق مكة - جدة (٧٣ كم) في عهد الملك عبدالعزيز.

وفي البحث الثالث في هذا الباب درس الدكتور عبدالعزيز بن سعود الغزي، الدلالات العلمية للأشكال والبنى الفنية لأربع عشرة كسرة فخارية، جاءت من قمة جبل دادان (الخريبة) في العلا نتيجة لمسح قام به الدكتور عبدالله بن محمد نصيف سنة ١٣٩٨هـ، ورجح الباحث أن هذه القطع تعود إلى العصر الحديدي المتأخر، أي: ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، وقد تستمر إلى القرن الرابع قبل الميلاد. كما استنتج الباحث أن للخريبة علاقات اتصال مع عدة مواقع داخل المملكة، مثل: موقع تيماء، وموقع السيح، ومواقع داخل الجزيرة العربية، مثل: موقع المويلح في الإمارات العربية المتحدة، ومع مواقع خارج الجزيرة العربية، مثل: تل الخليفة في بلاد الشام، كما أكد البحث دور دادان الاقتصادي المتمثل بتسلم السلع من قوافل الجنوب، ونقلها إلى الشمال، أو إلى سواحل البحر الأحمر.

وتحت عنوان (الهجرة من القرية إلى المدينة) قام الدكتور محمد بن سليمان الوهيد بدراسة تقويمية للأسباب والآثار السلبية والإيجابية للهجرة من القرية إلى المدينة في التنمية في الجانبين، والأبعاد الإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، مشيرًا إلى تزايد معدلات هذه الهجرة في المجتمع السعودي، عامًا بعد عام مع عدم قناعة الأسباب المؤدية إلى ذلك.

ونشرت المجلة دراسة عن: (حوادث الإبل على الطرق بمنطقة القصيم)، قام بها كل من الدكتور خالد بن عبدالله التركي، والدكتور مساعد بن عبدالرحمن الجخيدب، من خلال استقصاء ميداني طبق على مستخدمي الطرق من أفراد قوة أمن الطرق، ومن سائقي النقل الجماعي، حول الأسباب التي تسهم في ارتفاع معدل حوادث الإبل على الطرق، وانعكاساتها على مجتمع المنطقة، وإيجاد حلول مقترحة للحدّ منها.

وفي باب (الوثائق) كتب الدكتور عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف عن: (موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - مراجعات من خلال رسالتي ابن عفالق)، وفند الدكتور آل عبداللطيف المغالطات العلمية التي وردت في هاتين الرسالتين، مشيرًا إلى جهد ابن معمر التاريخي في دعم الدعوة الوهابية، على عكس ما اتهمه خصومه به من النفاق والتردد.

وفي سياق آخر، ترجم الأستاذ الدكتور محمد خير البقاعي في باب: (بحوث مترجمة) ما كتبه هنري دوهيران عن رحلة القنصل الفرنسي جوزيف روسو إلى حلب سنة (١٢٢٢هـ/١٨٠٧م).

وفي باب (مراجعات كتب) راجع الأستاذ عبدالرحمن بن ناصر السعيد منهج الأستاذ تركي بن مطلق العتيبي، في تحقيقه كتاب (المقدمة الفاضلية)؛ إذ أشار إلى وجود عدة ملحوظات على تخريج الباحث العتيبي الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وكذلك وجود خلل في ضبطه بعض الأعلام، وعدم توثيقه بعض النصوص الواردة في المادة العلمية الأصلية للكتاب.

العنوان:

ص.ب: ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٠١١٩٩٩

ناسوخ: ٤٠١٢٥٩٧

البريد الإلكتروني: magazin@darah.org.sa







ضمير الكاتب والناس

معتصم زكي السنوي
بغداد - العراق

يقول الكاتب المصري د. زكي نجيب محمود: «وقفت لحظة أفكر، عندما كنت أقرأ قصة «دون كيخوتة»، وطالعت الموقف الذي جمع طائفة من اللصوص من قطاع الطرق، بعد أن نهبوا ما نهبوه ذات يوم، وجلسوا ليقتسموه، فحدث بينهم خلاف على طريقة التقسيم، وبدأت بينهم المعركة، فجاء رئيس العصابة يستفسر الأمر، فقال له اللصوص: إننا نريد العدل في قسمة الغنائم! اللصوص يريدون العدل فيما بينهم! وهكذا نرى القيم الإنسانية العليا أمرًا لا خلاف عليه بين الأبرياء، وبين المجرمين على حد سواء».

ولو كان الأمر مقتصرًا على فرد واحد، لوجد هذا الفرد من ضميره ما يهديه إلى الصواب، حتى إذا خانته إرادته وارتكب الخطأ، فإنه عندئذ يعلم من وحي ضميره أنه إنما فعل ما لم يكن يجوز له أن يفعله لو أتيحت له القدرة، ولكن الأمر يختلف بالنسبة إلى الجماعة من الناس، فها هنا إذا ما اعتدى المعتدون على القيم الإنسانية العليا، فقد لا يتحرك الضمير بالقوة الكافية في هذا الفرد من عامة الناس، وعندئذ ينوب عنهم الكاتب، إنه لم يتعرض لظلم أفدح من سواه، ولا لطغيان أكثر مما تعرض له الآخرون، لكنه بحكم تكوينه الذي جعله شاعرًا، أو كاتب قصة، أو مسرحية، أو غير ذلك من صنوف الصياغة الأدبية، أقول: إنه بحكم تكوينه ذلك، يكون أعنف ثورة في ضميره، فيعلن الرأي، أو يصوغ حقيقة الموقف إعلانًا وصياغة يخرجان ما كان مضمرًا غائبًا في نفوس الآخرين.

ولأختر مثلاً واحدًا من كاتبة أمريكية نشرت قصة لها في منتصف القرن التاسع عشر، عن قضية الزنوج في الولايات المتحدة، التي لم تكن متحدة بصورة كاملة عندئذ. ولقد أطلقت على قصتها عنوان: «كوخ العم توم» فما كانت تظهر حتى شدت إليها الأبصار والأسماع في أمريكا وإنجلترا، وترجمت إلى عدة لغات أوربية أخرى.

كانت قضية الزنوج - عندئذ - مكتوبة في الأفئدة، أو كالمكتومة، يقرؤها الناس، أو لا يقرؤونها، لكنها على كل حال لم تجد من يفصح عنها بالكتابة جهرًا وعلانية، حتى تصدت لها هارييت ستو في قصتها تلك، وحسبك أن تعلم كم كان عميقًا أثر كتابها، إذا علمت أن حربًا أهلية بين شمال البلاد وجنوبها نشبت؛ لترغم أهل الجنوب على عتق ما يملكون من رقيق، وانتصر لنكولن زعيم الشمال، وذهبت إليه الكاتبة في معسكره تحييه، ولم يكن القائد قد رآها من قبل، فلما رآها مقبلة عليه بجسمها القصير النحيل قال لأصحابه: أهذه هي السيدة التي أثارت الحرب؟! هكذا ترى كيف تحرك ضمير إنسانة واحدة فأحدث ما أحدثه، فلا يحق لنا أن نقول: إن الكاتبة الواحدة هذه قد عبرت عن قلق ضمير واحد، بل الأصوب أن يقال: إن ضمير أمتها كان كامنًا في ضميرها.

وسأكتفي بنقل مشهد واحد قصير من قصة كوخ العم توم؛ ليرى القارئ قبسًا من هذا العمل الأدبي العظيم، وهو المشهد الذي تحدى فيه العامل الزنجي العم توم سيده سيمون لجري:

«أخذ العاملون من الرقيق يتقاطرون إلى الغرفة التي جلس فيها سيدهم؛ ليراجع موازين السلال التي جاؤوا يحملونها مملوءة بالحصاد، أخذوا يتقاطرون واحدًا، أو واحدة في إثر واحد أو واحدة بأجسام أنهكها المرض والضعف.. وجاء دور العم توم فوضع سلته على الميزان وأجيز.. فدخل ليقف مع من سبقوه إلى قاع الغرفة ينتظر الآخرين، لكن العم توم قد أخذ يترقب بلمحات من عينيه قلقة الوميض؛ خوفًا على امرأة زميله، يعلم أن سيدهم

يتـربص بهـا، وجـاء دور هذه المرأة التي أوشك جسـدها أن يكون حطامًا، فأقبلت بسلتها مرتعشة ترتجف جوارحها من الفزع، ووضعت سلتها على الميزان، وكانت كاملة الوزن كما رأى السيد نفسه، ورأى من وقف لينظر، لكن السيد ادّعى الغضب، وصاح في المرأة قائلاً: ما هذا أيتها البهيمة الكسول؟ امرأة أخرى تأتين إليّ بسلة منقوصة الميزان؟.. تعال يا توم واضرب هذه البهيمة بالسوط! لتعلمها كيف تمتلئ السلال.. قال العم توم: عفوًا سيدي، إنني لا أستطيع ذلك، فهو ما لم أتعوده، وما لست أقوى عليه!. فنزع السيد حزامه، وأخذ يجلد به العم توم جزاء عصيانه، ثم أوقف الضرب لحظة ليسأل فيها قائلاً: اتجرؤ بعد الآن أن تقول: إنك لا تقوى على فعل ما آمرك بفعله؟. قال العم توم: نعم يا سيدي.. وهنا سرت في الحضور دهشة مما قاله العم توم لسيدهم، وأخذوا ينظر بعضهم إلى بعض نظرات تساؤل: أية زوبعة على وشك أن تعصف بنا جميعًا؟! أما السيد لجري فقد تملكته الحيرة والذهول، فتردد قليلاً قبل أن يزأر قائلاً: ماذا أنت أيتها البهيمة النجسة السوداء؟ أتقول لسيدك: إنه لا يجوز لك أن تفعل ما آمرك بفعله؟ ماذا تعرفون أنتم أيتها الماشية الملعونة عن الصواب الذي يجوز، أو الخطأ الذي لا يجوز؟»

أأنت الذي تهدي سيدك إلى الخطأ والصواب؟! أتزعم لي أن ضرب هذه المرأة بالسوط عمل لا يجوز؟! أجابه توم نعم سيدي، هذا هو في الحق ما أزعمه.. إن المرأة المسكينة مريضة وضعيفة، ولو ضربت بالسوط لكان ذلك قسوة بالغة المدى، وهو ما لن أفعله أبدًا، أبدًا.. سيدي، إذا أردت قتلي فدونك فاقتل، أما أن أرفع يدي بالسوط على أي واحد من هؤلاء، فذلك ما يستحيل عليّ أن أفعله أبدًا، أبدًا..

تحدث توم بصوت رزين هادئ، لكنه مشحون بعزيمة لا يخطئها أحد. أما السيد لجري فقد برقت عيناه الخضراوان بريقًا مخيفًا؛ ثم انقضّ على فريسته كالحيوان الكاسر صارخًا بقوله: انظروا.. هذا كلب ورع وجدناه بيننا نحن الآثمين: .. هذا هو قديس، هو سيد ولا أقل من ذلك!.. جاء في الإنجيل: أيها الخدم أطيعوا سادتكم. ألستُ سيدك الذي اشتراك بماله؟ لقد اشتريتك بكل ما فيك، بكل ما تحتوي عليه هذه المحارة الملعونة السوداء.. لقد أصبحت ملكي جسدًا وروحًا، أليس كذلك؟!

ورفس بحذائه الثقيل العم توم، قائلاً له: أجبني؟ .. ومن أعماق الألم الذي نال هذا المسكين في جسده، ومع ما أخذ به جسده يتلوى، وينحني، ويستقيم من وطأة ما أصابه، فإن قول السيد له بأنه قد بات ملكًا له جسدًا وروحًا، بث فيه نشوة روحية عجيبة تألق بها، وكأنه قد أصاب نصرًا.. وفجأة استقام بجسده، وشخص ببصره إلى السماء، وقال في صرخة عالية، وقد اختلط على وجهه الدمع والدم: لا.. لا.. لا ليست روحي ملكًا لك يا سيدي!.. إنك لم تشترها إذ اشتريت، كلا، ولا في وسعك أن تشتريها.. لقد سبق لها أن اشتراها خالقها، ودفع ثمنها!.. من في وسعه أن يصونها؟ افعل أيها السيد بجسدي ما تشاء، وأما روحي فلن يمكنك أبدًا أن تلحق بها الأذى!».

أن التزام الكاتب قضايا شعبه، إنما هو في حقيقة الأمر التزام منه للقيم الإنسانية والخلقية، التي تحدد مضمون رسالة الكاتب والمثقف.. وما من شك أن الالتزام لا يعني - بحال من الأحوال - مجرد تبني الشعارات، ولا ترديد كلمات الدعاية، ولا إغفال القيمة الفنية التي تعطي العمل الخلاق قيمته، وأصالته، وقدرته على التأثير، ومن ثم فإن الالتزام هنا إنما يعني - أساسًا - التزام الحرية، وينبع من إيمان عميق بها، واستعداد كامل للدفاع عنها.. كما يعني في الوقت نفسه، التزام قيم العدالة بكل معانيها، وقيم الإخاء الإنساني الرحيب، وقيم الصدق، وشجاعة الصدق، قيم الانتصار للمضطهدين، والعمل على رفع الظلم، وقيم التفتح، والتسامح، والصلابة في الدفاع عن الحق، وفي الوقت نفسه قيم الإيمان بالإنسان، بما فيه من قوة وضعف، وقدرة وقلق، واستقرار ولهفة ورفض، قيم الإيمان بالحياة بما فيها من رقة وانفتاح وغنى، وما فيها من قوة وضيق وعوز، قيم الجمال الأوسع والأعمق، الذي يمنح الإنسان إحساسًا بالحب، ورغبة في الخير، وفي قيمة معطيات الحياة، والإيمان بالله وبالحق.